شرح

لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة رحمه الله

الشرح بقلم

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

اعتنى به وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

جزاه الله خيرًا


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حراس العقيدة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله سبحانه أقام على عقيدة المسلمين حراسا أفذاذ من العلماء الراسخين في العلم. لما تكالب الأعداء يريدون إفساد عقيدة المسلمين بالشبه والتشكيك من الكفار والملاحدة والمنافقين وأصحاب النحل الضالة من الفرق المنحرفة عن منهج السلف الصالح من جهمية ومعتزلة وشيعة باطنية وغير باطنية وقدرية وخوارج ومرجئة وصوفية وقبورية. فقام هؤلاء العلماء الربانيون يبينون العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من هذه الآراء وردّ الشبه والانحرافات التي أدلى بها هؤلاء الخصوم الألداء. فرد الله كيدهم في نحورهم ورجعت سهامهم إلى صدورهم. وبقيت العقيدة الصحيحة محمية الجانب واضحة المعالم من خلال ما دونه هؤلاء الأئمة من كتب ورسائل مختصرة ومطولة يتدارسها المسلمون جيلا بعد جيل. ومن هؤلاء الأئمة الربانيين شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي بما كتبه ودونه في كتابه هذا (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) وكنت قد شرحت هذا الكتاب وكانت تلك الدروس في أشرطة. ثم قام أحد الإخوة بارك الله فيه بتفريغها وترتيبها وعرضها علي فقمت بتصحيحها وتهذيبها فكان منها هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ على ما فيه من قصور - لكنه جهد المقل كما قيل:

ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليل

وأسأل الله أن ينفع به على قدر ما فيه. وليغفر لي ما قصرت أو أخطأت فيه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

٢٦/٩/١٤٢٤هـ

قام على عملية تفريغه من الأشرطة وترتيبه والعناية به

فضيلة الشيخ عبد السلام بن عبد الله السليمان

جزاه الله خيرا

الموفق ابن قُدامة

الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام موَّفق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة بن مِقْدام بن نصر المَقْدِسيُّ الجَمّاعِيليُّ ثم الدِّمَشْقِيُّ الصالحي الحنبليُّ، صاحب «المغني».

ولد موفق الدين ابن قدامة بجَمّاعيل من قرىٰ نابلس بفلسطين سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان، وهاجر مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، إلى دمشق حيث تلقى أول علومه، فحفظ القرآن، و«مختصر الخرقي»، وقرأ على مشايخها وتفقّه، وكتب الخط الجميل، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم.

ورحل هو وابنُ خاله الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن عليّ المقدسي، سنة إحدى وستين وخمس مئة، فكانا يخرجان معاً، ويذهب أحدهما في صُحبة رفيقه إلىٰ دَرْسِه وسماعه، كانا شابين مُختطّين -يعني أول ظهور الشعر في وجهيهما - وخَوَّفَهما الناسُ من أهل بغداد، وكان الحافظ عبد الغني ميله إلىٰ الحديث، والمُوَفَّق يريد الفقه، فتفقه الحافظ، وسمع الموفق معه الكثير، فلما رآهما العقلاء على التَّصَوّن وقِلّة المخالطة أحبّوهما، وأحسنوا إليهما، وحَصّلا عِلْماً جمّاً، فأقاما ببغداد نحو أربع سنين.

نزلا أولاً عند الشيخ عبد القادر بن عبد الله الجِيلي الحنبلي فأحسن إليهما، وأقاما عنده بالمدرسة، واشتغلا[1] عليه، ثم مات الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة، ثم أقاما عند ابن الجوزي، ثم انتقلا إلى رباط النعال، واشتغلا بالفقه والخلاف والأصول على ناصح الدين أبي الفتح نصر بن فتيان بن مطر، ابن المَنِّيّ الحنبلي، المفتي وشيخ الحنابلة. وسمعا من هبة الله بن الحسن الدقاق، وأبي الفتح بن البَطِّي، وأبي زُرْعة بن طاهر، وأحمد بن المُقَرَّب، وعلي ابن تاج القراء، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن محمد الرَّحبي، وحيدرة بن عمر العلويّ، وعبد الواحد ابن الحسين البارزي، وخديجة النهروانية، ونفيسة البَزّازة، وشُهْدةَ الكاتبة، والمبارك بن محمد البادَرائي، ومحمد بن محمد ابن السكن، وأبي شجاع محمد بن الحسين المادَرائي، وأبي حنيفة محمد بن عبيد الله الخطيبي، ويحيى بن ثابت.

وتلا على أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطائحي الضرير بحرف نافع، وعلى أستاذه أبي الفتح ابن المَنِّيّ بحرف أبي عمرو، وتفقه على أستاذه أبي الفتح ابن المَنِّي حتى فاق الأقران، وحاز قصب السبق، وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله.

وبعد عودته إلى دمشق، عاد الموفق مرة ثانية إلىٰ بغداد، سنة

---

(١) أي: درسا وتعلما عليه، وهٰذا غير الشغل بمعنى العمل والطلب، وهٰذا اصطلاح معروف عند المتأخرين.

سبع وستين وخمس مئة، ومعه عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي فأقاما سنة، وحج سنة ثلاث وسبعين فسمع بمكة المكرمة.

وذكر الناصح بن الحنبلي أن ابن قدامة حجّ سنة أربع وسبعين وخمس مئة ورجع مع وفد العراق إلى بغداد، وأقام بها سنة، اشتغل فيها على شيخه وأستاذه أبي الفتح ابن المَنِّيّ، ثم رجع إلى دمشق واشتغل بتصنيف كتاب «المغني».

كان ابن قدامة عالم الشام في زمانه، وكان مع تبحره في العلوم ويقينه ورعاً زاهداً تقياً عليه هيبة ووقار، وفيه حلم وتؤدة، وأوقاته مستغرقة للعلم والعمل، وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه يصيح ويحترق.

قال الضياء المقدسي محمد بن عبد الواحد: كان الموفق لا يناظر أحداً إلا وهو يَتَبَسَّم، وعلق على ذٰلك الذهبي فقال: بل أكثر من عاينّا لا يناظر أحداً إلا ويَنْسَمّ. وهٰذا نتيجة لما كان يراه الذهبي بين أهل عصره من الضيق بالمناظرة العلمية.

وقيل: إن الموفق ناظر ابن فضلان الشافعي الذي كان يضرب به المثل في المناظرة فقطعه.

وبقي الموفق يجلس زماناً بعد الجمعة للمناظرة، ويجتمع إليه الفقهاء، وكان يدرس إلى ارتفاع النهار، ومن بعد الظهر إلى المغرب، ولا يضجر، ويسمعون عليه، وكان يُقرىء في النحو،

وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه، وما أوجع قلب طالب، وكانت له جارية تؤذيه بخلقها فما يقول لها شيئاً.

وقد كتب الضياء المقدسي سيرة شيخه الموفق في جزءين فقال: كان تام القامة، أبيض، مشرق الوجه، أدْعج، كأن النور يخرج من وجهه لحُسْنِه، واسع الجبين، طويل اللحية، قائم الأنف، مقرون الحاجبين، صغير الرأس، لطيف اليدين والقدمين، نحيف الجسم، مُمَتَّعاً بحواسِّه.

وكان شديد الذكاء، حسن التصرف، من أطرف ما حكي عنه أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل، يُرَمِّل به ما يكتبه للناس من الفتاوى والإجازات وغيرها، فاتفق ليلةً أن خُطفت عمامَتُهُ، فقال لخاطفها: يا أخي خذ من العمامةِ الورقة المصرورة بما فيها، ورُدَّ العمامة أغطي بها رأسي، وأنت في أوسع الحِلِّ مما في الورقة. فظنّ الخاطف أنها فضة، ورآها ثقيلة، فأخذها وردَّ العمامة، وكانت صغيرة عتيقة، فرأى أخذ الورقة خيراً منها بدرجات، فخَلَّص الشيخ عمامته بهٰذا الوجه اللطيف.

قال ابن النجار: كان الموفق إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حُجّة نبيلاً، غزير الفضل، نزهاً، ورعاً عابداً، على قانون السَّلَف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

وقال عمر بن الحاجب: هو إمام الأئمة مفتي الأمة، خصَّهُ الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنَّتْ بذكره الأمصار، وضنَّت بمثله الأعصار، أخذ به جامع الحقائق النقلية والعقلية. إلى أن قال: وله المؤلفات الغزيرة، وما أظنّ الزمان يسمح بمثله، متواضعٌ، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار، مجلسه مَعْمُور بالفقهاء والمحدِّثين، وكان كثير العبادة دائم التهجد، لم نر مثله، ولم ير مثل نفسه.

وقال أبو العباس ابن تيمية: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق رحمه الله.

وذكر ابن كثير: أنه كان يتنفل بين العشاءين بالقرب من محرابه، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرب الدّولَعِيّ بالرصيف، وأخذ معه من الفقراء من تيسر، يأكلون من طعامه، وكان منزله الأصلي بقاسيون، فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل.

قال الضياء: كان حسن الأخلاق لا يكاد يراه أحداً إلا متبسماً، يحكي الحكايات ويمزح. وسمعت البهاء يقول: كان الشيخ في القراءة يُمازحنا ويَنْبَسِط. وكلَّموه مرة في صبيان يشتغلون -يدرسون- عليه، فقال: هم صبيان ولا بد لهم من اللعب، وأنتم كنتم مثلهم. وكان لا ينافس أهل الدنيا، ولا يكاد يشكو، وربما كان أكثر حاجة من غيره، وكان يُؤْثِر.

وسمعت البهاء يصفه بالشجاعة، وقال: كان يتقدَّم إلى العدو وجُرِح في كفه، وكان يرامي العدو.

قال الضياء: وكان يصلي بخشوع، ولا يكاد يصلي سُنَّةَ الفَجْر والعشاءين إلا في بيته، وكان يصلي بين العشاءين أربعاً بـ «السجدة»، و«يسٓ»، و«الدخان»، و«تبارك»، لا يكاد يُخِلّ بهنَّ، ويقوم السَّحَر بسُبْع، وربما رفع صوته، وكان حَسَن الصوت.

جاءه مرة الملك العزيز ابن العادل يزروه، فصادفه يصلي، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته، ثم اجتمع به، ولم يتجوز في صلاته.

قال عنه سبط ابن الجوزي: وكان صحيح الاعتقاد مبغضاً للمشبهة.

قال الضياء: وسمعت الحافظ اليونيني يقول: لما كنت أسمع شناعة الخَلْق على الحنابلة بالتشبيه عزمت على سؤال الشيخ الموفق، وبقيت أشهراً أريد أن أسأله، فصعدت معه الجبل -جبل قاسيون، حيث الصالحية، وفيها ديارهم- فلما كنا عند دار ابن محارب، قلت: يا سيدي، وما نطقتُ بأكثر من سيدي، فقال لي: التشبيه مستحيل، فقلت: لِمَ؟ قال: لأن من شرط التشبيه أن نرىٰ الشيء، ثم نشبهه، مَن الذي رأى الله ثم شبهه لنا؟

ويقول ابن رجب: ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام، وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول

وغيره، لا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات، من غير تفسير ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تحريف، ولا تأويل ولا تعطيل.

قال ضياء الدين المقدسي: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فألقىٰ عليَّ مسألة، فقلت: هٰذه في الخِرَقي، فقال: ما قصَّر صاحبكم الموفق في شرح الخرقي.

وقال: كان الموفق -رحمه الله- إماماً في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحد في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل.

وقال: ولما قدم بغداد قال له الشيخ أبو الفتح ابن المَنِّيّ: اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك.

وقال: سمعت داود بن صالح المقرئ، سمعت ابن المَنِّيّ يقول -وعنده الإمام الموفق-: إذا خرج هٰذا الفتى من بغداد احتاجت إليه.

وسمعتُ المفتي أبا بكر محمد بن معالي بن غَنيمة يقول: ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق.

وسمعتُ الحافظ أبا عبد الله اليُونيني يقول: أما ما علمتُه من أحوال شيخنا وسيدنا موفق الدين فإني إلى الآن ما أعتقِدُ أن

شخصاً ممن رأيتُه حصل له من الكمال في العلوم، والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمالُ سواه؛ فإنه -رحمه الله- كان إماماً كاملاً في صورته ومعناه من حيث الحسن والإحسان، والحلم والسُّؤدد، والعلوم المختلفة والأخلاق الحميدة، والأمور التي ما رأيتها كملت في غيره، وقد رأيت من كرم أخلاقه، وحسن عشرته، ووفور حلمه، وكثرة علمه، وغزير فطنته، وكمال مروءته، وكثرة حيائه، ودوام بشره، وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها، والمناصب وأربابها، ما قد عجز عنه كبار الأولياء، فإن رسول الله ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً أفضل من أن يُلهمه ذكره»(*) فقد ثبت بهٰذا أن إلهام الذِّكر أفضل الكرامات، وأفضل الذكر ما يتعدَّىٰ نفعه إلىٰ العباد، وهو تعليم العِلْم والسُّنَّة، وأعظم من ذٰلك وأحسن ما كان جِبِلَّةً وطَبْعاً، كالحلم والكرم والفضل والعقل والحياء، وكان الله قد جَبَلَهُ على خُلُقٍ شريف، وأَفرغَ عليه المكارم إفراغاً، وأسبغ عليه النِّعَم، ولطف به في كل حالٍ.

وله نظم حسن، قال سبط ابن الجوزي: أنشدني الموفق لنفسه:

أبعـدَ بيـاضِ الشيـبِ أَعْمُـر مَسْكنـاً
سـوىٰ القبـرِ إنـي إنْ فعلـتُ لأحمـقُ

(*) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢٣٧ من حديث أبي ذر. وهو في «الترغيب والترهيب» للمنذري ٢/ ٢٧٣ (٢٢١٨).

يُخَبِّــرنــي شيبــي بــأنــي مَيِّــتٌ
وشيكــاً ويَنْعــانِــي إلــيَّ فَيَصْــدُقُ

يُخــرِّق عُمْــرِي كــلَّ يــومٍ وليلــةٍ
فهــل أستطيــعُ رَقْــعَ مــا يتخــرَّقُ

كــأنــي بجسمــي فــوق نعشــي مُمَــدَّداً
فمِــن ســاكــتٍ أو مُعْــوِلٍ يتحــرَّقُ

إذا سُئِلــوا عنّــي أجــابــوا وأعْــوَلــوا
وأدمُعُهُــم تنهَــلُّ هٰــذا المــوفــقُ

وغُيِّبْــتُ فــي صَــدْعٍ مــن الأرض ضَيِّــقٍ
وأُودِعــتُ فــي لَحْــدٍ بــه التــربُ مطبَــقُ

ويحْثُــوا علــيَّ التُّــرْبَ أوثــقُ صــاحــبٍ
ويُسْلِمُنــي للتُّــرْب مَــن هــو مُشْفِــقُ

فيا ربِّ كنْ لي مُؤْنساً يوم وَحْشَتي
فــإنــي بمــا أنــزلْتَــهُ لَمُصَــدِّقُ

ومــا ضــرنــي أنــي إلــىٰ اللهِ صــائِــرٌ
ومــن هــو مــن أهلــي أبَــرُّ وأرفَــقُ

ومن شعره قوله:

أتغفَـــلُ يـــا ابـــنَ أحمـــدَ والمنـــايـــا

شـــوارعُ تَخْتَـــرِمْنَـــكَ عـــن قـــريـــبِ

أغـــــرَّكَ أنْ تَخَطَّتـــــك الـــــرزايـــــا

فكـــم للمـــوت مِـــن سهـــمٍ مُصيـــبِ

كـــؤوسُ المـــوتِ دائـــرة علينـــا

ومـــا للمـــرء بُـــدٌّ مـــن نَصيـــبِ

إلـــىٰ كـــم تجعـــلُ التســـويـــف دأبـــاً

أمـــا يكفيـــكَ إنـــذارُ المَشيـــبِ

أمـــا يكفيـــك أنـــك كـــلَّ حيـــنٍ

تَمُـــرُّ بغيـــر خِـــلٍّ أو حبيـــبِ

كـــأنـــك قـــد لحقـــتَ بهـــم قـــريبـــاً

ولا يغنيـــك إفـــراطُ النحيـــبِ

ومن شعره أيضاً قوله:

لا تَجْلِسَـــــنَّ ببـــــاب مَـــــن

يـــأبـــىٰ عليـــكَ دخـــولَ دارِهْ

ويقـــول حـــاجـــاتـــي إليـــ

ـــهِ يَعُـــوقُهـــا إنْ لَـــمْ أُدارِهْ

واتْـــــرُكْـــــهُ واقْصِـــــدْ ربَّهـــــا
تُقْضَـــــىٰ وربُّ الـــــدارِ كـــــارِهْ

تزوج الموفق ابنة عمه مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن سعد المقدسي، فأنجبا المجد عيسى، ومحمد، ويحيى، وصفية، وفاطمة، ثم تسرَّى الموفق بجارية، ثم بأخرى، ثم تزوَّج عِزِّيَّةَ فماتت قبله. مات أولاده محمد ويحيى وعيسى في حياته، ولم يعقب من ولده سوى عيسى خلف ولدين صالحين وماتا وانقطع عقبه.

انتقل إلى رحمة الله يوم السبت، يوم الفطر، سنة عشرين وست مئة، ودُفِن من الغد بجبل قاسيون خلف الجامع المظفَّري، في مقبرتهم المشهورة، وكان جمع عظيم لم ير مثله.

قال محمد بن عبد الرحمن العلوي: كنا بجبل بني هلال فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيماً، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق وسميت تربته بالروضة؛ لأنه رؤي بعض الموتىٰ المدفونون هناك في سرور عظيم، فسُئل عن ذٰلك؟ فقال: كنا في عذاب، فلما دفن عندنا الموفق صارت تربتنا روضة من رياض الجنة.

تلقَّىٰ الموفقُ العِلْمَ على علماء عصره، بدمشق وبغداد ومكة والموصل، وله مشيخة حافلة، ذكر الذهبي أنه سمعها.

ومن العلماء الذين سمع منهم بدمشق

١ - والده أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.

٢ - أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن علي بن صابر السُّلَمِيّ الدمشقي.

٣ - أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن هلال الأزدي الدمشقي المُسْنِد.

ومن العلماء الذين سمع منهم ببغداد

١ - محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن جنكي الجيلي الحنبلي شيخ بغداد، نزل الموفق عنده بمدرسته أول قدومه بغداد، وقرأ عليه من «الخرقي».

٢- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد، ابن الجوزي البغدادي الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف، أقام عنده ببغداد بعد إقامته عند عبد القادر الجيلي، وسمع منه.

٣ - ناصح الإسلام أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر، ابن المَنِّيّ، النهرواني الحنبلي المفتي شيخ الحنابلة، تلا عليه بحرف أبي عمرو ببغداد، ولازمه، وقرأ عليه المذهب والخلاف والأصول.

٤ - أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد، ابن الخشاب البغدادي، العلامة المحدث، إمام النحو، كان إمام

عصره في علم العربية والنحو واللغة، وكان علماء عصره يستفتونه فيها، ويسألونه عن مشكلاتها.

وسمع بالموصل من أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الشافعي، خطيب المَوْصِل.

وسمع بمكة المكرمة من أبي محمد المبارك بن علي البغدادي الحنبلي المحدث الحافظ، إمام الحنابلة بالحرم.

وذكر الذهبي أنه قد سمع هو وابن خاله الحافظ عبد الغني من الشيخ عبد القادر الجيلي، ومن هبة الله بن الحسن الدقاق، وأبي الفتح بن البطي، وأبي زُرْعَة بن طاهر، وأحمد بن المُقَرّب، وعلي ابن تاج القراء، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن محمد الرحبي، وحيدرة بن عمر العلوي، وعبد الواحد بن الحسين البارزي، وخديجة النهروانية، ونفيسة البزّازة، وشهدة الكاتبة، والمبارك بن محمد البادرائي، ومحمد بن محمد بن السكن، وأبي شُجاع محمد بن الحسين المادرائي، وأبي حنيفة محمد بن عبيد الله الخطيبي، ويحيى بن ثابت.

وقد ذكر محقق كتاب «المغني» في مقدمته العلماء الذين تلقى عليهم العلم فبلغ عددهم اثنين وثلاثين.

أما الذين تلقوا العلم على الشيخ الموفق أو سمعوا منه الحديث، وتفقهوا عليه، وقرؤوا عليه مؤلفاته فهم كثر، وقد ذكر الذهبي أنه حدث عنه البهاء عبد الرحمٰن، والجمال أبو موسى ابن

الحافظ، وابن نُقطة، وابن خليل، والضياء، وأبو شامة، وابن النجار، وابن عبد الدائم، والجمال ابن الصيرفي، والعز إبراهيم ابن عبد الله، والفخر عليّ، والتقي ابن الواسطي، والشمس ابن الكمال، والتاج عبد الخالق، والعماد ابن بدران، والعز إسماعيل ابن الفراء، والعز أحمد ابن العماد، وأبو الفَهْم ابن النميس، ويوسف الغسولي، وزينب بنت الواسطي، وخلق آخرهم موتاً التقي أحمد بن مؤمن يروي عنه بالحضور أحاديث.

وذكر محقق «المغني» من تلقي العلم على الشيخ الموفق فبلغ عددهم اثنين وخمسين.

وقد صنف الموفق العديد من الكتب في أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير، والحديث، والفقه، والأنساب والفضائل، أهمها كتاب «المغني شرح مختصر الخِرَقي» في الفقه على مذهب أحمد ابن حنبل والخلاف بين العلماء، وهو كتاب عظم النفع به، حتى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المُحَلَّى والمُجَلَّى -لابن حزم- وكتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة في جودتهما وتحقيق ما فيهما، ونقل عنه أيضاً أنه قال: ما طابت نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة «المغني» مع أنه كان يسامي الشيخ في زمانه.

و«روضة الناظر وجنة المناظر» في أصول الفقه، و«الكافي» و«المقنع» في الفقه في فروع الحنبلية، و«ذم التأويل»، و«ذم ما عليه مُعاني التصوف من الغناء والرقص»، و«ذم الوسواس»

و«الاعتقاد» و«مسألة العلو» و«لمعة الاعتقاد» و«التوابين» و«فضائل الصحابة» وغيرها.

وقد ذكر محقق «المغني» كل ما استطاع أن يتوصل إليه من مصنفات الموفق فبلغ عددها سبعة وأربعين ما بين كتاب من عدة مجلدات أو جزء صغير، أو رسالة، أو وصية[1].

وها نحن نقدم هٰذا الشرح لكتاب «لمعة الاعتقاد».

---

(١) انظر أهم مصادر ترجمة ابن قدامة:
«سير أعلام النبلاء» ٢٢/ ١٦٥ - ١٧٣، «شذرات الذهب» ٥/ ٨٨ - ٩٢، «البداية والنهاية» ١٣/ ٩٩ - ١٠١، «ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب» ٢/ ١٣٣ - ١٤٩، «المغني» مقدمة المحقق ١/ ٦ - ٣٧.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - رحمه الله -:

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

---

(١) الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذه العقيدة المسماة بـ(لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) ومؤلفها هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الحنبلي من كبار شيوخ المذهب الحنبلي، وله مؤلفات في الفقه والأصول وغيرها، له من المؤلفات في الفقه (عمدة الفقه) مختصر، ثم (المقنع) وهو أكبر من العمدة وأبسط، ثم (الكافي) وهو أوسع من المقنع، ثم (المغني) وهو الكتاب المشهور والموسوعة العظيمة في الفقه اشتمل على كثير من فقه السلف والمذاهب الأربعة بأدلتها، ثم يُرجح القول الراجح في الغالب في هذا الكتاب الذي صار مرجعاً من مراجع الفقه الإسلامي.

وله في الأصول (روضة الناظر وجنة المناظر) وله غير ذلك من المؤلفات في الوعظ وفي سائر الفنون العلمية، فهو إمام جليل، ومن =

= مؤلفاته في العقيدة هذه الرسالة (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) فقد اهتم العلماء - رحمهم الله ومنهم هذا الإمام في توضيح العقيدة الصحيحة ونفي ما علق بها من الشبه والتشكيكات لحاجة الناس إلى ذلك، خصوصاً بعدما ظهرت الفرق الضالة بعقائدها وشبهاتها، احتاج العلماء إلى أن يبينوا العقيدة الصحيحة، وأن يردوا على من خالفها، وهذا من قديم الزمان والعلماء مهتمون بأمر العقيدة فألفوا فيها المؤلفات الكثيرة من المتقدمين ومن المتأخرين تحت أسماء مختلفة، منهم من يسمي كتب العقيدة كتب السنة، مثل كتاب (السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، كتاب (السنة) للخلال، كتاب (السنة) لابن أبي عاصم، ومنهم من يسميها الشريعة مثل: كتاب (الشريعة) للآجري، ومنهم من يسميها الأصول مثل: كتاب (أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي، إلى غير ذلك. ومنهم من يسميها بالتوحيد، مثل كتاب (التوحيد) لابن خزيمة، كتاب (التوحيد) لابن منده، كتاب (التوحيد) لشيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (تجريد التوحيد) للإمام العلامة المؤرخ المقريزي، ومنهم من يسميها العقيدة أو الاعتقاد، مثل كتاب (العقيدة) للطحاوي المسماة بالعقيدة الطحاوية، ومثل (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومثل هذا الكتاب (لمعة الاعتقاد).

واللمعة: من اللمعان، وهو الشيء الذي له نور وله لمعان، فهي لمعة بمعنى أنها تلمع وتنير بخلاف الظلمة، ومناسبة تسميتها باللمعة من أجل الفرق بينها وبين الكتب المظلمة التي تشكك الناس في =

= عقائدهم.

والاعتقاد: مصدر اعتقد، وهو اليقين الجازم الذي يعتقده القلب، ويسمى بالإيمان، فالاعتقاد والإيمان بمعنى واحد، ولهذا يقول جبريل عليه السلام - للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان. قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(*) وهذه أصول الاعتقاد وتسمى بأركان الإيمان.

فلمعة الاعتقاد معناها بيان الاعتقاد الصحيح الذي يجب الالتزام به وترك ما سواه. (الهادي إلى سبيل الرشاد)، أي: المرشد والرشاد: ضد الغي والضلال. فهذا الاعتقاد يهدي إلى الطريق الصحيح الموصل إلى الله سبحانه وتعالى، بخلاف عقائد أهل الضلال فإنها تهدي إلى الهلاك وإلى الغواية.

بدأ رحمه الله كتابه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) عملاً بالسنة في أن بسم الله الرحمن الرحيم يُبدأ بها في كل أمر ذي بال، يعني في كل أمر له شأن وأهمية، يُبدأ بها بالنطق ويبدأ بها في الكتابة، كما بدأ الله سبحانه وتعالى كتابه القرآن الكريم بها، وبدأ بها كل سورة من القرآن الكريم، وكما كتبها سليمان - عليه السلام - في كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ =

(*) قطعة من حديث عمر بن الخطاب، ر اه أحمد في «مسنده» (٣٦٧)، ومسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٨/ ٩٧، وابن ماجه (٦٣)، وغيرهم.

= ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: ٢٩-٣٠]، وهي آية من كتاب الله؛ لأنها نزلت مع القرآن فهي آية من كتاب الله، لكنها آية مستقلة على الصحيح، إلا في سورة النمل فإنها بعض آية وإلا فهي آية مستقلة ليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما تُقرأ قبل السورة، ليست من سورة معينة إلا في النمل فهي بعض آية.

وقوله: (بسم الله) الجار والمجرور متعلق بمقدر، تقديره: أستعين ببسم الله أو أتبرك ببسم الله، والاسم: مأخوذ من السمو وهو الارتفاع، أو من السمة وهي العلامة وهو ما يتميز به الشيء، فإن الله سبحانه وتعالى وضع الأسماء وعلمها آدم كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] أسماء الأشياء، فكل شيء له اسم يتميز به.

وقوله (بسم الله) اسم مضاف، والله مضاف إليه، والمراد جميع أسماء الله سبحانه وتعالى؛ لأن المفرد إذا أضيف فإنه يعمّ، فقوله: (بسم الله) أي: بجميع أسماء الله سبحانه وتعالى أستعين بها وأتبرك بها، وأسماء الله كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله: علم على الذات المقدسة لا يسمى بهذا الاسم إلا هو سبحانه وتعالى، فلا يُطلق هذا الاسم (الله) إلا عليه سبحانه وتعالى لأن الله من الألوهية وهي العبودية، فهو المعبود سبحانه وتعالى المألوه الذي تألهه القلوب وتحبه إجلالاً وتعظيماً.

(الرحمن الرحيم) اسمان من أسمائه سبحانه وتعالى يتضمنان =

الحمد لله[1]

= الرحمة، والرحمة صفة من صفاته سبحانه وتعالى تليق بجلاله، والرحمن أيضاً لا يُسمى به إلا الله سبحانه وتعالى، وأما الرحيم قد يسمى به بعض الخلق، كما في قوله تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] والرحمن أعم من الرحيم؛ لأن الرحمن رحمة عامة لجميع المخلوقات، وأما الرحيم فهو رحمة خاصة بالمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فهما اسمان عظيمان يتضمنان وصف الله سبحانه وتعالى بالرحمة على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

(١) ثم بدأ بالحمد بعد بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: (الحمد لله) وهذا أيضاً من السنة أن يُبدأ الكلام بالحمد لله، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، وكما بدأ الله كتابه بالحمد لله رب العالمين في سورة الفاتحة، والحمد: معناه الثناء، فالله - جل وعلا - يُثنىٰ عليه ويُحمد لذاته ولأسمائه ولصفاته ولأفعاله - جل وعلا -.

وقوله: (الحمد) الألف واللام للاستغراق، أي: جميع المحامد لله - عز وجل - فهو المستحق للحمد على الإطلاق، والحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر يكون على الأفعال فقط، وأما الحمد فيكون على أوسع من ذلك على الذات وعلى الأسماء والصفات والأفعال. فقوله: (الحمد لله) أي: الثناء الكامل مستحق لله - عز وجل - وحده لا شريك له.

المحمود بكل لسان[1]، المعبود في كل زمان[2].

---

(١) (المحمود بكل لسان) أي: المثنى عليه سبحانه وتعالى بكل لغة من اللغات التي علمها مخلوقاته، فكل المخلوقات تحمده وتسبحه سبحانه وتعالى. ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] فكل المخلوقات تحمده سبحانه وتعالى بلغاتها التي يعلمها سبحانه وتعالى.

(٢) (المعبود في كل زمان) أي: المستحق للعبادة سبحانه وتعالى دائماً وأبداً، ولا يزال خلقه يعبدونه سبحانه وتعالى إلى أن تقوم الساعة، فلا يخلو زمان من وجود عباد لله سبحانه وتعالى يعبدونه ويوحدونه إلى أن تقوم الساعة. وكذلك في كل مكان، فإن الله سبحانه وتعالى يُعبد في السماوات ويُعبد في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي: معبود، فهو معبود في السماء سبحانه وتعالى ومعبود في الأرض، يعبده العالم العلوي والعالم السفلي والجن والإنس في كل مكان من مخلوقاته سبحانه وتعالى فلا تختص عبادته بمكان دون مكان، ولهذا يقول ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»(*) ولكن الله خصَّ بعض الأماكن لمزيد فضل عبادته سبحانه وتعالى فيها وإلا فإنه يُعبد سبحانه في كل مكان من أرضه وسمائه.

(*) قطعة من حديث جابر بن عبد الله أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي ١/ ٢١٠-٢١١.

الذي لا يخلو من علمه مكان[1].

---

(١) (الذي لا يخلو من علمه مكان) يعلم ما في السماوات وما في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو يعلم سبحانه وتعالى ما كان وما يكون، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥] علم ذلك - سبحانه وتعالى في الأزل ثم كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، وهو يعلم سبحانه وتعالى دائماً وأبداً لا ينفك عن علمه سبحانه وتعالى فعلمه صفة أزلية أبدية لله سبحانه وتعالى علمه في كل مكان، وهو سبحانه وتعالى في السماء فوق العرش لا يخفى عليه شيء من مخلوقاته وأرضه وسماواته ولا من الماضي ولا من المستقبل، يعلم ما كان وما يكون وأين يكون وكيف يكون، لا يخفى على علمه شيء ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] ففرق بين ذاته سبحانه وعلمه، ذاته في العلو فوق السماوات، وأما علمه فهو كل مكان لا يخلو منه مكان.

ولا يشغله شأن عن شأن[1]، جَلَّ عن الأشباه والأنداد[2]، وتنزه عن الصاحبة والأولاد[3]

---

(١) (ولا يشغله شأن عن شأن) لا يشغله فعل عن فعل، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغني، فهو سبحانه وتعالى يُدبر أمر مخلوقاته ولا يُشغله فعل عن فعل، بخلاف المخلوق فإن المخلوق إذا اشتغل بعمل فإنه لا يمكن أن ينشغل بعمل آخر، أما الله - جل وعلا - فلا يمكن أن يشغله فعل عن فعل؛ وذلك لكمال قدرته سبحانه وتعالى وكمال علمه.

(٢) (جل) أي: عظم شأنه سبحانه (عن الأشباه) فلا يشبهه شيء من مخلوقاته (والأنداد) جمع ند وهو الشبيه أيضاً، فلا شبيه له ولا ند له ولا كفء له سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) (تنزه عن الصاحبة) والصاحبة هي الزوجة، تنزه: يعني تقدس سبحانه وتعالى عن الزوجة، (والأولاد) لغناه - سبحانه وتعالى عن خلقه؛ لأنه لا يحتاج للزوجة والأولاد إلا المخلوق لضعفه وحاجته إلى من يعينه، فالله - جل وعلا - غني عن خلقه ليس بحاجة إلى الزوجة ولا إلى الولد؛ ولأن الولد جزء من الوالد والله - جل وعلا - لا شبيه له ولا ند له ولا كفء له، فهو غني عن خلقه، وأيضاً هو لا شبيه له من خلقه، ما اتخذ الله من ولد.

فالله جل وعلا - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وهذا في آيات كثيرة، نزه نفسه عن الولد رداً على الذين وصفوه بأن له ولداً =

ونفذ حكمه في جميع العباد[1]. لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير[2]

= كالنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، واليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وكأهل الجاهلية من المشركين الذين يقولون: الملائكة بنات الله. الله - جل وعلا - منزه ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني زوجة. فهو منزه عن ذلك وإنما هذا لائق بالمخلوقين، هم الذين يحتاجون إلى التزاوج ويحتاجون إلى الذرية والأولاد، أما الله - جل وعلا - فإنه غني عن خلقه وخلقه محتاجون إليه ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم] كلهم عبيده ليس منهم أحد ولد لله سبحانه وتعالى كما يقوله الكافرون والضالون من اليهود والنصارى والمشركين.

(١) (نفذ حكمه) أي: قضاؤه وقدره، والمراد بالحكم هنا الحكم القدري نافذ في جميع العباد، فلا أحد يستعصي على قضاء الله وقدره، المؤمن والكافر، والحي والجماد، جميع المخلوقات كلها ينفذ فيها قضاء الله وقدره، لا أحد يستعصي على ذلك أو يمتنع من ذلك، فأحكامه القدرية نافذة في خلقه سبحانه وتعالى لا محيد لهم عنها.

(٢) لا تمثله العقول بالتفكير ولا النفوس بالتصوير، فإنه سبحانه =

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][1].

= وتعالى لا مثل له ولا شبيه له، ولا أحد يعلم ذاته سبحانه إلا هو سبحانه وتعالى، فلا يجوز لأحد أن يتصور الله أنه كذا وكذا أو أن يُشَبَّه بكذا وكذا، لا يجوز هذا ولا يمكن هذا أيضاً، ولا يحيطون به علماً سبحانه وتعالى.

(١) هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فيها نفي للمماثلة عنه سبحانه وتعالى، فلا أحد يماثله ولا أحد يشبهه ولا أحد يكافيه سبحانه وتعالى؛ لأنه أعظم من كل شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذا فيه استغراق للنفي؛ لأن النكرة إذا ذُكرت في سياق النفي تعم، فلا أحد يشبه الله - عز وجل - من جميع المخلوقات لعظمته وكبريائه سبحانه وتعالى وغناه وقدرته؛ فلا أحد يشبه الله - عز وجل - من الخلق. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وصف نفسه بالسمع والبصر، ونفى عن نفسه المشابهة فدل على أن إثبات الصفات لله - عز وجل - لا يقتضي التشبيه كما يقوله أهل الضلال، فهو نفى عن نفسه المشابهة، وأثبت لنفسه السمع والبصر فدلّ على أنه لا تلازم بين إثبات الصفات وبين المشابهة، وإن كانت أسماء هذه الصفات موجودة في المخلوقين السمع والبصر والكلام والقدرة والوجه واليدان ولكن هذه خاصة بالمخلوقين، وأما صفات الله - جل وعلا - فهي لائقة به لا تشابهها صفات المخلوقين، وإن اتفقت في الاسم والمعنى إلا أنها في الحقيقة والكيفية مختلفة تماماً ومتباينة.

[الكلام في أسماء الله تعالى وصفاته]

له الأسماء الحسنى والصفات العلى[1] ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه][2]

---

(١) (له الأسماء الحسنى) هذا فيه إثبات الأسماء لله - عز وجل - كما أثبتها لنفسه ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨] فأخبر أن له الأسماء وأخبر أن كلها حسنى، يعني تامة كاملة لا يعتريها نقص (والصفات العلى) أي: العلية، والصفات كالرحمة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، هذه يقال لها: الصفات، أما السميع البصير الخبير فهذه أسماء، وكل اسم منها يُشتق منه صفة لله - جل وعلا - فالقدير فيه إثبات القدرة، والسميع فيه إثبات السمع، والبصير فيه إثبات البصر، والعليم فيه إثبات العلم، والحكيم فيه إثبات الحكمة، وهكذا كل اسم من أسمائه فإنه يتضمن صفة من صفاته سبحانه وتعالى. له الأسماء الحسنى التي سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ﷺ وله الصفات العلى العلية الرفيعة التي لا يشبهها شيء.

(٢) هذه الآيات من أول سورة (طه) كما قال سبحانه: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ [طه: ٤] أي: القرآن منزل من عند الله سبحانه وتعالى وهو كلامه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] هذه الآية هي إحدى الآيات السبع التي أثبت الله فيها استواءه على العرش استواءً حقيقياً يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهو علوه على العرش، والعرش =

= مخلوق من مخلوقات سبحانه وتعالى. استوى: أي: استقر وعلا وارتفع سبحانه وتعالى عليه وعلا عليه واستقر عليه - جل وعلا - لكن كل هذه المعاني تليق بجلاله سبحانه وتعالى ليس كاستقرار المخلوق على المخلوق أو علو المخلوق على المخلوق أو ارتفاع المخلوق على المخلوق. المخلوق إذا ارتفع على شيء فإنه بحاجة إلى هذا الشيء يرفعه لئلا يسقط، أما الله - جل وعلا - فليس بحاجة إلى العرش ولا إلى السماوات بل العرش محتاج إليه والسماوات محتاجة إليه فهو الذي يمسكها - سبحانه وتعالى - وهو الذي خلقها، فهي بحاجة إليه وهو ليس بحاجة إليها، فلا يُشبه استواؤه على العرش استواء المخلوق على المخلوق، وإن كان المعنى واحداً لكن الكيفية والحقيقة مختلفة. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] هذا خبر منه سبحانه وتعالى في آيات سبع كلها مطردة بها اللفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٧، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٥٧] وقوله في طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ على العرش استوى﴾ [٥] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [طه: ٦] له ما في السموات السبع من المخلوقين من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المخلوقات كلها له سبحانه وتعالى من آدميين وبهائم وجن وإنس وحيوانات وطيور وغير ذلك، كل ما يدب على الأرض ويمشي على الأرض ويوجد على الأرض فإنه ملك لله سبحانه وتعالى، يتصرف فيه ويدبره ويرزقه سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ما بين السماوات والأرض من المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو فهي ملك له سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ وما تحت أديم الأرض وسطح =

أحاط بكل شيء علماً[1]. وقهر كل مخلوق عزة وحكماً[2]

= الأرض من المخلوقات ومن المعادن، ومن الأموات، كلها لله سبحانه وتعالى هي ملكه وهو الذي خلقها، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] يستوي في علمه سبحانه وتعالى الجهر والسر. يسمع الجهر ويسمع السر ﴿وَأَخْفَى﴾ أي: أخفى من السر، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه: ٨] لا معبود بحق سواه ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨] هذا إثبات الأسماء لله سبحانه وتعالى وأنها حسنى كلها حسنى تامة كاملة منزهة عن النقص والعيب.

(١) (أحاط بكل شيء علماً) أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون، في الماضي وفي المستقبل وفيما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى كل شيء بعلمه سبحانه وتعالى لا يكون شيء إلا بعلمه.

(٢) (قهر كل مخلوق) أي: أخضعه لسلطانه سبحانه وتعالى، كل مخلوق، لا يستثنى من هذا أي مخلوق من الأغنياء والفقراء والملوك والصعاليك، والملائكة والأنبياء والرسل وجميع المخلوقات، كلها مقهورة لله سبحانه وتعالى تحت تصرفه وقهره سبحانه وتعالى وتدبيره سبحانه وتعالى، لا أحد يخرج عن ذلك. ففي هذا رد على الذين يزعمون أن هناك من الأولياء والأقطاب من يتصرفون في الكون كما يقوله الملاحدة من الصوفية.

(عزة) أي: قوة (وحكماً) أي: كل شيء تحت حكمه سبحانه وتعالى أخضعه له سبحانه وتعالى، يتصرف فيه ويدبره، ولا يستعصي شيء عليه سبحانه وتعالى.

ووسع كل شيء رحمة وعلماً[1] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[2] [طه: ١١٠]

---

(١) (وسع كل شيء رحمة وعلماً) أي: وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وعلمه أيضاً وسع كل شيء، كما سبق ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [طه: ١١٠]، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، فلا يخفى شيء على علمه سبحانه وتعالى، علمه وسع الأشياء كلها بخلاف المخلوق فإنه يعلم شيئاً ويجهل أشياء كثيرة، أما الله - جل وعلا - فإنه يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء، كل الأشياء يعلمها سبحانه وتعالى، ورحمته وسعت كل شيء، حتى الكفار وسعتهم رحمة الله سبحانه وتعالى بمعنى أن الله يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم ما يحتاجون إليه، هذا من رحمته سبحانه وتعالى، وحتى الحيوانات تعيش تحت رحمة الله سبحانه وتعالى يعطيها ويرزقها ويعافيها ويشفيها من الأمراض، ويسخرها للعطف على أولادها مع أنها لا ترجو من أولادها شيئاً، ومع هذا تشفق على أولادها، وتحن وتحنو على أولادها رحمة من الله سبحانه وتعالى، هذا من رحمة الله التي وسعت كل شيء الحيوانات والمؤمنين والكفار. هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإن رحمته خاصة بالمؤمنين أما الكفار فلا طمع لهم برحمة الله عز وجل في الآخرة.

(٢) ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يعلم ما مضى ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ يعني ما يأتي في المستقبل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ لا يحيط العباد بالله - عز وجل - علماً، فلا يعلمون ربهم سبحانه وتعالى بمعنى أنهم لا =

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم[1]، وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن، وجب الإيمان به[2]

= يحيطون بذاته، وأسمائه وصفاته وشأنه سبحانه، هذا لا يعلمه العباد إلا ما أطلع الله العباد عليه من أجل أن يعرفوه سبحانه وتعالى ويعبدوه وحده لا شريك له، فلا علم لهم إلا ما علمهم الله - جل وعلا - حتى الملائكة يقولون: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا.

(١) موصوف سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وهو القرآن، وبما وصفه به نبيه ﷺ في سنته، فالأسماء والصفات توقيفية لا يجوز لنا أن نحدث له اسماً لم يثبته لنفسه ولم يثبته له رسوله ﷺ، ولا أن نحدث له صفة لم يصف بها نفسه ولم يصفه بها رسوله ﷺ. هذا معنى قوله: (موصوف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به نبيه العظيم ﷺ) لأنه لا أعلم بالله - جل وعلا - من الله، ولا أعلم بالله بعد الله من رسول الله ﷺ، فنحن متبعون ومقتدون لا نحدث شيئاً من عند أنفسنا واستحساناتنا وأفكارنا وعقولنا هذا ممنوع في حق الله سبحانه وتعالى.

(٢) هذا شرح للجملة التي قبلها، كل ما جاء في القرآن الكريم وصح عن النبي ﷺ بما يخبر به عن ربه سبحانه وتعالى وجب الإيمان به والتسليم، فنثبته كما أثبته الله وكما أثبته رسول الله ولا نتدخل بأفكارنا وعقولنا وتساؤلاتنا في ذلك؛ لأن هذا أمر توقيفي لا يجوز أن نتدخل فيه، وإنما يجب علينا التسليم والإيمان والانقياد، هذا شأن =

= العبد.

وأيضاً لا فرق بين ما أثبته الله لنفسه في كتابه وبين ما أثبته له رسوله ﷺ في سنته، وكل ما صبح في السنة من أسماء الله وصفاته وجب الإيمان به كما يجب الإيمان بما في القرآن، بخلاف الذين لا يحتجون بالسنة عموماً أو لا يحتجون بخبر الآحاد خصوصاً من أهل الضلال فهذه طريقة ضالة. فكل ما صح عن رسول الله ﷺ سواء كان متواتراً أو آحاداً في أسماء الله وصفاته وجب الإيمان به والتسليم له، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

فكل ما صح عن رسول الله ﷺ في هذا الباب باب الأسماء والصفات فإنه يجب الإيمان به والتصديق به، وتسمية الله ووصفه بذلك، كما في القرآن الكريم لا فرق في ذلك، ومن فَرَّق فإنه يكون من أهل الضلال مكذباً للرسول ﷺ، ومن كَذَّب الرسول ﷺ كَفَر.

(١) تلقيه: يعني قبوله، وتلقيه يعني حفظه وروايته والتحدث به وقبوله من غير اعتراض؛ لأنه من عند الله أو من عند رسوله ﷺ، وشأننا في ذلك التسليم والانقياد لا الاعتراض والتدخل بأفكارنا وعقولنا كما يفعل أهل الضلال.

(٢) ترك التعرض لما ثبت عن الله في كتابه، أو ثبت عن رسول الله ﷺ في سنته من أسماء الله وصفاته بالرد والرفض، كالذين يقولون: =

والتأويل والتشبيه والتمثيل[1].

= لا نقبل الاحتجاج بالسنة لا نقبل الاحتجاج بخبر الآحاد. هذا رد لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، وإيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض - نسأل الله العافية - وبعضهم لا يرد ما جاء في الكتاب والسنة لا يرد لفظه ولكن يرد معناه فيأخذ في التأويل ويفسره بغير تفسيره، فهذا رد للمعنى، وهو مثل رد اللفظ. فهم ما بين أمرين: إما أن يردوا النص ولا يقبلوه، وإما أن يقبلوا النص في الظاهر لكن يؤولونه ويحرفونه عن معناه الصحيح إلى ما يوافق أهواءهم ويوافق تصورهم، أو يرافق قواعدهم المنطقية والكلامية والعقليات التي يسمونها، فيخضعون النصوص للعقول والاصطلاحات البشرية، فهذا في الحقيقة يتنافى مع الإيمان بما جاء عن الله وجاء عن رسوله.

الواجب أن نؤمن بما جاء عن الله ورسوله لفظاً ومعنى، أن نقبل اللفظ وأن نقبل المعنى، ولا نتدخل في تأويله أو تحريفه أو تفسيره بغير معناه، كما فعل أهل الضلال من المؤولة والمُعطلة.

(١) (والتأويل) مذهب طائفة (والتشبيه) مذهب طائفة أخرى تثبت اللفظ والمعنى لكن تُشبِّه الله بخلقه، وهؤلاء هم المشبهة الذين يُشبهون الله بخلقه، يُشبهون صفاته بصفاتهم وأسماءه بأسمائهم، هؤلاء غلاة غلو في الإثبات. والصنف الأول المعطلة غلو في التنزيه والنفي، وكلا الطائفتين خارج عن الحق والصواب، والحق هو ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل. هذا هو الصواب =

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه على قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(1) [آل عمران: ٧].

= الذي عليه أهل الحق، وأما من خالفهم من أهل التعطيل والتأويل أو التشبيه والتمثيل فإن أقوالهم ضلال وباطل.

(١) هذه الجملة غير مسلمة من الشيخ - رحمه الله - كأنه يقسم نصوص الصفات إلى قسمين: قسم يظهر لنا معناه وتفسيره فهذا نؤمن به ونؤمن بمعناه وتفسيره، والقسم الثاني لا يظهر لنا معناه فهذا نفوضه إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا غلط؛ لأن جميع نصوص الأسماء والصفات كلها معلومة المعنى ليس فيها شيء مشتبه أو من المتشابه، فليست نصوص الأسماء والصفات من المتشابه ولا تدخل في المتشابه، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وأخبر أنه لم يجد في كلام السلف ولا في كلام العلماء المعتبرين من قال: إن الأسماء أو الصفات أو شيئاً منها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فكل نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يُعلم معناه ويُفسر ويُوضح وليس فيها شيء من المتشابه الذي لا يُعلم معناه، كما يقول هنا، وإنما أخبر الله - جل وعلا - أنه أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات، وما معنى المتشابهات والمحكمات؟ قالوا: المحكم هو الواضح المعنى الذي لا يحتاج في تفسيره إلى =

. . . .

= غيره، وأما المتشابه فهو الذي يحتاج في تفسيره وبيان معناه إلى غيره. هناك نصوص مشكلة لكن إذا رُدت إلى النصوص الأخرى التي توضحها زال الإشكال واتضح الحق. قالوا: وهذا مثل العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، هذا هو معنى المحكم والمتشابه. وهذا موجود في القرآن وفي السنة، هناك نصوص أو أدلة مشكلة فترد إلى النصوص الأخرى، وكلام الله يفسر بعضه بعضاً، وكلام النبي ﷺ يفسر بعضه بعضاً. هذا معني المحكم والمتشابه. الأم هي الأصل الذي يُرجع إليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ يُشكل معناها إذا انفردت، لكن إذا رُدت إلى النصوص المحكمة وضحتها وبينتها، فالراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم ويفسِّرون كلام الله بعضه ببعض، ويفسرون كلام الرسول ﷺ بعضه ببعض، أو يفسرون كلام الله بسنة الرسول ﷺ ويفسرون سُنَّة الرسول بكلام الله؛ لأنه كله من عند الله، ولهذا يقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [آل عمران: ٧] أي المحكم والمتشابه.

أما أهل الزيغ والعياذ بالله فإنهم يأخذون المتشابه ويستدلون به، ويتركون المحكم، ولا يردون المتشابه إلى المحكم لمقصد سيِّىء عندهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ فتنة الناس عن دينهم، ويقولون: هذا كلام الله وهذا كلام الرسول، فيفتنون الناس عن دينهم، وإذا جاؤوا لهم بآية متشابهة أو بحديث متشابه قالوا: هذا كلام الله وهذا كلام الرسول ماذا تقولون؟ فيشبهون على الناس أنهم يستدلون بكلام الله وكلام رسوله؛ فيفتنونهم عن دينهم. =

. . . .

= مثال ذلك: بعض الجهال الذين يبحثون عن نصوص متشابهة من الحديث ثم يخرجون بها على الناس يقولون: نستدل بهذا الحديث ليشوشوا على الناس أنهم ليسوا على الحق، وهذه الأحاديث التي جاؤوا بها ما خفيت على أهل العلم، أهل العلم فسروها وبينوا المراد منها، لكن هؤلاء يقطعون هذا عن هذا ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧] هذه طريقة أهل الزيغ في كل زمان ومكان، يفصلون كلام الله بعضه عن بعض، وكلام الرسول بعضه عن بعض، ويقولون: نحن نستدل بكلام الله وكلام رسوله!.

نقول: لا. . لم تستدلوا بكلام الله وكلام رسوله، لو استدللتم بكلام الله وكلام الرسول لأرجعتم المتشابه إلى المحكم، أما أنكم تأخذون بطرف وتتركون الطرف الآخر فهذا ليس استدلالاً بكلام الله ولا بكلام رسوله ﷺ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] هذه طريقة أهل الزيغ دائماً وأبداً، نسأل الله العافية.

أنواع التأويل

النوع الأول: أن المراد بالتأويل التفسير وبيان المعنى، وهذا هو المعروف عند المتقدمين كابن جرير وغيره، يسمون التفسير بالتأويل، فعلى هذا المعنى يكون الراسخون في العلم معطوفين على لفظ الجلالة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ أي: تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي: والراسخون في العلم يعلمون ذلك بخلاف غير الراسخين في العلم =

. . . .

= فإنهم لا يعلمون معنى المحكم والمتشابه، وهذه قراءة لبعض القراء أن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيكون الله - جل وعلا - يعلم ما أنزل والراسخون في العلم يعلمون ذلك بما علمهم الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم ورثة الأنبياء. وأما من دونهم من المتعلمين والمبتدئين فإنهم لا يصلون إلى هذه الدرجة.

والمعنى الثاني للتأويل: معرفة الحقيقة التي يؤول إليها الشيء في المستقبل، وعلى هذا المعنى يتعين الوقف على لفظ الجلالة من قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ لأنه لا يعلم حقائق هذه الأشياء التي ذكرها الله في القرآن من الجنة والنار وما يكون في يوم القيامة وما يكون في المستقبل لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله وكذلك الأسماء والصفات لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله - جل وعلا - فيتعين الوقف على لفظ الجلالة.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: هل ينتظرون، إلا ما يؤول إليه في المستقبل ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي: يوم تقع حقيقته وكيفيته التي أخبر الله عنها ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] إذا عاينوا يوم القيامة حقائق ما أخبر الله عنه من المغيبات عرفوا أنهم قد أخطؤوا، وأنهم قد قصروا، وأنهم قد أهملوا فيتمنون الرجوع أو أن أحداً يشفع لهم.

وكذلك قوله تعالى في قصة يوسف لما رفع أبويه على العرش وخروا له سجداً: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ =

. . . .

= [يوسف: ١٠٠] أي: هذا بيان حقيقتها ومآلها قد وقع الآن واتضح؛ لأنه في أول السورة يقول: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وما وقع تأويل هذا وبيانه إلا بعد مدة طويلة حينما ذهب أبوه وأمه وإخوته إليه في مصر بعد أن صار ملكاً عليها ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [يوسف ٩٩-١٠٠] العرش: كرسي الملك ومجلس الملك ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ سجود تحية وهذا كان جائزاً في دينهم فنسخ ذلك في شريعتنا ومنع من السجود للمخلوق، فهذا تأويل الرؤيا السابقة، هذا تأويلها وحقيقتها.

هذا معنى التأويل في القرآن أنه على قسمين:

القسم الأول: معرفة المعنى. والقسم الثاني: أنه معرفة الحقيقة والكيفية التي يؤول إليها الشيء في المستقبل. أما الأول فيعلمه العلماء، وأما الثاني فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

وهناك معنى ثالث للتأويل مُحدث أحدثه علماء الكلام: وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بدليل يقترن بذلك - بزعمهم -. ولا أصل لهذا التأويل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، وإنما هو اصطلاح اصطلحوه، لذلك يؤولون اليد بالقدرة، ويؤولون الوجه بالذات، ويؤولون الرحمة بإرادة الإنعام، والغضب بإرادة الانتقام، والنزول والمجيء بمجيء أمره ونزول أمره، وهكذا يحولون اللفظ ويفسرونه بغير معناه، هذا هو التأويل المذموم وهو اصطلاح مُحدث. أما التأويل الصحيح فهو ما ذُكر في =

. . . .

= القرآن وهو على نوعين كما أسلفنا.

أما أهل الزيغ الذين في قلوبهم زيغ فإنهم يأخذون بالمتشابه ولا يردونه إلى المحكم، يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم ويقولون: نحن استدللنا بالقرآن.

فيقول الخوارج: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] فيقولون: هذه الآية تدل على أن العاصي كافر وأنه مخلد في النار، ولا يردّون هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإلى قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وكذلك يأخذون قول الرسول ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(*) وما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] فيكفرون القاتل ولا يرجعون إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠] سماهم مؤمنين وهم يتقاتلون وأمر بالإصلاح بينهم وجعلهم من إخوتنا وهم يتقاتلون، فدل على أن القاتل لا يكفر، فلما ذكر القصاص: قال: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨] من أخيه: القتيل، فجعل القتيل أخاً للقاتل، فدل على أن القاتل لا يكفر وأنه أخ للقتيل بالإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ=

(*) قطعة من حديث أبي بكره أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

= إِخْوَةٌ﴾ فأهل الزيغ يأخذون طرفاً من الأدلة وهو متشابه القرآن والسنة ويتركون الطرف الآخر الذي يوضحه ويفسره ابتغاء الفتنة من أجل صرف الناس عن الحق وتشكيك الناس في الدين. ويقولون: إننا نستدل بالقرآن أو نستدل بالأحاديث. والصواب أنهم لم يستدلوا لا بالقرآن ولا بالأحاديث؛ لأن هذا ليس استدلالاً صحيحاً، بل هو قطع النصوص بعضها عن بعض ليس استدلالاً صحيحاً بل هو استدلال باطل. كما قال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧] فتُرجع الأدلة بعضها إلى بعض ولا يُضرب كتاب الله بعضه ببعض، أو كلام الرسول ﷺ يُضرب بعضه ببعض، وإنما يُرجع بعضه إلى بعض ويُفسر بعضه ببعض. ولهذا يقول الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] المحكم والمتشابه. فما دام أن كله من عند ربنا فإنه يفسر بعضه بعضاً، وكلام الله - جل وعلا - لا يتناقض، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فكلام الله ليس فيه اختلاف وليس فيه تناقض ولكن يحتاج إلى إيمان وإلى علم راسخ بوجوه الاستدلال وكيفية الاستدلال بالنصوص، يحتاج إلى بصيرة وإلى رسوخ في العلم بحيث يعرف ذلك المجتهد، ولذلك يشترطون في المجتهد أن يكون عالماً بكتاب الله وبسنة رسول الله، يعرف الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، يجب عليه أن يعرف هذه الأمور وإلا فإنه لا يسوغ له الاجتهاد والكلام في مسائل العلم حتى يعرف هذه الأمور؛ لئلا يقع فيما وقع فيه أهل الزيغ.

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ[1]،

---

(١) ابتغاء تأويل المتشابه دون إرجاعه إلى المحكم علامة على الزيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: انحراف، والزيغ معناه الانحراف عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ يأخذون بطرف فقط من الأدلة ويتركون الطرف الآخر ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ ابتغاء معرفة تأويله، أي: تفسيره على المعنى الأول أو ما يؤول إليه في المستقبل وهو التفسير الثاني، وكلاهما باطل سواء ابتغوا التفسير الذي هو بيان المعنى فإن المعنى لا يتضح إلا برده إلى المحكم، أو بالمعنى الثاني وهو ابتغاء معرفة الحقيقة والمآل الذي يؤول إليه فإنهم لا يدركون هذا. الأول يعلمه الله والراسخون في العلم، أما الثاني فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، سواء أرادوا هذا أو هذا هم أهل زيغ ما داموا يأخذون بعض النصوص ويتركون بعضها الآخر، يأخذون ما يصلح لهم ويتركون ما لا يصلح لهم وما يخالف أهواءهم فهم أهل زيغ، يريدون فتنة الناس وصرف الناس عن الدين، ويريدون التشكيك في كلام الله وكلام رسوله بحجة أنهم يستدلون بالقرآن أو السنة بأن أخذوا طرفاً منهما وتركوا الطرف الآخر، وهذا ليس استدلالاً بكتاب الله - عز وجل - وإنما هو تمويه على الناس. والنبي ﷺ يقول: «إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(*) أي الذين سمى الله في هذه الآية: =

(*) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، وأبو داود (٤٥٩٨) من حديث =

وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] [آل عمران: ٧].

= ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ فاحذروهم لا تقبلوا كلامهم أو يروج عليكم كلامهم لأنه باطل.

حذرنا النبي ﷺ من هذا الصنف من الناس وهم المتعالمون الذين لم يبلغوا درجة من العلم تؤهلهم للكلام في العلم، أو أنهم على علم لكن يريدون تضليل الناس وصرفهم عن الحق. فهؤلاء بين أمرين: إما أنهم جهال دخلوا فيما لا يحسنون، وإما أنهم ضلال يريدون ضرب كلام الله وكلام رسوله بعضهما ببعض. فهم أهل زيغ على كل حال - نسأل الله العافية - سواء قصدوا هذا الزيغ أو لم يقصدوه.

فلا يسوغ لأحد أن يتكلم في كلام الله وكلام رسوله إلا إذا كان لديه ملكة علمية تؤهله لأن يكون من الراسخين في العلم الذين رسخت علومهم - والرسوخ معناه الثبوت - أي: رسخت أقدامهم وقلوبهم بالعلم النافع، هؤلاء هم الذين لهم الحق في الكلام، وهذا ينطبق على علماء السلف وعلى من تبعهم واقتفى آثارهم من علماء الخلف، هؤلاء هم الراسخون في العلم.

(١) بين سبحانه أنهم لن يبلغوا ما أرادوا حيث قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] أما هؤلاء فلم يبلغوا =

= عائشة.

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه[1] في قول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»[*]

= هذه المرتبة التي يحاولونها من غير مؤهلات ومن غير بصيرة، فالمتعالم لا يمكن أن يكون عالماً أبداً، مهما حاول، ولو أكثر الحفظ والكلام والكتابات والتعليقات لن يكون عالماً أبداً وكذلك الزائغ - والعياذ بالله - الضال المنحرف فإنه لن يكون من العلماء الراسخين في العلم، بل يُحرم نور العلم ويُحرم هداية العلم. كحال أهل الكتاب فإنهم عندهم علم لكن ليسوا راسخين في العلم؛ لأنهم يريدون الضلال ويريدون الزيغ ويريدون التشكيك في كتاب الله عز وجل.

(١) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أحد الأئمة الأربعة وإمام أهل السنة الصابر على المحنة، الذي ابتلي فصبر وثبت حتى نصر الله به هذه العقيدة، وقمع به أهل الزيغ من الجهمية والمعتزلة، فلم يتمكنوا من تنفيذ فكرتهم الخبيثة وهي القول بخلق القرآن. حيث وقف - رحمه الله - سداً حائلاً، ووقف معه الأئمة الموقف الحازم، لكن هو أقوى من وقف في هذا المقام،وصبر على الأذى وضُرب وسُجن وحُمل إلى المشرق للقتل، ولكنه صبر -رحمه الله- حتى نصر الله به الملة وقمع به الجهمية والمعتزلة، ولم يستفيدوا من قوتهم واستمالتهم للحاكم في وقتهم، ورد الله كيدهم في نحورهم بسبب موقف هذا الإمام الجليل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٣٦٣ (٩٥٩٢) من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده صحيح على شرط الشيخين.

و«إن الله يُرى في القيامة»(*)، وما أشبه هذه الأحاديث[1]: نؤمن بها[2] ونصدق بها

---

(١) لما ذكر المصنف - رحمه الله - وجوب الإيمان بنصوص الأسماء والصفات على ما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أراد أن يذكر مذهب السلف، ونماذج من أقوالهم في هذا المقام. فذكر كلاماً للإمام أحمد، وكلاماً للإمام الشافعي، وكلاماً لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكلاماً لأمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وكلاماً للأوزاعي إمام أهل السنة في وقته، كل هذا سيأتي إن شاء الله. فهذه نماذج من أقوال السلف الصالح في هذا الباب:

(٢) يقول الإمام أحمد: (نؤمن بها) أي: بهذه النصوص:

نزول الله - جل وعلا - إلى سماء الدنيا، وما أشبه ذلك، وأنه يُرى يوم القيامة عياناً بالأبصار، يراه المؤمنون بأبصارهم عياناً، وما أشبه هذه النصوص. يقول: (نؤمن بها ونصدق بها) خلافاً للمبتدعة الذين لا يؤمنون بها ويقابلونها بالتكذيب أو بالتأويل والتحريف.

(*) انظر أحاديث رؤية الله يوم القيامة في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٤٣٨ (٧٩٧٣)، ١٠/٤٤٦ (٧٩٧٥)، ١٠/٥٥٧-٥٦٠ (٨١٢٥-٨١٢٨)، وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» ١/٢١٥-٢١٨ تواتر أحاديث الرؤية.

لا كيف[1] ولا معنى[2]

---

(١) (لا كيف) لا نبحث عن كيفيتها، فيقال: ينزل إلى سماء الدنيا كيف ينزل؟! الكيفية لا يعلمها إلا الله، فهو ينزل كما شاء سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يعلم عظمته سبحانه وقدرته إلا الله - جل وعلا - فنحن لا نبحث عن كيفية نزوله هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ وهل وهل؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا، وثلث الليل يختلف باختلاف الأقاليم؟ من الذي خلق الأقاليم ومن الذي خلق الليل والنهار؟ هو الله - جل وعلا - فهو القادر سبحانه وتعالى أن ينزل كيف يشاء وإن كانت تختلف الأقاليم في ثلث الليل. هذا بالنسبة لنا أما بالنسبة لله - جل وعلا - فهو قادر على كل شيء. فلا تدخل في كيفية نزوله.

ومثل: يُرى يوم القيامة، كيف يُرى؟ نقول: لا نبحث في هذا، نُثبت أنه يُرى بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر، وكما تُرى الشمس صحواً ليس دونها سحاب. نؤمن بهذا ولا نبحث في كيفية الرؤية؛ لأن هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. يجيء، وجاء ربك، كيف يجيء؟ نقول: لا نبحث عن الكيفية كيف يجيء، لكن نثبت أنه يجيء سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله. فنحن نؤمن بالصفات ونعرف معناها ولكن لا نبحث في كيفيتها، ولهذا قال: (ولا كيف).

(٢) (ولا معنى) المراد بهذه اللفظة، أي المعنى الذي يفسره به المبتدعة وهو التأويل، ليس المراد نفي المعنى الحقيقي فإن معناها معروف - كما يقول الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه - أي عن الكيفية - =

ولا نرد شيئاً منها[1]، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق[2]، ولا نرد على رسول الله ﷺ[3].

= بدعة)(*) - فمعنى قوله: (ولا معنى) أي: المعنى الذي يريده أهل الضلال وهو التأويل، مثل تأويل اليد بالقدرة، والمجيء بمجيء أمره، والنزول بنزول أمره، وما أشبه ذلك. هذه معانٍ جاؤوا بها هم، ونحن ننفيها، وليست هي المعاني التي أرادها الله سبحانه وتعالى. فهو لا يريد نفي المعنى الذي هو معنى الكلام في اللغة العربية وإنما يريد نفي المعنى المحدث؛ لأنه يرد على المبتدعة فهو يرد المعنى الذي قصدوه وأحدثوه.

فلا يتعلق بهذه العبارة من يريد التلبيس، ويقول: إن الإمام أحمد مُفوض يقول: لا معنى. هذه طريقة المفوضة، والإمام أحمد ليس من المفوضة. هو من المفوضة في الكيفية، لأن الكيفية يجب تفويضها أما المعنى اللغوي فهذا واضح لا يُفوض، بل يُفسر ويبين.

(١) لا نرد شيئاً من النصوص كما يرده المبتدعة؛ لأنها تخالف عقولهم، فيردون النصوص ويحكِّمون العقول.

(٢) ما جاء به الرسول حق ليس فيه خطأ وليس فيه تضليل ولا تلبيس، وإنما هو حق على حقيقته، جاء به أصدق الخلق عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام، فما جاء به حق على ظاهره وعلى حقيقته.

(٣) كما يفعل أهل الضلال الذين يردون على الرسول ﷺ، =

(*) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ١/ ٢١٤ (٦٦٤).

ولا نصف الله بأكثر مما وصفه به نفسه[1]، بلا حَدٍّ ولا غاية[2] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] [الشورى: ١١]

= فالرسول يقول: «ينزل ربنا»(*) وهم يقولون: ينزل أمره، فيستدركون على الرسول ﷺ، يقولون: ما بين الرسول الحقيقة، قال: «ينزل ربنا» والواقع أنه ينزل أمره. فهذا استدراك على الرسول ﷺ. وكذلك: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، يقولون: يجيء أمره. هذا استدراك على القرآن، واستدراك على رب العالمين سبحانه وتعالى.

(١) كذلك نحن نتبع ولا نبتدع، لا نصف الله بغير ما وصف به نفسه؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، فنحن لا نسمي ربنا ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب والسنة، ولا نُحدث له أسماء من عند أنفسنا، ولا نُحدث له صفات من عند أنفسنا. هذه قاعدة أن الأسماء والصفات توقيفية لا يُثبت منها إلا ما جاء في الكتاب والسنة.

(٢) (بلا حد ولا غاية) أي: أننا لا نكيف صفات الله سبحانه وتعالى فنذكر حدودها وغاياتها وكيفيتها، هذا ليس من علمنا ولا من مقدورنا، لا يعلم حدودها وغاياتها وكيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى.

(٣) هذه الآية الكريمة هي القاعدة في هذا الباب، أن الله - جل وعلا - ليس كمثله شيء، وله أسماء وصفات لا تُشبهها صفات وأسماء المخلوقين، وإن كانوا يوصفون بها ويسمون بها لكن مع الفارق العظيم، فالخالق له سمع والمخلوق له سمع، الخالق له بصر والمخلوق له بصر، الله يتكلم والمخلوق يتكلم، لكن مع الفارق بين =

(*) قطعة من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

ونقول كما قال[1] ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك[2].

= صفات الخالق وصفات المخلوق. فنحن لا نُشَبِّه صفات الرب - جل وعلا - بصفات الخلق، بل نؤمن أن صفات الخالق تليق به وخاصة به جل وعلا، وصفات المخلوقين خاصة بهم وتليق بهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر ولا القدرة كالقدرة، ولا اليد كاليد، ولا الوجه كالوجه، فلا مشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوقين فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا رد للتشبيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للتعطيل، رد على الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وقد أثبت الله لذاته الأسماء والصفات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ السميع: هذا اسم من أسمائه، والبصير: اسم من أسمائه، والسمع والبصر: صفتان من صفاته سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] أسمع: فهو يسمع ويُبصر سبحانه وتعالى ما يفعله الخلق ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] يبصر ما تعلمونه لا تخفون عليه سبحانه ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء] ويقول لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] يسمع ما يقوله لهم فرعون، ويرى ما يقابلهم به من الجبروت والطغيان.

(١) نقول كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هذه الآية نتخذها قاعدة ونرد بها على المشبهة ونرد بها على المعطلة.

(٢) نصفه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ لا =

ولا يبلغه وصف الواصفين[1].

نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه[2].

= نتعدى ذلك؛ لأن هذا الباب توقيفي لا مدخل فيه للعقول والأفكار والاستحسانات.

(١) لا أحد يستطيع أن يصف الله - جل وعلا -، وإنما الله - جل وعلا - هو الذي يصف نفسه، أو يصفه نبيه عليه الصلاة والسلام، أما غير النبي من الخلق فلا يستطيع أن يصف الله - جل وعلا -، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (ولا يحيطون به): أي بالله - جل وعلا - (علماً) أي: لا يعلمون عنه إلا ما علمهم إياه أنت إذا كنت تجهل الشيء هل تستطيع أن تصفه؟ لا تستطيع أن تصف شيئاً لا تعلمه. فأنت لا تعلم ذات الله - جل وعلا - وأسماءه وصفاته، ولا تستطيع أن تصف ذاته سبحانه وتعالى وإنما هو الذي يصفها، أو يصفها رسوله ﷺ بما يوحيه إليه؛ لأنه أعلم بنفسه وبغيره جل وعلا.

(٢) هذه طريقة الراسخين في العلم يقولون نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، فنرد المتشابه إلى المحكم ونفسره به، كلٌّ من عند ربنا، أما الذي يأخذ المتشابه ويترك المحكم فهذا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. فالذي يأخذ أول الآية ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ويقول: هذا يدل على نفي الصفات لأننا لو أثبتنا الصفات أثبتنا المشابهة. هذا من الذين في قلوبهم زيغ؛ لأنه لم يأخذ بالآية كلها، وفي آخرها يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، فدل على أنّ إثباتها لا يقتضي المشابهة. =

ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت[1].

ولا نتعدى القرآن والحديث[2]، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن[3].

= وكذلك الذي يأخذ آخر الآية ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ويقول: هذا معناه أنه مشابه لخلقه لا فرق بين سمع وبصر الخلق وسمع وبصر الخالق. نقول: هذا مشبه - والعياذ بالله - لأنه يترك أول الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ويأخذ بآخرها. والذي يأخذ بأولها ويترك آخرها هذا معطل. وأما المؤمن الموحد فهو الذي يأخذ الآية كلها ويقول: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

(١) ونحن نثبت ما وصف الله به نفسه ولو شنع علينا المعطلة، وقالوا: أنتم مشبهة، أنتم مجسمة، أنتم حشوية، إلى آخر ما يقولون. فأهل الضلال يصفون أهل التوحيد والإثبات يصفونهم بأنهم مجسمة، ويصفونهم بأنهم مشبهة، إلى آخر ما يقولون.

فنحن لا نعبأ بهذه المقالات ما دمنا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله فلا يضيرنا أن يقولوا فينا ما قالوا من الألقاب؛ لأننا نريد إرضاء ربنا فلا نريد إرضاء الخلق.

(٢) هذا يؤكد ما سبق أن الأسماء والصفات توقيفية، وكذلك كل علم الغيب وأمور الآخرة، وأمور القبر، كلها من علم الغيب لا نتدخل إلا حسب الدليل، ولا نتعدى الأدلة.

(٣) لا نعرف الكيفية، نحن نعرف المعنى ونثبته لكن لا نعرف كيفية الأسماء والصفات. ولذلك لما قال رجل للإمام مالك - رحمه =

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه[1]:

= الله-: (الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟) يسأله عن الكيفية، فأطرق الإمام مالك - رحمه الله - ثم رفع رأسه وقد علته الرحضاء - يعني العرق - حياءً من الله سبحانه وتعالى، فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء) ثم أمر به فأُخرج من المجلس[*].

فنحن نصدق الرسول ﷺ وإن لم نعلم كيفية ذلك، نصدق لأنه رسول الله مبلغ عن الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] فالذي لا يُصدق الرسول في هذه الأمور وهي أعظم الأمور، وهي الأسماء والصفات؛ لأنها من العقيدة بل هي صلب العقيدة، فالذي لا يُصدق الرسول فيها لا يكون مطيعاً للرسول ﷺ ولا يكون مؤمناً أنه رسول الله ﷺ.

نحن نتبع الرسول ونتبع القرآن، فما أثبته القرآن أثبتناه، وما أثبته الرسول أثبتناه، وما نفاه القرآن أو نفاه الرسول ﷺ نفيناه ولا نتعدى القرآن والسنة في النفي والإثبات. هذه طريقة السلف الصالح.

(١) وبعد أن انتهى كلام الإمام أحمد - رحمه الله - ينقل الآن عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وسمي الشافعي: نسبة إلى جده شافع، والإمام الشافعي من بني المطلب بن عبد مناف، فهو مطلبي =

(*) سلف تخريجه ص٥٠.

آمنت بالله وبما جاء عن الله، **على مراد الله**[1].

وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله[2].

= من أهل البيت - رحمه الله - ولذلك يلقبونه بعالم قريش، هذا الإمام العظيم له موقف عظيم في الدفاع عن سنة الرسول ﷺ والرد على أهل الزيغ والضلال.

(١) (آمنت بالله وبما جاء عن الله) الذي لا يؤمن بما جاء عن الله لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى، (على مراد الله) أي على ما أراده الله - جل وعلا - ولا نتدخل في شيء من عندنا، ونُفسر تفسيراً من عندنا، وإنما نتوقف على ما جاء عن الله سبحانه وتعالى على مراد الله فنقول سمى الله - جل وعلا - نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات فنحن نؤمن بها على مراده سبحانه وتعالى، لا نؤولها ولا نحرفها عما جاءت، فنُثبت له السمع والبصر والحياة والقدرة والكلام والإرادة وسائر الصفات؛ لأنه هو الذي سمى ووصف نفسه بها.

(٢) كذلك بعد الإيمان بالله وبما جاء عن الله على مراد الله نؤمن برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله من الأحاديث الصحيحة على مراد رسول الله، لا نفسرها بشيء يخالف مراد الرسول ﷺ من التأويلات والتحريفات الباطلة، بل نثبتها على مراد رسول الله ﷺ، وهذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه بما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع. فالذي يشهد أن محمداً رسول الله لكن لا يصدقه فيما أخبر كاذب في =

وعلى هذا درج السلف[1] وأئمة الخلف رضي الله عنهم[2]،

= شهادته، متهم للرسول ﷺ، وأعظم ما جاء به الأسماء والصفات جاء بها ﷺ، سمى الله بأسماء ووصفه بصفات، فنحن نؤمن بها ونصدقه في ذلك ولا نرد عليه ﷺ، أو نُحرف ما جاء عنه بالتأويلات الباطلة والتشكيكات والتزييفات التي ضل بها أكثر الخلق.

وكلام الإمام أحمد وكلام الشافعي، هو المنهج الذي تسير عليه أمة محمد ﷺ.

(١) على هذا الكلام وهو الإيمان بما جاء عن الله على مراد الله، والإيمان بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، درج عليه السلف، وهم صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والقرون المفضلة، لم يتوقف أحدٌ منهم في هذا، يقرؤون القرآن ويروون الأحاديث ولم يعترضوا على شيء من هذا، مضت على هذا القرون المفضلة، ما اعترضوا على هذه الآيات وعلى هذه الأحاديث، وإنما حدث الاعتراض بعد انقضاء القرون المفضلة، حينما جاء علماء الكلام والفلسفة فأدخلوا في الدين ما ليس منه، وحكَّموا القواعد المنطقية والبراهين العقلية - كما يسمونها - حكَّموها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) (أئمة الخلف) من جاء بعد السلف ممن سار على نهجهم فإنهم على هذا المذهب، سلكوا هذا المذهب، كما قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من =

كلُّهم متفقون على الإقرار والإمرار[1]، والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله.

وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم، والاهتداء بمنارهم[2].

= خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»(*) فيكون هناك من الخلف من يقتدي بالسلف ويسير على منهجهم إلى أن تقوم الساعة، ولا تخلو الأرض - ولله الحمد - منهم؛ لأنهم يقومون بنشر هذا الدين، ويبلغون هذا الدين بعد السلف الصالح، فهم حجة الله على خلقه، هذا من حكمة الله سبحانه وتعالى أنه يقيم لهذه العقيدة ولهذا المنهج السلفي، من يتمسك به ويعلمه للناس إلى أن تقوم الساعة، رحمة منه بعباده.

(١) (على الإقرار والإمرار) الإقرار بها وإمرارها كما جاءت من غير تعرض لتأويلها وتحريفها، وإنما يمرونها كما جاءت على ألفاظها ومعانيها، ولا يعترضون عليها. هذه طريقة السلف ومن سار على نهجهم من الخلف من أئمة الهدى.

(٢) الاقتفاء لآثارهم في الدين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»(**) هذا أمر باقتفاء آثارهم. =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٧٨ (٢٢٣٩٥)، ومسلم (١٩٢٠) و(٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢) وغيرهم من حديث ثوبان.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٧٥ (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، من حديث العرباض بن سارية، وهو حديث صحيح.

وحُذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها الضلالات[1].

فقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي[2] وسنة الخلفاء الراشدين

= والسير على منارهم، والمنار: هو العلامات التي تكون على الطريق يستدل بها السالك.

(١) حُذرنا من المحدثات وذلك بقول الرسول ﷺ: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(*) هكذا حذر النبي ﷺ.

(٢) والمراد بسنته ﷺ ما ثبت عنه من قول أو فعل أو تقرير، كل ما ورد عنه ﷺ فإنه سنة يجب الأخذ به، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] إلى غير ذلك من الأدلة التي تأمر باتباع الرسول وطاعته والأخذ بما ورد عنه.

وكذلك سنة خلفائه الراشدين، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - هؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين أمرنا ﷺ بالأخذ بسنتهم؛ لأنها سنة الرسول ﷺ، فهم الذين يحققون الاتباع للرسول ﷺ.

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٣/ ٢٣٤ (١٤٩٨٤)، ومسلم (٨٦٧) (٤٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٨٢ من حديث جابر بن عبد الله.

المهديين من بعدي[1] عضوا عليها بالنواجذ[2] وإياكم ومحدثات الأمور[3]،

---

(١) وصفهم بالراشدين، والرشد ضد الغي، وهو الهدى واتباع الحق، والغي: هو الضلال والانحراف عن الحق، فهم راشدون - رضي الله عنهم - ثم وصفهم بوصف آخر فقال: «المهديين» أي الذين هداهم الله لاتباع الحق. ومن اتبع المهتدى فقد اهتدى.

(٢) عضوا عليها: يعني سنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، هذا يراد به شدة التمسك بالشيء. يقال: عض عليه بالنواجذ إذا اشتد تمسكه به، كالغريق إذا وقع ومعه حبل فإنه يتمسك بهذا الحبل لئلا يغرق، فإذا خشي أن ينفلت من يديه عض عليه بنواجذه - يعني بأضراسه - من الحرص على الإمساك بهذا الحبل؛ لأنه سبيل النجاة، فسنة الرسول ﷺ مثل هذا الحبل الذي بيد الغريق لو أطلقه لهلك.

(٣) لما حث على التمسك بسنته ﷺ نهى عن المحدثات، جمع محدثة، وهي كل بدعة أحدثها المبتدعة، والبدعة ومحدثات الأمور هي إحداث شيء في الدين لم يكن منه، هذه هي البدع، كما قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[*] وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[**]. فأمور الدين لا تقبل =

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٢/ ٦١ (٢٥١٢٨)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة.

(**) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٣/ ١٥٧ (٢٦٠٣٣)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) (١٧) من حديث عائشة.

فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(1)(*)

= بالإحداث والزيادة بل يجب التمسك بها نصاً وروحاً من غير زيادة ولا نقصان. فكلمة (إياكم) كلمة تحذير.

(١) (فإن كل محدثة بدعة) هذه كلية عامة، كل محدثة في الدين فهي بدعة، وليس هناك محدثة في الدين حسنة أو بدعة في الدين حسنة، كما يقول أهل الضلال أو المنخدعون بما يقال: إن هناك بدعة حسنة، الدين ليس فيه بدعة حسنة أبداً. يقول النبي ﷺ: «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» فالذي يقول: هناك بدعة حسنة، يرد على الرسول ﷺ، يقول الرسول: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وهذا يقول: هناك بدع حسنة ما هي بضلالة، هذا من المحادة لرسول الله ﷺ. فليس هناك في الدين بدعة حسنة أبداً، فكل البدع ضلال.

هذا الحديث أصل عظيم يرد على كل مبتدع يُحَسِّن البدع للناس ويقول: إنها خير وإنها فيها أجر وفيها تنشيط على العبادة وفيها وفيها. نقول البدع ليس فيها خير، وليس فيها أجر، كلها ضلالة وكلها شر وكلها مردودة على أصحابها، كفانا ما جاء به رسول الله ﷺ فيه الخير والكفاية، يقول الله - جل وعلا -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ما توفي الرسول ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين، فمن جاء يريد أن يُحدث زيادة بعد الرسول ﷺ فإنه يتهم ربه بالكذب، يقول الله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فيضيف إلى الدين شيئاً من عنده، هذا مكذب لله - عز وجل - أو متهم للرسول ﷺ بالكتمان أن الله أنزل عليه هذه =

(*) سلف تخريجه ص٥٨، التعليق (**).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[1]

= الأمور التي يراها هذا المبتدع، والرسول كتمها ولم يبينها لأمته.

(١) عبد الله بن مسعود، من السابقين الأولين المهاجرين، ويمتاز بالعلم والورع والعبادة والاقتداء بالرسول ﷺ، فهو من أكبر علماء الصحابة وفقهائهم، يقول رضي الله عنه: (اتبعوا) يعني ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٣].

(ولا تبتدعوا) نهي عن الابتداع، فهو يطابق أيضاً قول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء» «وإياكم ومحدثات الأمور»[*] ثم قال - رضي الله عنه -: (فقد كُفيتم) أي: كفيتم المؤونة، لا تحتاجون إلى زيادة وإلى تكلف، يكفيكم أن تعملوا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما قاله صحابة رسول الله ﷺ.

فالواجب الاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله، والاقتداء أيضاً بصحابة رسول الله الذين هم تلاميذ الرسول ﷺ. فهذا واحد من أكابرهم وأفاضلهم يوصينا بهذه الوصية العظيمة (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) لم يبق لأحد مجال في أنه يزيد وينقص، ويخترع للناس أموراً يظن أنها خير وأنها تُقرب إلى الله.

ومن هنا يجب على طالب العلم إذا عرض في نفسه شيء =

(*) سلف تخريجه ص٥٨.

. . . .

= يستحسنه ويريد أن يقوله أو يكتبه فعليه أن ينظر هل هذا الشيء ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله، هل قال به أحد من السلف؟ فإن وجده فالحمد لله لقد وفق للصواب، وأما إذا لم يجده فعليه أن يحذر وأن يبتعد عن هذا الذي عرض له، ويعلم أنه بدعة.

بعض طلبة العلم يأتون بعبارات جديدة وألفاظ جديدة وقد أخطؤوا الصواب في هذا، فلا يجوز لأحد أنه يجيء بعبارة من عنده، أو يتقعر ويتعمق ويجيء بمعانٍ ما قالها السلف ولا فهموها، خصوصاً في باب الأسماء والصفات، عليه أن يحذر من أن يقول كلمة لم يقلها من سبق من السلف الصالح. يقول ابن مسعود: (كُفيتم) ما لنا مجال في أن نتعمق في النصوص ونجيء بشرح لها لم يقله السلف الصالح، أو نقول عبارات ما نطق بها السلف الصالح.

هذه قاعدة عظيمة أنك لا تطلق لنفسك العنان - خصوصاً في باب الأسماء والصفات - أو تذكر معاني لم يذكرها السلف الصالح، تجنب هذا؛ لأن هذا مزلة أقدام. وأنت بعافية والحمد لله. كم رأينا بعض كتّاب العصر والمؤلفين قد ارتكبوا أخطاء في استخدام عبارات واصطلاحات استحسنوها وكتبوها، وهي أخطاء لم يسبقوا إليها خصوصاً في كتب العقائد، وهذا غلط كبير والواجب الوقوف، فكل شيء لم يقله السلف الصالح يجب علينا أن نتجنبه، هذا هو طريق النجاة، هل نحن بلغنا علم السلف أو ساويناهم في العلم حتى نباريهم في العبارات وفي فقه النصوص؟ ما بلغنا هذه المرتبة. =

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[1] كلاماً معناه:

قف حيث وقف القوم[2]، فإنهم عن علم وقفوا[3]، وببصر نافذ كفوا[4]، ولهم على كشفها كانوا أقوى[5]، وبالفضل لو كان فيها

= ثم أيضاً هم أعمق منا علماً وفهماً؛ لأنهم أخذوا عن الرسول ﷺ مباشرة. ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أغزر الناس علماً وأقلهم تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ) فأغزر الناس علماً هم الصحابة، وأقلهم تكلفاً، لا يتكلفون ولا يتقعرون في الألفاظ وإنما يأخذون من مقتضى الكتاب والسنة بدون تكلف وتشقيق للعبارات.

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان، من خلفاء بني أمية، خليفة عادل وإمام جليل وعالم رباني - رحمه الله - يعتبر من رؤوس المجددين لهذا الدين تولى الخلافة بعد عمه سليمان بن عبد الملك.

(٢) هذا مثل كلام ابن مسعود (قف حيث وقف القوم) شيء ما قاله صحابة رسول الله ﷺ ولا قاله تلاميذهم من التابعين وأتباع التابعين لا يجوز لك أن تُحدثه وأن تقول به.

(٣) لا عن جهل، بل رأوا أن هذا لا يجوز الدخول فيه.

(٤) ببصر: المراد بالبصر هنا بصر القلب وهو العلم، والمراد به البصيرة، فهم رأوا أن هذا الشيء الذي توقفوا فيه وكفوا عنه رأوا أنه لا خير فيه فتركوه، فأنت عليك أن تترك ما تركوه ولا تُحدث عبارات من عندك أو ألفاظاً من عندك أو فهماً من عندك. لا تُحدث شيئاً لم يقولوه.

(٥) أي: عندهم قدرة علمية، لكن كونهم وقفوا على هذا الشيء =

أحـرى[1]، فلئـن قلتـم: حَدَثَ بعدهـم؛ فمـا أحدثـه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم[2]، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي[3]، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصِّر[4]

= لأنهم يرون أنه لا خير فيه ولا يجوز الدخول فيه، فقف أنت معهم.

(١) ولو كان بهذه الأشياء التي سكتوا عنها لو كان فيها فضل لكانوا هم أحرى بالفضل فلدخلوا فيها، فدل على أن الدخول فيها ليس من الفضل وإنما هو من الجهل والضلال.

(٢) هذا جواب عن اعتراض قد يرد على كلامه - رحمه الله - وهو إن قلتم: إنه حدث بعدهم أشياء فنحن نُحدث ألفاظاً ونُحدث عبارات لم يقولوا بها، لأن هذه الحوادث ما حصلت في وقتهم. فنقول: لا نجاة إلا باتباعهم، فإذا أردت أن ترد على هذه المحدثات فرد عليها بأن ما أحدث بعدهم لا خير فيه.

(٣) هم لم يقصروا - رحمهم الله - في أمور دينهم ولا سيما في أمور العقيدة الأسماء والصفات، ما قصروا في هذا ولا تكاسلوا، بل بينوا ووضحوا، وسكتوا عن أشياء لا يجوز البحث فيها، فتكلَّم أنت بكلامهم وانقل كلامهم ولا تتصرف فيه، وما سكتوا عنه اسكت عنه لا تدخل فيه، إذا عرض لك شيء ولم تجد فيه كلاماً للسلف فاعلم أنهم سكتوا عنه ووقفوا عنه، فقف أنت عنه ولا تدخل فيه.

(٤) ما فوقهم: يعني ما زاد عن هديهم، مُحَسِّر: يعني الغالي المتجاوز للحد، وما دونهم مقصِّر: الذي تكاسل عن اتباعهم وعن علمهم مقصِّر وكسلان. فالذين خالفوا السلف بين أمرين: إما غالي =

لقد قَصَّر عنهم قوم فجفوا[1]، وتجاوزهم آخرون فغلوا[2]، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم[3].

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضي الله عنه[4]: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس[5].

= وإما جافي، الأول مُحَسر يعني غالي ومتجاوز للحد، والذي قصر دونهم مقصر لم يلحق بهم، وكلا الأمرين مذموم، والسلامة في السير معهم لا التقدم عليهم ولا التأخر عنهم، السير معهم بمنهجهم.

(١) (قصر عنهم قوم فجفوا) هذا هو الجفاء والكسل.

(٢) هذا شرح للعبارة (ما فوقهم محسر وما دونهم مقصر)، فالمقصر جفا، والمحسر غلا.

(٣) يعني فيما بين المحسر والمقصر، فالسلف بين المحسر وهو الغالي، وبين المقصر وهو الجافي، وهم على هدى مستقيم، هدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين، هذه طريقة السلف - رحمهم الله - بين الغالي والجافي، ودين الله بين الغالي والجافي، دين الاعتدال والاستقامة، وهو الذي أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا إليه ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ المعتدل بين الغالي والجافي.

(٤) الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي هو إمام أهل الشام رحمه الله.

(٥) التزم بآثار من سلف من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، (وإن رفضك الناس) يعني إذا انتقدك الناس في اتباعك للسلف، إذا =

وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول[1].

= انتقدوك وجفوك لا تلتفت إليهم ولا تعبأ بذمهم؛ لأنك على حق، وما دمت على حق فالحمد لله، لا تريد أنت إرضاء الناس ومدح الناس، وإنما تريد إرضاء الله سبحانه وتعالى وتريد الحق، والحق لا شك أنه في اتباع السلف، فإذا رأيت من يصفك بالجمود ويصفك بالتخلف والرجعية إلى آخره، وبالعصور الوسطى وبكلام من هذا القبيل، لا تلتفت إليهم أبداً؛ لأنك على الحق وهم على الباطل فلا يهمونك.

(١) هذا تحذير من أن تترك هدي السلف وتأخذ بآراء الرجال التي أحدثت من بعدهم.

(وإن زخرفوها) الزخرفة: التزيين، وأصل الزخرف: الذهب ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]. فهم يزخرفون مقالاتهم ويزينونها حتى تظهر كأنها حق، كما قال الله سبحانه في أمثالهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] فيأتيك كلامهم مزخرفاً على أنه براهين عقلية وأدلة يقينية وأن وأن إلخ... وقد يكون عندهم فصاحة وبلاغة يجذبون بها السامع، لكن ما داموا ليسوا على هدي السلف لا تلتفت إليهم ولا تعبأ بكلامهم؛ لأنه زخرف، والشاعر يقول:

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير =

٤- قول الإمام الأدرمي في هذا الباب:

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي[1] لرجل تكلم

= فزخرف القول يزين الباطل عند الناس، لكن البصير ينظر في الحقائق ولا ينظر إلى المظاهر.

فما دام أن هذا الكلام لم يقله السلف الصالح في هذا الباب، باب الأسماء والصفات فاعلم أنه باطل، وإن تزين بالألفاظ وحسن النطق فلا تعبأ به ما دام أنه مخالف لهدي السلف الصالح. وهذا ينطبق على علم الكلام وعلم المنطق الذي زوقوه وزخرفوه وسموه براهين عقلية وقواعد يقينية، إلى آخر ما يقولون، فلا تلتفت إليه.

كيف تعادل قواعد المنطق وعلم الكلام بكلام رب العالمين وكلام الرسول ﷺ وكلام السلف الصالح؟ كيف يعادل هذا بهذا؟!

(١) محمد بن عبد الرحمن الأدرمي - هكذا سُمي - قال لرجل يناظره عند الخليفة الواثق بن المعتصم العباسي؛ لأنه في عهد المأمون ظهرت بدعة القول بخلق القرآن بتأثير المعتزلة، فتبناها المأمون كما تبنى غيرها من الأمور التي تحملها - والله المستعان - لكن من أخطرها فتنة القول بخلق القرآن وتعذيبه للأئمة وقتله لبعضهم لما لم يستجيبوا له، ومن هؤلاء رجل شيخ كبير، ولقد ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٠٧-٣١٠) القصة ولم يسمِّ الشيخ، يقول: شيخ من أذنة - اسم بلد، دخل على الواثق وعنده رأس الفتنة أحمد بن أبي دُوَاد الذي آذى الناس بعد بشر المريسي، آذى الناس بحملهم على هذا الكفر. فأتى الله بهذا الشيخ فخصمه عند الواثق بهذه المناظرة التي =

ببدعة[1]، ودعا الناس إليها[2]: هل علمها رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، أو لم يعلموها؟ فقال: لم يعلموها[3]. قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟[4] قال الرجل: فإني أقول: قد علموها[5]. قال: أفوسعهم أن لا

= ذكر الشيخ طرفاً منها.

(١) هو أحمد بن أبي دُوَاد، رأس الفتنة عند الواثق العباسي؛ لأنه توالى على المسلمين فتنة القول بخلق القرآن على أيدي ثلاثة من الخلفاء العباسيين: المأمون، وأخوه المعتصم، والواثق بن المعتصم، حتى جاء المتوكل فناصر السنة وقمع أهل البدعة.

(٢) وهي بدعة خلق القرآن.

(٣) قال له هذا المذهب الذي تقوله الآن وهو القول بخلق القرآن، هل علمه رسول الله ﷺ، وعلمه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموه؟ فإن قال: لم يعلموه وصف الرسول وأصحابه بالجهل، وإن قال: علموه ولكن لم يبينوه للناس وصفهم بالكتمان، فألجمه بحجر في هذه المناظرة.

(٤) إذا كان الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر لم يعلموا هذا القول، فهل أنت الذي علمته؟ فأنت جئت بشيء لم يأت به رسول الله ﷺ، ولم يكن عليه خلفاء الرسول ﷺ.

(٥) رجع وقال: قد علموها، قال له: إذا كانوا علموها لماذا لم يبينوها للناس؟

يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ قال: بل وسعهم. قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة - وكان حاضراً -: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم[1]، وهكذا[2] من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ[3] وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم[4]، والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات، وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت[5]، فلا وسع الله عليه.

---

(١) هذا الشيخ خصم هذا الملحد وأخزاه عند الخليفة، حتى إن الخليفة اعترف بخطأ هذا الخبيث، ويقال: إن الواثق تاب عن هذه المقالة - والله المستعان - لكن هذا الشيخ خصم هذا الملحد؛ لأنه أتى بشيء لم يعلمه رسول الله ﷺ، ولم يعلمه صحابته وخلفاؤه الراشدون.

(٢) (وهكذا) هذا تعليق من المؤلف.

(٣) هذا دعاء بأن يضيق الله عليه في الدنيا والآخرة.

(٤) والأئمة الذين جاؤوا من بعدهم كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وأئمة المحدثين الذين جاؤوا من بعد الصحابة.

(٥) من قراءة آيات الصفات التي في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥] وغير ذلك من الآيات التي فيها إثبات الصفات الذاتية كالوجه واليدين، وإثبات الصفات المعنوية كالعلم والإرادة والقدرة، والصفات الفضيلة =

= كالخلق والرزق والكلام والاستواء، قوله: (وقراءة أخبارها) أي: والآثار، يعني بها أحاديث الرسول ﷺ تسمى بالآثار، وتسمى بالأحاديث، وتسمى بالسنة، كلها أسماء لأحاديث الرسول ﷺ. قرؤوها وأقروها على ما جاءت، لم يتعرضوا لتأويلها ولم يتكلفوا شيئاً لمعرفة كيفيتها، بل أمروها كما جاءت ولم تُشكل عليهم لأنهم يعلمون معناها؛ لأنها نزلت بلسانهم وهم عرب فصحاء ولم يسألوا عنها ولم يبحثوا فيها لعلمهم بما تدل عليه. ولم يعترضوا عليها وما وقع في أفهامهم أن هذا فيه تشبيه، فهم يعلمون الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق. ما قالوا: في قوله: (السميع البصير) والمخلوق سميع بصير فيلزم التشبيه. ما قالوا هذا؛ لأنهم يعلمون أن صفات الخالق تختص به، وصفات المخلوقين تختص بهم، فليس سمع المخلوق كسمع الخالق، ولا بصر المخلوق كبصر الخالق. ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ما أشكلت هذه الآية على صحابة رسول الله ولا على أهل العلم في القرون المفضلة، بل قرؤوها وأقروها كما جاءت مثبتين ما دلت عليه. حتى جاءت خلوف من الأعاجم وأولاد الأعاجم الذين في فطرهم تلوث من الوثنية ومن مذاهب الكفار، وصاروا يخبطون خبط عشواء ويتحذلقون فيها، وأما أهل العلم الراسخون في العلم فإنهم لم يتعرضوا لها، كالأئمة الأعلام ومنهم من هو من الأعاجم لكن عندهم بصيرة وعندهم علم وعندهم رسوخ في العلم لم يتعرضوا لها، وإنما تعرض لها هؤلاء الذين تلوثت فطرهم وتكدرت أفهامهم بقبيح الوثنية وقبيح الكفر وصاروا يقولون ما يقولون.

فمما جاء من آيات الصفات[1] قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[2] [الرحمن: ٢٧]

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3] [المائدة: ٦٤].

---

(١) لما انتهى من بيان منهج السلف، في أسماء الله وصفاته، شرع يذكر أمثلة لنصوص الصفات من الكتاب والسنة.

(٢) فكما جاء من ذكر صفات الله في القرآن الوجه، وصف الله نفسه بأن له وجهاً ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن] هذا فيه إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى، فالسلف قرؤوا هذه الآية ولم يتعرضوا لها ولم تُشكل عليهم، أثبتوها كما جاءت، فدل على وجوب إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى.

أما من جاء من أهل الضلال فإنهم قالوا: المراد بالوجه الذات؛ لأننا لو أثبتنا الوجه للخالق وهو موجود في المخلوق للزم التشابه بين الخالق والمخلوق! تعالى الله عما يقولون. فنقول: كلا لا يلزم من إثبات الوجه لله مشابهته لوجه المخلوق، بل الله - جل وعلا - له وجه يليق بجلاله ولا نعلم كيفيته، وللمخلوقين وجه يليق بهم.

(٣) هذه الآية فيها إثبات اليدين لله - جل وعلا - لما ذكر الله مقالة اليهود فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يصفون الله بالبخل سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] فاليهود هم أبخل الناس بالمال، وأحرص الناس وأجشع الناس على جمع المال؛ ولذا يجمعونه من كل صوب، من حلال ومن حرام، =

. . . .

= عندهم جمع المال لا يتوقف على حلال وحرام، استباحوا الربا، واستباحوا الميسر، واستباحوا البغاء وإيجار البغي وفتح دور البغاء للاستثمار، هذه صفة اليهود، يجمعون من كل ما هب ودب، ولكن لا ينفقون، فهم أبخل الناس، فهذا وصف ينطبق عليهم: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بمعنى أنهم ضُربوا بالبخل، وليس معناها أن أيديهم معلقة بأعناقهم، هذا مقصود به البخل كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ يعني بالبخل ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] يعني بالإسراف.

فالإمساك عن النفقة بخل وغل لليد، والبسط في النفقة كل البسط هذا إسراف ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة: ٦٤] لعنهم الله بما تنقصوا الله سبحانه وتعالى، واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله سبحانه وتعالى، فدل على شناعة هذه المقالة - والعياذ بالله - ثم قال جل وعلا: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] فكل الخلائق تعيش على فضله سبحانه وعلى رزقه، كل الخلائق من البهائم والآدميين والحشرات وكل المخلوقات، كلها تعيش على رزق الله سبحانه وتعالى، يده سحاء الليل والنهار سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [المنافقون: ٧] فكل ما يقتات به المخلوقات فإنه من رزقه ومن فضله ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ [الملك: ٢١]، فكل =

. . . .

= الخلائق تعيش على رزقه سبحانه وتعالى، حتى الكفار أعداء الله يعيشون على رزقه سبحانه وتعالى.

﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] فوصف نفسه بأن له يدين وأنه ينفق سبحانه كيف يشاء، لا أحد يعترض عليه ولا يمنعه، ولا يمنع فضله سبحانه وتعالى. الشاهد من الآية ﴿يَدَاهُ﴾ وصف نفسه بأن له يدين كما في الآية الأخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] حيث خلق آدم بيديه سبحانه وتعالى، وأما بقية الخلائق فإنه يخلقها بأمره، يقول للشيء كن فيكون، تتكون الأشياء بأمره سبحانه، أما آدم فإن الله خلقه بيده سبحانه، وهذا تشريف لآدم عليه الصلاة والسلام من بين سائر الخلق أن الله خلقه بيده - جل وعلا - ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾. قال: ﴿خَلَقۡتُ﴾، ثم قال: ﴿بِيَدَيَّۖ﴾ هذا صريح في إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى.

أهل الضلال يقولون: المراد بيد الله قدرته، أي: خلقته بقدرتي، فيُرد عليهم أنه لو كان كذلك لم يكن لآدم مزية على غيره من المخلوقات، كل المخلوقات خُلقت بقدرة الله سبحانه وتعالى. ثانياً: أنه قال: ﴿بِيَدَيَّۖ﴾ هل يقال بقدرتي، هل لله قدرتان أو قدرة واحدة؟ له قدرة واحدة، فدل على أن قوله: ﴿بِيَدَيَّۖ﴾، تثنية يد الحقيقية. كما يفهم هذا من المعنى اللغوي والمعروف في الحس، لكن له يدان سبحانه وتعالى تختصان به لا تشبهان يدي المخلوق، فيداه تليقان به - جل وعلا - ولا يعلم كيفيتهما إلا الله، وليستا كيدي المخلوقين.

فهم ينفون عن الله اليدين خشية من التشبيه بزعمهم، فنقول: لا =

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[1] [المائدة: ١١٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2] [الفجر: ٢٢]

= تشبيه أبداً، لأنه لا تشابه بين يد الله وبين يد المخلوق، حاشا وكلا، وإنما يقع التشابه عند من لا يعقل ولا يفهم كلام الله، وأما أهل العلم فلا يُشكل هذا عليهم.

(١) هذا في إثبات النفس لله سبحانه وتعالى، كما أن المخلوق له نفس ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ عيسى عليه السلام مخلوق وله نفس ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يقول لربه: ولا أعلم ما في نفسك، فعيسى عليه السلام خاطب ربه بأنه لا يعلم ما في نفسه ولم يُنكر الله عليه ذلك، ففيه إثبات النفس لله تعالى، وفي الآية الأخرى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فيه إثبات النفس لله، ولا يلزم من كون المخلوق له نفس أن تتشابه النفسان، نفس الله - جل وعلا - ونفس المخلوق، أبداً.

(٢) هذا من صفات الأفعال، فالوجه واليدان والنفس من صفات الذات، وأما قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا من صفات الأفعال، وهذه الآية في سياق ذكر أهوال يوم القيامة في سورة الفجر، قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ كلمة ردع وزجر ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] رُجفت الأرض واندك ما عليها من الجبال والمباني وصارت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [طه]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ جاء مجيئاً =

وقوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾(١) [البقرة: ٢١٠]

وقول الله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾(١) [المائدة: ١١٩].

= حقيقياً لفصل القضاء بين عباده سبحانه وتعالى، ففيه إثبات المجيء لله.

(١) ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ما ينتظر الكفار، ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يجيء لفصل القضاء ﴿ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ من السحاب، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ تأتي الملائكة مع مجيئه سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] يأتي لفصل القضاء سبحانه وتعالى، وذلك أن الناس يقفون موقفاً طويلاً قدر خمسين ألف سنة شاخصة أبصارهم، تدنو منهم الشمس، ويُلجمهم العرق. بعضهم يُلجمه العرق، وبعضهم دون الإلجام، حسب أعمالهم. فإذا طال عليهم الوقوف طلبوا من يشفع لهم إلى ربهم ليفصل بينهم، فيتدافع الأنبياء الشفاعة إلى أن تأتي إلى محمد ﷺ، فيخر ساجداً بين يدي ربه ويسأل الله أن يفصل بين عباده وأن يُريحهم من الموقف، فيأتي سبحانه وتعالى للفصل بينهم.

(١) فوصف نفسه بالرضا وأنه يرضى عن عباده المؤمنين، فالرضا صفة من صفاته سبحانه الفعلية، قد جاء ذلك في عدة آيات، ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [المائدة: ١١٩، التوبة: ١٠٠، المجادلة: ٢٢، البينة: ٨]، وغير ذلك، ففيه إثبات الرضا لله جل وعلا - كما يليق بجلاله. ولا يشبه ذلك رضا المخلوقين، فإن الله وصف نفسه =

وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1] [المائدة: ٥٤]

= بالرضا، ووصف المخلوقين بالرضا ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ هذا فيه إثبات الرضا للمخلوقين وأنهم يرضون، ولكن لا تشابه بين الرضائين، رضا الله -جل وعلا- يختص به، ورضا المخلوق يختص به وبحسبه.

(١) كذلك من صفاته سبحانه: المحبة، أنه يحب عباده بمقتضى أعمال يعملونها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة: ٥٤] بهذه الأعمال استحقوا محبة الله لهم على هذه الأعمال، موالاتهم للمؤمنين، ومعاداتهم للكفار ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فهم في جانب المؤمنين أذلة يذلون لهم، ويلينون لهم، ويرحمونهم، ويتواضعون لهم، أعزة على الكافرين، أقوياء على الكافرين، لا تلين لهم شوكة مع الكفار؛ لأنهم أعداء الله عز وجل. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذه من أعظم صفاتهم الجهاد في سبيل الله - عز وجل - لإعلاء كلمة الله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ هذه أيضاً من صفاتهم أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، فبهذه الصفات استحقوا هذه المنقبة العظيمة أن الله أحبهم سبحانه وتعالى.

كذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] إلى غير ذلك، فالله يحب أهل الأعمال الصالحة والأفعال =

وقوله في الكفار: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾(1) [المجادلة: ١٤].

= الطيبة، وإذا أحبهم الله - عز وجل - سعدوا في الدنيا والآخرة، ونالوا كرامة الله جل وعلا.

كذلك في الآية إثبات المحبة لله وإثبات المحبة للمخلوقين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فدل على أنه لا تشابه بين الصفتين، صفة المخلوق وصفة الخالق؛ لأن الله جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإن وجدت الصفة في المخلوقين لكنها توجد على ما يليق بهم، ولا تكون مثل صفة الرب سبحانه وتعالى، هذه قاعدة في جميع الأسماء والصفات.

(١) من صفات الله - جل وعلا الفعلية: الغضب، أنه يغضب سبحانه على الكفار ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فالله - جل وعلا - يغضب على الكفار ويغضب على بعض أهل الكبائر لأنه سبحانه يغار على حرماته فيغضب إذا انتهكت حرماته ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] غضب الله عليه بسبب جريمة القتل للمؤمن عمداً وعدواناً.

فالغضب من صفات الله - جل وعلا - فالله يغضب والمخلوق يغضب، ولكن ليس غضب الله - جل وعلا - كغضب المخلوق لما بين الخالق والمخلوق من الفرق العظيم، فلا تشابه بين غضب الله وغضب المخلوق، وإن اشتركت هذه الصفة في اللفظ والمعنى لكنها لا تشترك في الكيفية والحقيقة كسائر الصفات.

وقوله: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾(1) [محمد: ٢٨].

وقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾(2) [التوبة: ٤٦]

---

(١) في هذه الآية وُصِفَ اللهُ بأنه يسخط، والسخط: نوع من الغضب ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٨] والذي يُسخط الله - جل وعلا - هو المعاصي، والكفر والشرك، فالله يوصف بأنه يسخط على أعدائه والمخالفين لأوامره المرتكبين لما نهى عنه، ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

والمخلوق يسخط أيضاً، ولكن لا تشابه بين سخط الخالق وسخط المخلوق وإن اشتركت هذه الصفة في اللفظ واشتركت في المعنى، لكن الكيفية مختلفة تماماً بين الخالق والمخلوق، هذه قاعدة في كل الصفات.

(٢) كذلك في هذه الآية وُصِفَ اللهُ أنه يكره ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [التوبة] هذه في المنافقين في غزوة تبوك لما تخلف المنافقون بين الله للمؤمنين أن الله هو الذي خلقهم وأخّرهم؛ لأنهم لو خرجوا لحصل على المؤمنين منهم ضرر ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ﴾ يعني للغزو مع الرسول ﷺ ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ أي: خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ عن الخروج، وكَسَّلَهم ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ =

ومن السنة قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا»(١).

= ثم بين المفاسد في خروجهم فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ بين سبحانه المفاسد التي تترتب على خروجهم مع المسلمين للغزو أنهم يوقعون الشقاق بين المسلمين، وأنهم يريدون إيقاع الفتنة وتفريق الكلمة، وأن من المسلمين من يستمع لهم ويتأثر بكلامهم ويصدقهم، فالله - جل وعلا - منعهم من الخروج حكمة منه سبحانه وتعالى.

الشاهد من الآية: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ ففيه أن الله يكره بعض الأعمال ويكره بعض الأشخاص، والمخلوق يكره أيضاً ولكن مع الفرق بين كراهة المخلوق وكراهة الخالق سبحانه وتعالى، كسائر الصفات.

(١) هذا الحديث الصحيح في النزول، حديث مشهور جاء من عدة طرق عن جماعة من الصحابة: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرُ، فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه»(*) ولذلك يُستحب أن يكون الإنسان في هذه الساعة، أي: في ثلثِ الآخِرِ أن يكون مستيقظاً يدعو الله - جل وعلا - ويتهجد ويستغفر، حتى يحوز على هذه المنقبة =

(*) سلف تخريجه ص٥١.

. . . .

= العظيمة، فإنه وقت إجابة «هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه» فإذا وافق العبد هذه الساعة يتضرع بين يدي ربه ويستغفر ويسأل ويتوب إلى الله؛ فإن الله يعطيه ما طلب.

وهذا الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ لا كلام في ثبوته ولا مطعن في سنده، وفيه وصف الله - جل وعلا - بالنزول إلى سماء الدنيا، فهو حديث عظيم نثبته كما جاء، وأن الله ينزل كما وصف نفسه بذلك، ولكن لا نتعرض لكيفيته فنقول: كيف ينزل؟ ولا نتعرض له كسائر الصفات، لا نتعرض لكيفيتها، فالله ينزل كما يشاء سبحانه وتعالى وكيف يشاء، استوى على العرش كيف شاء، فنحن لا نبحث في كيفية النزول، وإنما نثبت النزول ونكل كيفيته إلى الله جل وعلا.

«ينزل ربنا» أسند النزول إلى الله - جل وعلا - وفي هذا رد على الذين يقولون: ينزل أمره؛ لأن هذا تأويل باطل، أسند النبي ﷺ النزول إلى الرب ولم يسنده إلى أمر الله، أيضاً أمر الله - جل وعلا - دائماً ينزل، ليس هو بخاص بثلث الليل الآخِرِ.

أيضاً مما يُبطل هذا التأويل: أن الله - جل وعلا - يقول: «هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه» هل الأمر يقول هذا؟ الأمر يقول هل من سائل فأعطيه؟ الأمر يعطي؟ الأمر يغفر الذنوب؟ الأمر يتوب على من تاب؟ هذه كلها صفات لله - جل وعلا - وليست صفات لأمره. =

= نثبت ما جاء عن رسول الله ﷺ ونعتقده ولا ندخل في كيفيته، ونقول: كيف ينزل؟ هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هل نزوله بحركة أو بغير حركة؟ هل وهل إلى آخر التساؤلات؟

ثلث الليل يختلف باختلاف الأقاليم؟ كل هذا لا دخل لنا فيه، الذي خلق الأقاليم وخلق الليل والنهار هو الله - جل وعلا -، فهو ينزل كيف يشاء، وهو على كل شيء قدير لا ندخل في هذه المتاهات وهذه الأباطيل ونتقول على الله وعلى رسوله ما لا نعلم، نحن لسنا مكلفين بذلك، كفاك أن تعلم أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، وأن تتعرض لهذه النفحات ولا تحرم نفسك منها، فتقوم كل ليلة حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرُ وتسأل الله وتستغفره وتتوب إليه.

أما إنك تجيء بهذه التساؤلات كيف ينزل؟ كيف كذا؟ وكيف كذا؟ الليل يختلف، تشغل نفسك بهذه الأمور، وتحرم نفسك من هذا الأجر وهذه النفحات العظيمة، هذا حرمان والعياذ بالله.

بلغك هذا الأمر فعليك بالمبادرة والامتثال لئلا تفوتك الفرصة، ولا تتسائل وتفكر وتسأل فلاناً وفلاناً، هذه مشغلة ولا طائل تحتها. ما أخبرنا الله بهذا إلا من أجل أن نستغل هذه الفرصة في كل ليلة، ونبادر إليها ونتحراها، فهي نعمة من الله - جل وعلا - وفرصة ثمينة. هذا هو المطلوب منا. =

وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»[1](*)

= المطلوب منا العمل وليس المطلوب منا الاستشكالات والقول على الله بلا علم، هذا ضلال والعياذ بالله.

(١) هذا فيه إثبات العجب لله سبحانه وتعالى وأنه يعجب للشاب، يعني يحب هذا الشيء - جل وعلا - ويعجبه.

والعجب: هو خروج الشيء عن المألوف، هذا الذي يسبب العجب، والله يوصف بالعجب، والمخلوق يوصف بالعجب، مع الفرق بين العجبين.

والصبوة: هي الميل إلى الشهوات والمستلذات؛ لأن من عادة الشاب بسبب قوة الشباب فيه وقوة الشهوة فيه أنه يميل إلى الشهوات وإلى الغفلة واللهو والتمتع بهذه الدنيا، فإذا جاء شاب على خلاف هذا المألوف، وترك التصابي، وترك الميل مع الشهوات، وأقبل على عبادة الله في شبابه، فهذا يُعجب الله -جل وعلا- لأنه عجب.

وفي الحديث الآخر: أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة «شاباً نشأ في عبادة الله سبحانه وتعالى»(**) وكونه خرج عن =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٦٠٠ (١٧٣٧١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» ١/ ٣٣٦ (٥٧٦) من حديث عقبة بن عامر. وهو حديث حسن لغيره. انظر تمام تخريجه وتنقيذه في «المسند»، ولفظه: «إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة».

(**) قطعة من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم(١٠٣١).

= طور الشباب وغلبة الشهوة، وألف العبادة، هذا شيء عجيب ودليل على قوة إيمانه، كما أن الشيخ كبير السن إذا حصلت منه زلة أو هفوة فهذا مما يُستغرب منه؛ لأنه في سن لا يليق به المخالفة والميل مع الشهوات لكبر سنه، فوقوعه في الحرام دليل على ضعف إيمانه، ولهذا جاء أن من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: «الشيخ الزاني»(*) أو «أُشيمط زانٍ»(**) وأُشيمط: تصغير أشمط، وهذا التصغير للتحقير، والأشمط هو المختلط سواد شعره ببياض الشيب، فكان المألوف في مثل هذا أنه يُقبل على العبادة، فإذا انصرف عن العبادة إلى الشهوات خرج عن المألوف، وصار ذنبه أعظم من ذنب الشاب؛ لأن الشاب تدفعه قوة الشهوة، أما هذا فليس فيه قوة شهوة، لكن لحبه للمعصية وإلفه لها مال إليها.

الحاصل أن هذا الحديث فيه إثبات العجب لله - جل وعلا - وأنه يعجب من بعض عباده، وتعجبه الأعمال، والمخلوق يعجب، قال تعالى لنبيه: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥] وصف نبيه بأنه يعجب، ووصف نفسه في هذا الحديث بأنه يعجب، مع الفرق بين العجبين: عجب الخالق وعجب المخلوق.

(*) انظره في «مسند أحمد» ١٦/ ١٦٨ (١٠٢٢٧)، ومسلم (١٠٧) حديث أبي هريرة.
(**) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٦/ ٢٤٦ (٦١١١) من حديث سلمان، ورواته محتج بهم في الصحيح.

وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدُهما الآخرَ ثم يدخلان الجنة»[1][*].

فهذا وما أشبهه مما صح سنده[2]،

---

(١) هذا أيضاً حديث صحيح «يضحك الله إلى رجلين»[*] فيه وصف الله بأنه يضحك، والمخلوق يضحك أيضاً لكن مع الفرق بين ضحك الله سبحانه وتعالى وبين ضحك المخلوق. «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة» وقد جاء تفسير ذلك بأن هذا الرجل القاتل كان على الكفر والمقتول كان مؤمناً، فالكافر قتل المؤمن، ثم تاب الله على هذا الكافر فأسلم فدخل الجنة، فاجتمع هو والقتيل في الجنة؛ لأنه تاب فتاب الله عليه. فهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى يضحك من هذا الأمر العظيم.

(٢) فهذا الذي ذُكر في هذه الأحاديث من هذه الصفات وما أشبهه من الأحاديث الأخرى التي فيها صفات الرب - جل وعلا - مما صح سنده، فلا بد أن يكون سنده صحيحاً، والحديث الصحيح هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله من بداية السند إلى نهايته مع السلامة من الشذوذ والسلامة من العلل. هذا هو الصحيح ما توفر فيه هذه الشروط الخمسة. فإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ وفيه صفة من صفات الله - جل وعلا - أو خبر عن الله - جل وعلا - فإنه يجب الإيمان به واعتقاده، سواء كان متوتراً أو كان آحاداً؛ لأنه يفيد العلم واليقين. لا =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/ ٢٧٩ (٧٣٢٦)، والبخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) (١٢٨).

وعُدلت رواته[1]، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده[2].

= كما يقول أهل الضلال: إن خبر الآحاد ولو صح يفيد الظن عندهم. وهذا لتلوث أفكارهم بعلم الكلام وعلم المنطق، ولو صحت أفهامهم وإيمانهم لما قالوا هذه المقالة في أحاديث الرسول ﷺ.

أما ما لم يصح سنده، فهو حديث ضعيف، القدامى الحديث عندهم ينقسم إلى قسمين: صحيح أو ضعيف، والحسن داخل عندهم في قسم الصحيح. إنما قُسم الحديث إلى ثلاثة أقسام: صحيح وحسن وضعيف، في عهد المتأخرين من أهل الحديث، ويقولون: أول من ذكر هذا الإمام الترمذي - رحمه الله - وإلا فالأقدمون عندهم الحديث ينقسم إلى صحيح ويدخل فيه الحسن وإلى ضعيف، والضعيف لا يدخل في باب العقائد إلا إذا كان يستند إلى أدلة أخرى.

قد يقول قائل: هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف فيها شيء، ضعيف. فنقول: هذه ما ذكرها المؤلف إلا لأنها تعتضد بأدلة صحيحة، وتدخل تحت أصل، والضعيف إذا كان يدخل تحت أصل صحيح يُستأنس به، أما إذا لم يستند إلى أصل صحيح فإنه لا يُستدل به في باب العقائد.

(١) (عُدلت رواته) هذا داخل فيما صح سنده؛ لأنه لا يكون صحيحاً إلا إذا عُدلت رواته، وهو هنا من باب التأكيد والترابط.

(٢) نؤمن به ونعتقده ولا نرده، بخلاف أهل الضلال الذين يردون ما صح عن الرسول ﷺ ويقولون: إنه لا يفيد العلم بناء على قواعدهم المنطقية الكلامية التي ابتدعوها، فنحن لا نعمل عملهم بل نبرأ منهم =

ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره[١]، ولا نشبهه بصفات المخلوقين[٢]

= ومن عملهم، نؤمن به ونعتقد ما دل عليه. ولا نرده كما يرده هؤلاء. (ولا نجحده) نجحده، بأن ننفي ما دل عليه من الأسماء والصفات، لا ننفي هذا بل نُثبت ما دل عليه كما أثبته الله ورسوله. هذا واجب المسلم، الإيمان والتسليم والانقياد لما صح عن الله ورسوله، ولا يتدخل بعقله وفكره واعتراضاته وتشكيكاته، أو يقبل كلام المضللين وشبهات المشبهين، لا يلتفت إلى هذه الأمور ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فالمدار على الثبوت والصحة، فما ثبت وجب الإيمان به وقبوله وإثباته والعمل به دون تردد أو توقف أو التفات إلى ما يقوله أهل الضلال.

(١) لأن عمل المخالفين إما الرد وعدم القبول، وإما الإثبات مع التأويل، إذا عجزوا عن رد النصوص فإنهم يلجؤون إلى التأويل، والتأويل: هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى معنى آخر غير صحيح، فيصرفون النصوص عن ظاهرها إلى معان أخرى، مثلاً قالوا: اليد معناها القدرة، والوجه معناه الذات، والاستواء معناه الاستيلاء على العرش؛ لأنهم لا يقدرون على رد هذه النصوص؛ لأنها ثابتة في القرآن والسنة، فيلجؤون إلى التأويل.

(٢) لا نرده ولا نؤوله ولا نشبهه كما الطائفة الثانية من أهل الضلال يثبتون هذه الأدلة ولا يتكلمون في ثبوتها، ولا يتكلمون أيضاً في معانيها، لكن يشبهونها أيضاً بصفات المخلوقين. هؤلاء يقال لهم: =

ولا بسمات المُحْدَثين،[1]، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى

= المشبهة والممثلة، وهذا مذهب باطل مثل التعطيل. والمذهب الحق هو إثباتها بلفظها ومعانيها من غير تأويل ومن غير تشبيه، هذا مذهب أهل الحق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنفى عن نفسه المثلية وأنه لا يشبهه شيء من خلقه وأثبت له السمع والبصر، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [النحل: ٧٤] يعني الأشباه والنظراء، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٥] أي: مكافئاً ومساوياً، وفي الآية الأخرى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: لا تعلم أحداً يستحق اسمه على الحقيقة ويماثله، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] والأنداد هم الأشباه والنظراء، لا في عبادته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى، ليس له شبيه بوجه من الوجوه، فالمشبهة يثبتون الأدلة ولا يؤولونها، ولكنهم زادوا في الإثبات حتى شبهوا الله - جل وعلا - بخلقه، فهذا مذهب باطل وهو عديل لمذهب المعطلة وقولٌ على الله بلا علم، وقول كلا الطائفتين باطل.

يرد على المشبهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ ويرد على المعطلة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) السمات: هي الصفات والخصائص، والمُحْدَثون هم المخلوقون؛ لأن كل مخلوق فهو مُحدث بعد أن لم يكن، فنحن لا نُشبه صفات الله بصفات المخلوقين ولا بسمات المُحْدَثين، والمعنى واحد لكن هذا من باب التأكيد.

لا شبيه له ولا نظير[1] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2] [الشورى: ١١] وكل ما تخيل في الذهن أو

---

(١) هذا هو اعتقاد أهل الحق أن الله - جل وعلا - لا شبيه له ولا نظير، يعني لا أحد يشبهه سبحانه وتعالى، والنظير هو المساوي للشيء، فلا أحد يساوي الله - جل وعلا - تقول: هذا نظير هذا، أي: هذا معادل لهذا ومساوٍ له، والله - جل وعلا - ليس له شبيه في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا نظير له فيها لا أحد يشاركه سبحانه فيما يستحقه من العبادة وصفات الكمال ونعوت الجلال، وهذا فيه رد على المشبهة الذين غلوا في إثبات الأسماء والصفات حتى شبهوها بصفات المخلوقين. والأولون من المعطلة غلوا في التنزيه حتى عطلوا الله - جل وعلا - من أسمائه وصفاته، فطائفة غلت في التنزيه وهم المعطلة، وطائفة غلت في الإثبات وهم المشبهة، أما أهل السنة والجماعة فإنهم وسط، لم يعطلوا أسماء الله، ونزهوا الله - جل وعلا - عن النقائص تنزيهاً بلا تعطيل، وأثبتوا له الأسماء والصفات إثباتاً بلا تشبيه ولا تمثيل. فتجنبوا غلو الطائفتين، غلوّ المنزهة وغلو الممثلة والمشبهة، كلا الطائفتين غالى في مذهبه، أما أهل السنة - والحمد لله - فهم المعتدلون وعلى مقتضى الكتاب والسنة. وهكذا الحق دائماً هو الوسط بين الضلالتين.

(٢) هذه الآية ميزان لأهل الحق ترد على المعطلة وترد على المشبهة، وتُثبت لله الأسماء والصفات من غير تعطيل ومن غير تشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ هذا رد على المشبهة الذين غلوا في الإثبات، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا رد على المعطلة الذين غلوا في التنزيه =

خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] [طه: ٥].

= حتى نفوا أسماء الله وصفاته فراراً من التشبيه عندهم، فوقعوا في تشبيه أشر مما فروا منه وهو أنهم شبهوا الله بالمعدومات والممتنعات.

(١) الله - جل وعلا - لا يُتصور في الذهن ولا في التفكير؛ لأنه هو أعظم من كل شيء، فلا يجوز لأحد أن يتخيل ذاته سبحانه أو صفاته، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لا يحيطون بالله - جل وعلا - علماً، فلا يعلم ذاته سبحانه وتعالى وأسماءه وصفاته إلا هو سبحانه. فهو يحيط بالمخلوقين والمخلوقون لا يحيطون به ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ الله لا يُحاط به ولا يُتخيل ولا يُتصور سبحانه وتعالى؛ لأنه أعظم من كل شيء. فكل ما خطر ببالك أو دار في خيالك في حق الله - جل وعلا - وعن ذاته فإن الله بخلاف ذلك لا تحيط به الأفكار والتخيلات.

(٢) من الآيات الدالة على إثبات الصفات هذه الآيات السبع في كتاب الله - عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وردت أيضاً في [الأعراف: ٥٤]، و[يونس: ٣]، و[الرعد: ٢]، و[السجدة: ٤]، و[الحديد: ٤] كلها تُثبت الاستواء لله - جل وعلا - والعرش: =

. . . .

= هو سقف المخلوقات وأعظم المخلوقات، والمخلوقات بالنسبة له صغيرة جداً وهو أعظمها ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والكرسي غير العرش، وقد جاء وصفه أنه بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، الكرسي وسع السماوات والأرض ومع هذا نسبته إلى العرش كحلقة بأرض فلاة، ماذا تستغرق الحلقة من الفلاة؟ فالعرش مخلوق عظيم وهو أعلى المخلوقات، وتحته جنة الفردوس؛ لأن جنة الفردوس سقفها عرش الرحمن. والعرش في اللغة: السرير الذي يجلس عليه الملك، لكن عرش الله - جل وعلا - لا يُتصور ولا يُتخيل، عظمه وسعته، وقد ذكره الله في كثير من الآيات ووصفه بالعظمة ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] فدل على عظم هذا المخلوق وهو العرش، أما الاستواء فمعناه كما فسره السلف: العلو، والاستقرار والصعود والارتفاع قال ابن القيم - رحمه الله:

فلهم عبارات عليها أربعٌ ... قد حُصِّلت للفارس الطَّعّانِ

وهي استقر وقد علا وكذلك ارْ ... تفع الذي ما فيه من نكرانِ

وكذاك قد صَعِدَ الذي هو رابع ... وأبو عُبيدةَ صاحبُ الشيباني

يختارُ هذا القَولَ في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

هذه تفسيرات السلف للاستواء على العرش، أما أهل الضلال فيفسرون الاستواء بالاستيلاء، فيقولون: استوى على العرش: يعني استولى عليه. وهذا التفسير ليس له وجه في اللغة ولا هو معروف =

. . . .

عند العرب إلا بيتاً نسبوه للأخطل الذي يقول:

قد استوى بشر على العراق　　من غير سيف ولا دم مهراق

والأخطل نصراني لا يُحتج بكلامه، لأن النصارى أهل ضلال، لكن مع هذا لم يثبت عن الأخطل، وليس هو في ديوانه المعروف.

فليس في لغة العرب تفسير الاستواء بالاستيلاء أبداً، هذا تفسير مُحدَث، وهذا البيت مُنتحل ومكذوب على لغة العرب، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: يلزم على هذا ـ والعياذ بالله ـ لازم باطل، وهو أنه يلزم إذا فسرنا استوى باستولى على العرش أن العرش في الأول لم يكن لله ـ جل وعلا ـ ثم استولى عليه سبحانه أخيراً، وغلب عليه، وأخذه من يد المستولي عليه الأول. وهذا فيه من الكفر والضلال ما فيه.

أيضاً لو فُسِّر الاستواء بالاستيلاء لم يقتصر هذا على العرش فالله مستول على كل مخلوقاته.

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا التفسير من عشرين وجهاً تجدونها في الفتاوى.

أيضاً الاستواء جاء في سبع آيات كلها بهذا اللفظ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وليس فيها لفظة استولى حتى يُفسر بعضها ببعض، فلما جاء كله بلفظ واحد دلَّ على أن معناه واحد، وهو العلو والارتفاع.

والاستواء من صفات الأفعال، ولذلك عطفه على خلق السماوات والأرض بـ «ثم» فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] فهو =

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1] [الملك: ١٦]

= من صفات الأفعال التي يفعلها الله - جل وعلا - متى شاء وإذا شاء، أما العلو فإنه صفة ذات لا ينفك عن الله - جل وعلا - لا يزال الله في العلو سبحانه وتعالى، أما الاستواء فهو صفة فعل يفعله سبحانه وتعالى متى شاء.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون باستوائه على عرشه، ويقولون: الاستواء يأتي في القرآن على معانٍ: يأتي لازماً غير متعدٍ، وذلك كما في قوله عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ومعناه الكمال والتمام، وإذا عُدي بإلى ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] فمعناه القصد، وإن عُدي بالواو فمعناه المساواة، تقول: استوى الماء والخشبة، بمعنى تساويا، استوى فلان وفلان بمعنى تساويا، وإذا عُدي بـ«على» فمعناه الارتفاع، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] أي: ترتفعوا عليها، وتستقروا على ظهور الفلك وظهور الأنعام في السفر، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني ارتفع وعلا وصعد سبحانه وتعالى، وكل هذا على ما يليق بجلاله ليس مثل صعود المخلوق أو علو المخلوق على المخلوق أو استواء المخلوق على المخلوق، هناك فرق بين استواء المخلوق واستواء الخالق - جل وعلا -.

(١) وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ =

وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»[1]

= نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك] السماء، المراد بها العلو، فمن في السماء؛ أي: في العلو، وتكون (في) بمعنى على، (في السماء) يعني (في العلو) على ظاهرها، أما إذا أريد بالسماء السماء المبنية التي هي السبع الطباق فتكون (في السماء) يعني (على السماء)؛ لأن (في) تأتي بمعنى (على) مثل قوله: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٣٦] يعني على الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يعني على جذوع النخل، فإذا أريد بالسماء مجرد العلو، فإن (في) على ظاهرها ظرفية، يعني في العلو، وإن أريد بها السماء المبنية فيكون معنى قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ يعني على السماء، وليس يعني في السماء أن الله داخل السماوات؛ لأن السماوات مخلوقة والله - جل وعلا - لا يحل في شيء من مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، بل هو بائن من خلقه سبحانه وتعالى، هذا فيه رد على الجهمية والمعطلة الذين يقولون: إن الله لا يوصف بأنه في العلو ولا داخل العالم ولا خارج العالم، وهذا معناه العدم؛ لأن الذي ليس داخل العالم ولا خارج العالم، هذا معناه أنه معدوم، تعالى الله عما يقولون.

وكذلك في الآية رد على الحلولية الذين يزعمون أن الله حَالٌّ في كلّ شيء - تعالى الله عما يقولون -.

(١) كما أن الله وصف نفسه بأنه في السماء كذلك النبي ﷺ وصف ربه بأنه في السماء، فقال في حديث الرقية المعروف: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك =

وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(**). رواه مالك بن أنس، ومسلم وغيرهما من الأئمة[1].

= في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوَبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع»(*) الشاهد منه قوله: «الذي في السماء» وصف ربه بأنه في السماء.

وهذا الحديث وإن كان فيه ضعف لكن الآية التي قبله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تؤيده، والمصنف وغيره قد يذكرون أحاديث ضعيفة في باب العقائد لكنها تدخل تحت أدلة صحيحة تؤيد معناها، فهي من باب الاعتضاد ومن باب الاستئناس بها لا من باب الاعتماد عليها كلياً.

(١) هذا الحديث في الصحيح وهو أن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه كانت له جارية فغضب عليها ولطمها على وجهها، ثم ندم - رضي الله عنه - وجاء إلى النبي ﷺ يسأله عن إعتاقها لأنه أراد أن يعتقها كفارة عن ما صدر منه، فقال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(**) شهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان لما قالت: إن الله في =

(*) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، من حديث أبي الدرداء.

(**) أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٢٩٢ (١٥٣٤)، وأحمد في «المسند» ٣٩/ ١٧٥ (٢٣٧٦٢)، ومسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠) وغيرهم، كلهم أخرجوه عن =

وقال النبي ﷺ لحصين: «كم إلهاً تعبد؟» قال: سبعةً، ستةً في الأرض، وواحداً في السماء. قال: «ومن لرهبتك ورغبتك؟» قال: الذي في السماء. قال «فاترك الستَّةَ واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين» فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن

= السماء وأن محمداً رسول الله، فهو أقرها على ذلك ووصفها بالإيمان لمّا وصفَتْ ربَّها بأنه في السماء. فهذا مثل ما جاء في الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

وفي الحديث جواز السؤال عن الله بأين بأن يقال: أين الله؟ وهذا أشد ما يكون على المعطلة، عندهم لا يقال: أين الله أبداً؛ لأن الله عندهم ليس في جهة، والذي ليس في جهة لا يقال: أين هو؟ فهذا الحديث يطعن في أعينهم، وهو أشد حديث عليهم، ومنهم من يقول: (أين) معناها (من)، فمعنى قول: أين الله؟ أي: من الله! سبحان الله هل ورد في لغة العرب أو في لغة العجم أن أين بمعنى من؟ لكن هؤلاء كذبة لا يتحاشون الكذب. فالحديث صريح مثل الآية فدل على أن الذي يجحد أن الله في السماء ليس بمؤمن، وأن الذي يجحد علو الله ليس بمؤمن، نسأل الله العافية.

= معاوية بن الحكم السُّلمي، إلا مالكاً، فإنه أخرجه عن عمر بن الحكم في رواية يحيى بن يحيى الليثي، وهو وهم عند جميع أهل العلم، وليس في الصحابة من يقال له: عمر بن الحكم، وإنما هو معاوية بن الحكم. انظر «جامع الأصول» لابن الأثير ١/ ٢٢٩-٢٣٠ (١٢).

يقول: «اللهم ألهمني رُشدي وقني شرَّ نفسي»(١)(*)

---

(١) هذا الحديث من أدلة العلو، وهو أن النبي ﷺ قال لحصين والد عمران - رضي الله تعالى عنهما -: «كم إلهاً تعبد؟» ويريد النبي ﷺ أن يقرر له التوحيد ويبطل الشرك، وذلك بالبرهان الذي يعترف به الخصم، قال: أعبد سبعةً - يعني سبعة آلهة - ستة في الأرض وواحداً في السماء. والواحد الذي في السماء هو الله سبحانه وتعالى، قال: «فما الذي تعده لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء.

فهذا يبين ما كان عليه المشركون من تخبط في العبادة، وأنهم لما تركوا التوحيد صاروا يعبدون آلهة كثيرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] وذلك مثل للموحد والمشرك، فالمشرك مثل العبد الذي يملكه عدة أسياد لا يدري من يرضي منهم؛ لأن رغباتهم مختلفة، كلهم له إرادة تخالف إرادة الآخر، فهو في حيرة من أمره، لا يدري من يرضي منهم لتفاوت مطالبهم، وهو في قلق في حياته من هؤلاء الشركاء المتشاكسين، وأما الموحد فهو مثل الذي يملكه سيد واحد يعرف رغبته ويعرف مطالبه، فهو معه في راحة، كذلك الذي يعبد إلهاً واحداً، يكون مطمئن البال، وأما الذي يعبد آلهة متعددة فإنه يكون قلقاً مشوشاً لا يدري بماذا =

(*) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، من حديث عمران بن حصين.

. . . .

= يتقرب إلى كل واحد منهم.

وهذا حصين يقول: إنه يعبد ستةً في الأرض يعني من الأصنام، ويعبد واحداً في السماء الذي هو الله. ففيه إثبات أن الله في السماء حتى عند المشركين، وهم مشركون يعترفون أن الله في السماء. فقال له النبي ﷺ: «ما الذي تَعُدُّه لرغبتك ورهبتك؟» يعني عندما ترغب في شيء، عندما تحتاج إلى شيء، من الذي تطلب منه حوائجك، وعندما تخاف من شيء من الذي تطلب منه أن يؤمنك من هذا الخوف؟ قال: الذي في السماء. وقد تقرر التوحيد بدليله في أن هذه الآلهة المتعددة لا تنفع في الرخاء ولا في الشدة، وإنما الذي ينفع في الرخاء وفي الشدة هو الله سبحانه وتعالى. وهذا أيضاً متقرر عند المشركين أنهم إذا وقعوا في الشدة فإنهم يخلصون الدعاء لله - عز وجل - وينسون آلهتهم؛ لأنهم يعلمون أنه لا يُخلص من الشدائد والكربات إلا الله سبحانه وتعالى.

فقال: «دع الستة واعبد الذي في السماء، وأعلمك كلمتين» فأسلم حصين رضي الله عنه، وعلمه النبي ﷺ هاتين الكلمتين: «اللهم ألهمني رشدي وقني شُحَّ نفسي» فإذا ألهم الله العبد رشده حصل له الخير في الدنيا والآخرة، ألهمه: وشده يعني وفقه للرشد، وهو الصواب والحق في كل شيء، وإذا وقاه شُح نفسه فإنه أيضاً يسلم من البخل ومنع الحقوق، ويسلم من التعدي على الناس بأخذ أموالهم وسلب أموالهم بأي طريق، ويقتصر على ما أباح الله له، الذي وقي شح نفسه يقتصر على الحلال، وأيضاً تسمح نفسه بالإنفاق في سبيل الله - عز =

وفيما نُقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء[1].

وروى أبو داود في «سننه»، أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا - وذكر الخبر إلى قوله -:

= وجل - فيجده مدخراً له عند الله - جل وعلا -، فإذا وفق الإنسان لهاتين الخصلتين ألهمه الله رشده ووقاه شح نفسه، فإنه قد جمع الله له خيري الدنيا والآخرة.

والشاهد من الحديث أن فيه إثبات العلو، فإن حصيناً اعترف لله - جل وعلا - بالعلو، فقال: واحداً في السماء. يعني في العلو، وأنه هو الذي يعده للرغبة والرهبة دون غيره، ففيه إثبات التوحيد وإفراد الله - جل وعلا - بالعبادة والرغبة والرهبة.

(١) هذا الأثر من الإسرائيليات، فيه وصف هذه الأمة بأنهم يسجدون في الأرض ويزعمون أن إلههم في السماء، ففيه أن عقيدة هذه الأمة إثبات العلو وأن الله سبحانه وتعالى في السماء. وهذا من الإسرائيليات التي نحن في غنى عنها بكتاب ربنا وسنة نبيه محمد ﷺ، ولكن لعل المؤلف ذكره من باب الاستئناس فقط، وأنه أثبت ما تدل عليه الأدلة الصحيحة من أن الله في السماء.

وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك»[1](*)

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف - رحمهم الله - على نقله

---

(١) هذا الحديث مر في آخر كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهو حديث العباس بن عبدالمطلب، وغيره من الأحاديث التي فيها ذكر المسافة التي بين السماء والأرض، وأنها خمسمائة عام، وذُكر ما بين كل سماء وسماء، وأن ذلك خمسمائة عام، وأن كثف كل سماء خمسمائة عام، وأن فوق السماوات بحر ما بين أسفله وأعلاه خمسمائة عام، وأن فوق ذلك الكرسي وفوق الكرسي عرش الرحمن، وأن الله سبحانه وتعالى فوق العرش.

فهذا فيه إثبات علو الله - جل وعلا - فوق مخلوقاته جميعاً، وأنه سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش الذي هو أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات، ففيه إثبات العلو وإثبات الاستواء لله - عز وجل - وفيه عظمة هذه المخلوقات وهذه الكائنات، وبيان سعتها وما بينها من المسافات العظيمة.

والشاهد منه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى فوق مخلوقاته وأنه مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٩٢-٢٩٤ (١٧٧٠ و١٧٧١)، وأبو داود (٤٧٢٣-٤٧٢٥)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣) من حديث العباس بن عبدالمطلب.

وقبوله، ولم يتعرض لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله[1].

---

(١) هذا الذي ذكره المؤلف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات الصفات لله - عز وجل - مما أجمعت الأمة على نقله وقبوله وعدم التعرض له بالتأويل أو بالتشبيه، بل قبلوه كما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، لم يشكوا في ذلك ولم يتدخلوا بأفهامهم وعقولهم، ولا يقيسون الله - جل وعلا - بخلقه، بل يعتقدون أن الله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى، فلا يقاس بخلقه فيقال: هذه الصفات موجودة في المخلوقين فإذا أثبتناها لله فقد شبهناه بالمخلوقين كما تقوله المعطلة - تعالى الله عن ذلك - بل نقول: القاعدة العظيمة أنه لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق، كما أنه لا تشابه بين ذات الخالق وذوات المخلوقين، وأن مجرد الاشتراك في الألفاظ والمعاني لا يدل على التشابه في الحقيقة والكيفية. فمن عرف هذه القاعدة وفهمها فإنه لا يُشكل عليه أي شيء من آيات الأسماء والصفات، وإنما يقع الإشكال لمن لم يفهم هذه القاعدة ولم يعرفها، فحينئذ يقع في نفسه شيء من الشكوك والأوهام، أما من عرف هذه القاعدة وهي الفرق بين الخالق والمخلوق، والفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ فإنه لا يقع عنده أدنى شك في إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفى ما نفاه الله عن نفسه. والرسول ﷺ مبلغ عن الله -جل وعلا- ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

والسلف رووا هذه الأدلة قرؤوها وحفظوها وتناقلوها ولم يقع عندهم إشكال وتساؤلات، مما دل أنها على ظاهرها وعلى مدلولها، وأنه يجب إقرارها وإمرارها من غير تعرض لمعناها بالتأويل أو =

= بالتشكيك، أو غير ذلك مما يقع من الخواطر النفسية، أو ما يلقيه شياطين الإنس والجن ليضلوا عباد الله ويصرفوهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم.

فالقرآن في غاية البيان وغاية الفصاحة، والسنة في غاية البيان وغاية الفصاحة، لا يراد منهما غير ما يظهر من ألفاظهما، ولو كان يراد من أدلة القرآن والسنة غير ما يظهر من ألفاظهما لكان القرآن والسنة فيهما تضليل للناس، والله أنزل القرآن والسنة لهداية الناس، ولم ينزلهما لتضليل الناس وحمل الناس على أن يعتقدوا خلاف ما تدل عليه هذه النصوص، فهذا وصف للقرآن والسنة أنه تضليل للأفهام والعقول؛ ولذلك احتاجوا إلى التأويل وإلى التحريف، وهذا اتهام لكلام الله وكلام رسوله بعدم الوضوح وعدم البيان وعدم الهداية.

فإجماعهم على ذلك دليل على أنهما على ظاهرهما، وأنه يجب اعتقاد ما دلّا عليه، وإلا لم يكن الكتاب والسنة للهداية وإنما كانا للتضليل على حسب زعم هؤلاء الذين شككوا في هذه الأدلة وراحوا يؤولونها ويصرفونها عن مدلولاتها حتى تتوافق مع أهوائهم ومع أفهامهم. والواجب عليهم أن يتهموا عقولهم وأفهامهم ولا يتهموا الكتاب والسنة، لأن عقولهم وأفهامهم هي محل الاتهام ومحل النقص، أما الكتاب والسنة فإنهما تنزيل من حكيم حميد ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فأي بيان وأي دلالة وأي فصاحة أبلغ مما عليه الكتاب والسنة لو كانوا يعقلون؟ فالواجب على العبد أن يُسلم لكلام الله وكلام رسوله، وإذا أشكل عليه شيء =

سئُل مالك بن أنس الإمام رضي الله عنه فقيل: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج[١](*)

= فليتهم عقله ويتهم فهمه ولا يتهم النصوص بالتقصير أو بالغموض أو بغير ذلك من الاتهامات، ويقول: إن القرآن والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين وإنما الذي يفيد اليقين القواعد العقلية المنطقية - كما يقوله المنحرفون - فهذا انحراف عن الحق. وإذا لم تحصل الهداية بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فبماذا تحصل؟

(١) هذا الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وهو أحد الأئمة الأربعة - رحمهم الله - هذا العالم الذي تُضرب إليه آباط الإبل في المدينة، عالم مشهور، الذي قيل فيه: لا يُفتى ومالك بالمدينة.

لما سأله رجل وهو في الدرس، قال له: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال الإمام مالك - رحمه الله -: (الاستواء معلوم) وفي رواية (الاستواء غير مجهول) يعني غير مجهول المعنى، والرجل لم يسأل عن المعنى وإنما سأل عن الكيفية، يقول: كيف استوى؟ والإمام مالك يقول ما لنا دخل إلا في المعنى والمعنى غير مجهول والحمد لله، معناه معلوم وما دام المعنى معلوماً فهذا الذي يُقصد من اللفظ، فالمعنى غير مجهول حتى تسأل عنه، =

(*) سلف تخريجه ص٥٠.

. . . .

= كان المفروض أنك تسأل عن المعنى إذا كنت لا تعرفه فنحن نوضحه لك لأنه غير مجهول. أما السؤال عن الكيف فهذا غير معقول، ولا يجوز السؤال عن الكيفية؛ لأن كيفية أسماء الله وصفاته لا نعلمها، قال الله - جل وعلا -: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] نحن لا نحيط بالله - جل وعلا - بذاته وبأسمائه وصفاته، هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، لا أحد من الخلق يعلم كيفية ذات الله وأسمائه وصفاته، لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، وذلك لعظمته سبحانه وتعالى.

(الكيف غير معقول لنا) يعني لا تدركه عقولنا فليس من حقك أن تسألنا عن الكيف؛ لأنه ليس بإمكاننا أن نجيبك؛ لأن هذا لا تدركه عقولنا. ثم قال: (الإيمان به واجب) الإيمان به؛ أي بالاستواء على معناه ودون التعرض لكيفيته أمر واجب على كل مسلم، وعليه التسليم والانقياد، (والسؤال عنه) يعني عن الكيفية لأن السائل سأل عن الكيفية (بدعة) وأهل الضلال يقولون: المعنى يجب تفويضه. وهذا باطل، الإمام مالك ما قال هذا، إنهم يكذبون على الإمام مالك، الإمام مالك وضح - رحمه الله - ذلك، قال: (الاستواء غير مجهول) حتى يحتاج إلى سؤال، (والكيف غير معقول) فلا يجوز السؤال عنه (والإيمان به) أي بالاستواء لفظاً ومعنى (واجب، والسؤال عنه) أي: عن الكيفية (بدعة) لأن الرجل سأل عن الكيفية ولم يسأل عن المعنى.

ثم قال للرجل: (ما أراك إلا رجل سوء) فأمر به فأخرج من الحلقة وهكذا يجب على العلماء أن يبعدوا مثل هؤلاء المشككين الذين =

= يريدون إثارة الشكوك عند الناس، ويطردوهم حتى يتأدبوا وحتى يختزوا أمام الناس. أمر به فأُخرج من حلقته؛ لأنه لم يأت من أجل التعلم وإنما جاء من أجل التغليط والمغالطات. السؤال له حدود، ما كل شيء يُسأل عنه؛ إنما يُسأل عن ما أشكل مما يحتاجه الناس من أمور عباداتهم وأمور معاملاتهم، السؤال عن هذا محمود ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] أما السؤال عن الأغاليط وعن الأشياء التي لا حاجة للناس بها، وإنما هي من باب التكلف وإشغال الوقت والتضليل والتشويش على الناس، فهذا السؤال مُحرم يجب الكف عنه وتعزير من يفعل هذا. كما فعل عمر رضي الله عنه بصَبِيغ الذي كان يسأل عن أشياء من متشابه القرآن، ليس الناس بحاجة إليها فضربه عمر وطرده من المدينة(*).

فهؤلاء الذين يسألون مثل هذه الأسئلة التي لا حاجة للناس إليها، أو تشوش عقائدهم، أو تشككهم في أمور دينهم، هؤلاء يجب أن يوقفوا عند حدهم. والإمام مالك - رحمه الله - طرد هذا الرجل من حلقته تأديباً له وحماية لطلبة العلم من شبهاته وتشكيكاته.

والصحابة لما سألوا النبي ﷺ عن الهلال لماذا يبدوا صغيراً ثم يكبر ثم يكبر ثم يتكامل، ثم ينقص(**)؟ الله -جل وعلا- أجابهم بغير ما سألوا عنه، فقال: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ =

(*) انظر «سنن الدارمي» (١٤٦) و(١٥٠).

(**) انظر «أسباب النزول» للواحدي ص٥٦، الحديث رقم (٩٨).

. . . .

= وَٱلْحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٨٩] هم سألوا عن حقيقتها، وهو سبحانه أجابهم عن فوائدها، وأن هذا الذي ينبغي السؤال عنه، وأما السؤال عن حقيقة الشيء وكيف وكيف، هذا ليس للناس فيه مصلحة، ولذلك أعرض عن جوابهم لما سألوا وأجابهم بجواب آخر: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] قالوا: هذا فيه أنه ينبغي السؤال عن ما الناس في حاجة إليه، وأن هذه الأبواب التي ينبغي أن يدخل منها طالب العلم، ولا يأتي البيوت من ظهورها يدخلها من السطوح ومن تسلق الجدران، وهذا مثل من يسأل عن ما لا حاجة إليه، أو فيه كلفة وفيه تشكيك أو تشبيه، مثل الذي يأتي البيت من سطحه ويتكلف، وأما الذي يفتح الباب ويدخل أو يستأذن على أهل البيت ويدخل هذا يأتي البيوت من أبوابها. فالعلم كذلك له أبواب ينبغي سلوكها لمن يريد طلب العلم.

وقيل: إن معنى الآية أنهم كانوا في الجاهلية إذا أحرموا لا يدخلون البيوت من الأبواب وهم محرومون بزعمهم، وإنما يأتون البيوت من ظهورها، فالله نهاهم عن هذا الفعل، وبيّن أنه لا حرج أن يدخل الإنسان من الباب وهو مُحرم، ولا يتنافى هذا مع الإحرام، وإنما هذا من التكلف الذي ما أنزل الله به من سلطان.

ومن أهل البدع الآن من إذا أحرم لا يدخل تحت سقف ولا يركب في سيارة مسقوفة وإنما يكشف السيارة، وهذا من جنس هؤلاء. والنبي ﷺ ظلل عليه بالثوب وهو مُحرم وهو يرمي الجمرة، وضُربت =

فصل
في إثبات صفة الكلام[1]

= له قبة في نمرة ونزل فيها وهو مُحرم عليه الصلاة والسلام، ولم يمتنع من الاستظلال بالخيمة ومن التظليل عليه بالثوب وهو مُحرم، وهذا من تيسير الله سبحانه وتعالى.

الحاصل أن هذا الرجل الذي سأل مالكاً عن الكيفية، هذا يسأل عن ما لا فائدة منه ولا حاجة إليه ولا تبلغه العقول، وينبغي أن يتقاصر الناس عنه، وإنما كان الواجب أن يسأل عن معنى الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ما معنى استوى؟ فيكون الاستواء معلوم، يُبين له معنى الاستواء وأنه علو الله - جل وعلا - على عرشه وارتفاعه على عرشه سبحانه وتعالى.

(١) لما تكلم عن بعض الصفات فيما سبق أفرد صفة الكلام بفصل خاص، وذلك لأهمية هذه المسألة وكثرة ما وقع فيها من الضلال والانحراف، فهو أفردها بفصل عما قبلها لأهميتها ولكثرة ما وقع فيها من الخلاف.

وصفة الكلام لله - عز وجل - كسائر الصفات، الله موصوف - جل وعلا - بأنه يتكلم كيف شاء سبحانه ومتى شاء، وكلامه من الصفات الفعلية التي يفعلها متى شاء سبحانه وتعالى، تكلم في الماضي ويتكلم في المستقبل ويتكلم في يوم القيامة، متى شاء سبحانه وتعالى أن يتكلم فإنه يتكلم.

وكلام الله قديم النوع مثل سائر الصفات حادث الآحاد، يعني =

= صفة الكلام من حيث هي قديمة فالله ما زال يتكلم لأنه سبحانه بكلامه قديم أزلي لا بداية له سبحانه وتعالى، ولا بداية لأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى، وأما آحاد الكلام فإنها تتجدد وتحدث شيئاً فشيئاً، يتكلم متى شاء سبحانه وتعالى كسائر صفاته الفعلية.

وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة سيورد المصنف - رحمه الله - جملة منها، ولم يخالف في صفة الكلام إلا الجهمية ومن شرب مشربهم من الفرق الضالة. الجهمية يقولون: إن الله لا يتكلم وإنما خلق الكلام في غيره، إما في جبريل وإما في محمد، وإضافة الكلام إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، فالله - جل وعلا - لا يوصف عندهم بالكلام أبداً، وإنما الذي يتكلم مخلوق خلق الله الكلام فيه، إما جبريل وإما محمد. هذا كلامهم. وهذا أيضاً مذهب المعتزلة، فمذهب المعتزلة والجهمية سواء، ينفون الكلام عن الله ويقولون: إن كلام الله مخلوق.

الأشاعرة أرادوا أن يجمعوا بين المتناقضات، فقالوا: إن الله موصوف بالكلام النفسي فقط، كلامه في نفسه فقط، ولم يتكلم بحرف يسمع ولا بصوت يسمع، وإنما هو كلام نفسي عبر عنه جبريل أو عبر عنه محمد ﷺ، فهذا القرآن عند الأشاعرة هو عبارة عن كلام الله عبر به جبريل أو عبر به محمد ﷺ عن المعنى النفسي القائم بذات الله، فمعنى القرآن من عند الله وأما ألفاظه فهي من عند المخلوق. فهم جمعوا بين المتناقضات، جعلوا القرآن مخلوقاً وغير مخلوق، مخلوق من حيث اللفظ والحروف، وغير مخلوق من حيث المعنى. وهذا باطل =

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم[1]،

= وتناقض.

وأهل السنة والجماعة يقولون: القرآن كلام الله لفظه ومعناه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، فالقرآن هو كلام الله لفظه ومعناه، تكلم الله به حقيقة، سمعه جبريل وبلغه لمحمد ﷺ. وسمع موسى عليه السلام كلام الله، وكلم الله موسى تكليماً من غير واسطة، ولهذا خُص موسى بأنه كليم الله ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وهو موسى عليه السلام فموسى اختص من بين الرسل بأنه كليم الله، كلمه ربه تكليماً من غير واسطة وسمع موسى كلامه.

وكذلك الله - جل وعلا - يكلم عباده يوم القيامة، يكلم أهل الجنة ويُسلم عليهم ويردون عليه السلام بكلام يسمعونه، يرونه عياناً بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، ويكلمهم ويُسلم عليهم ويسمعون كلامه ويردون عليه السلام. فالله - جل وعلا - تكلم ويتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى بكلام حقيقي لفظه ومعناه. وأما كيف يتكلم فهذا لا نعلمه، هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فليس كلامه ككلام المخلوق، ما نقول إنه يتكلم كما يتكلم المخلوق، بل نقول: إنه يتكلم كما يشاء سبحانه وتعالى وكيف يشاء، ولا يعلم كيفية كلامه إلا هو سبحانه وتعالى كسائر صفاته.

(١) قوله: بكلام قديم، قديم النوع ولا يقال قديم مطلقاً هكذا، =

يسمعه منه من شاء من خلقه[1]. سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة[2]، وسمعه جبريل عليه السلام[3]، ومن أذن له من ملائكته ورسله[4]،

= وإنما هو قديم النوع حادث الآحاد، يعني جنس الكلام قديم وأما أنواعه فهي تتجدد وتحدث متى شاء الله سبحانه وتعالى.

(١) يسمعه منه من شاء من خلقه، يسمعه جبريل عليه السلام، فيحمله ويبلغه إلى أنبيائه، وسمعه موسى عليه الصلاة والسلام.

(٢) هذا لا شك فيه أن موسى عليه السلام سمع كلام ربه من غير واسطة بينه وبين الله، ولذلك خص موسى بهذه الميزة العظيمة من بين إخوانه النبيين.

(٣) كذلك اختص الله جبريل عليه السلام بأنه يسمعه كلامه، ويسمعه من جبريل أهل السماء فإذا سمعوه صعقوا، كما جاء في حديث النواس بن سمعان، وغيره، قال: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو رعدة شديدة، فإذا سمعها أهل السماء صعقوا وخروا لله سجداً[*].

(٤) ويسمع كلامه من أذن الله بسماعه من ملائكته ورسله، مثل موسى عليه السلام، ومثل جبريل.

(*) أخرجه الطبري في «التفسير» ١٠/٣٧٣ (٢٨٨٤٩)، وابن كثير في «التفسير» ٦/٥١٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» ١/٢٣٦ (٢١٦).

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه[1]، ويأذن لهم فيزورونه[2]. قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[3] [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[4] [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾[5] [البقرة: ٢٥٣].

---

(١) في الجنة، يكلم المؤمنين ويكلمونه من غير واسطة، يسمعون كلامه ويرونه سبحانه وتعالى، وهذا في الجنة.

(٢) يزورونه في وقت معين، يجتمعون في مكان من الجنة ثم يتجلى لهم سبحانه وتعالى بذاته ويرونه ويكلمهم ويكلمونه؛ لأن الله يعطيهم يوم القيامة قوة وقدرة يقدرون بها على رؤية الله - جل وعلا - وعلى سماع كلامه، أما في هذه الدنيا فلا أحد يستطيع أن يرى الله جل وعلا.

(٣) ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ كلَّمه، يعني مباشرة من غير واسطة، ثم أكد ذلك فقال: تكليماً، فالمصدر مؤكد ينفي أن يكون هناك معنى للتكليم غير ما يظهر منه بأن يقال كلمة بواسطة، بل رفع هذا بقوله: تكليماً.

(٤) هذا نداء من الله - جل وعلا - ينادي موسى عليه السلام، إني اصطفيتك، أي: اخترتك، على الناس برسالاتي وبكلامي. الشاهد في قوله: وبكلامي، أي: تكليمي لك من غير واسطة وندائي لك.

(٥) ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ [البقرة: =

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾[1] [الشورى: ٥١]

= ٢٥٣] وهو موسى عليه السلام كلمه الله مباشرة من غير واسطة.

(١) وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يعني ليس أحد يكلمه الله من غير حجاب بينه وبينه، هذا في الدنيا، فإن أحداً لم ير الله - جل وعلا - في الدنيا أبداً؛ ولهذا لما سأل موسى ربه أن يراه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] انهار الجبل وصار تراباً من عظمة الله سبحانه وتعالى، ولم يستطع الصمود والثبات، فكيف البشر المكون من لحم ودم، كيف يستطيع أن يرى الله - جل وعلا - عياناً في الدنيا؟ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أغشي عليه من شدة الهول ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ يعني ذهب عنه الغشي والروع ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهذا موسى سأل ربه أن يراه في الدنيا ولم يستطع.

ولذلك لا تجد أحداً من البشر يكلم الله قبل الآخرة من غير حجاب بحيث يرى الله سبحانه وتعالى عياناً ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] وحياً: بأن يلهمه إلهاماً، كما ألهم أم موسى أن تعمل مع ولدها ما عملت، وكما يحصل لنبينا محمد ﷺ أحياناً من وحي الإلهام، هذا بدون واسطة الملك، إلهام يلهمه الله من يشاء من عباده ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كما حصل لموسى عليه الصلاة والسلام، فإن الله كلمه بدون واسطة لكن من وراء حجاب؛ لأن موسى لم ير الله - =

كلام الله بحرف وصوت مسموع. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[1] [طه: ١١-١٢]

= جل وعلا - في الدنيا كما ذكر الله ذلك في سورة الأعراف: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [١٤٣] فهو كلمه من وراء حجاب. أو يرسل رسولاً من الملائكة إلى ذلك البشر فيوحي بإذنه ما يشاء، وهذا بواسطة الملك. فإذاً تكليم الله إما أن يكون إلهاماً، وإما أن يكون تكليماً من وراء حجاب، وإما أن يكون تكليماً بواسطة الملك. وأما أن يكلم الله - جل وعلا - أحداً من خلقه في الدنيا من غير حجاب ويرى ربه رؤية عيان فهذا لم يحصل لأحد، وإنما هذا في الآخرة للمؤمنين خاصة.

الشاهد من الآية أن الله أثبت لنفسه الكلام، وأنه يكلم من يشاء من وراء حجاب أو بالوحي أو بواسطة الملك.

(١) ذكر الله قصة موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج هارباً من فرعون وقومه لما قتل الرجل القبطي وتآمروا على قتله، وجاءه النذير فخرج عليه الصلاة والسلام وتوجه تلقاء مدين، وبقي في مدين عشر سنين يرعى الغنم على أن يتزوج ابنة الشيخ الكبير، تزوجها برعي الغنم ثمان سنين أو عشر سنين، وكان هذا هو المهر، ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ القصص: ٢٩] لما أنهى المدة رجع بزوجته إلى مصر حيث أهله وضل الطريق، وكانت ليلة باردة شديدة البرودة، وضل الطريق فأبصر ناراً ففرح بها، لأنه كما يكون حال المسافر التائه إذا رأى ناراً يفرح بها، =

= خصوصاً إذا كان جائعاً ومحتاجاً، فأجلس أهله ينتظرون وأتى إلى النار، فلما آتاها، على أنها ناراً عادية، يريد أن يطلب منهم خبراً عن الطريق، أو يأتي منهم بشهاب قبس يصطلي هو وزوجته من البرد، هذا غرضه عليه الصلاة والسلام، لكن الله أراد غير ذلك. فلما آتاها، أي: وصل إلى النار ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: ١١] من الذي نادى؟ هو الله - جل وعلا قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] هذا نداء مخاطبة من غير واسطة ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢] إلى آخر الآيات التي جاءت في هذا السياق.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ [القصص: ٣٠-٣١] فهذه الآيات صريحة أن الله كلم موسى من غير واسطة، وسمع موسى كلامه حقيقة من غير مجاز ومن غير ما يُشكل على أن هذا الكلام كلام من الله حقيقي بحرف وصوت وسمعه موسى، وأنه نداء وكلام سمعه موسى عليه السلام.

أهل الضلال يقولون: إن الله خلق الكلام في الشجرة فتكلمت، هل الشجرة تقول: يا موسى إني أنا ربك؟ فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك؟ هل الشجرة تقول أنا اخترتك فاستمع لما يوحى؟ إني أنا الله، هل الشجرة تقول: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، هذا كلام رب العالمين تعالى الله عما يقولون. =

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[1] [طه: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله[2].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء» وروي ذلك عن النبي ﷺ[3].

= فالآيات واضحة وضوحاً لا شك فيه في أن الله هو الذي تكلم سبحانه، وأن موسى سمع كلام الله. ففيها إثبات الكلام لله سبحانه وتعالى وأنه كلام يُسمع.

(١) هل الشجرة تقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني؟ تعالى الله عن ما يقولون.

(٢) (غير جائز أن يقول هذا أحد غير الله) هذا رد على الجهمية بأنها لا تقول الشجرة أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما كسبت. فلا يليق أن يكون هذا الكلام من مخلوق وإنما هو كلام الخالق - جل وعلا -.

(٣) إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء، وهم الملائكة الذين في السماء، هذا موقوف عن ابن مسعود[*]، لكن جاء مرفوعاً عن النبي ﷺ في حديث النواس بن سمعان: «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رعدة - أو رجفة شديدة - فإذا سمع ذلك أهل السماء

(*) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ١٠/٣٧٢-٣٧٣ (٢٨٨٤١، ٢٨٨٤٤) [سبأ: ٣]، وروى نحوه أبو داود (٤٧٣٨) مرفوعاً من حديث عبدالله بن مسعود، وهو حديث صحيح.

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا بُهْماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان». رواه الأئمة واستشهد به البخاري[1](*)

= صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما شاء، ثم يمر جبريل كلما مر بأهل سماء سأله أهلها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير»(**) فهذا فيه أن الله يتكلم بكلام ترتجف له السماء من هيبته وترتعد، وأن الملائكة يصعقون ويخرون لله سجداً، وأنهم يسألون إذا أفاقوا ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير. ففيه إثبات الكلام لله وأنه تسمعه السماوات ويسمعه أهل السماوات، ويحمله جبريل، من الله ويبلغه لمن أمره الله بتبليغه من رسل البشر.

(١) هذا فيه أن الكلام من الله - جل وعلا - متجدد الآحاد وأنه يتكلم إذا شاء، فهذا كلام يحدث منه سبحانه وتعالى يوم القيامة، كلام بصوت، وهذا نفي للمجاز (يسمعه من قرب ومن بعد) هذا دليل على أن هذا الكلام حقيقي وأنه بصوت وأنه يُسمع، وذلك في المحشر إذا حشر الله الخلائق يوم القيامة ينادي بصوت: أنا الملك أنا الديان. =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٥/٤٣١ (١٦٠٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وعلقه البخاري في «صحيحه» قبل الحديث (٧٨)، وقبل الحديث (٧٤٨١)، وهو حديث إسناده حسن، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) سلف تخريجه ص١١٠.

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها، ناداه ربه: «يا موسى» فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: «أنا فوقك، ووراءك، وعن يمينك، وعن شمالك» فعلم أن هذه صفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: «كذلك أنت يا إلهي فكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: «بل كلامي يا موسى»[1]

= هذا صريح في أن هذا الكلام صادر من الله - جل وعلا - وأنه بصوت وأنه يُسمع، فهل بعد هذا التفصيل وهذا البيان بيان في أن الله - جل وعلا - يتكلم كلاماً حقيقياً، وأنه يتكلم إذا شاء، وأن كلامه يتجدد سبحانه وتعالى متى شاء يأمر وينهى ويخلق ويرزق، كل ذلك بكلامه - جل وعلا - ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(١) هذا يوضح ما سبق من تكليم الله لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الليلة التي كان في الطريق سائراً بأهله إلى بلده وأصابه شيء من الضياع عن الطريق وشيء من البرد، فذهب إلى النار التي تراءت له يريد منها الخبر عن الطريق، ويريد منها جذوة ليقتبس منها لأهله لعلهم يصطلون، فالله - جل وعلا - ناداه، وكلمه لما جاء إلى هذه النار بكلام سمعه موسى عليه الصلاة والسلام، وقال: «أسمع كلامك ولا أرى مكانك»؛ لأن الله - جل وعلا - لا يُرى في الدنيا، محتجب عن خلقه في الدنيا؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته سبحانه وتعالى لعظمته =

فصل

في أن القرآن كلام الله حقيقة

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم[1]

= وكبريائه، فلا أحد يطيق النظر إليه في الدنيا، وإنما هذا يحصل للمؤمنين يوم القيامة إكراماً من الله لهم.

(فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك، أين أنت؟ قال: أنا فوقك) هذا فيه إثبات العلو (وعن يمينك وعن شمالك) أي أن الله - جل وعلا - محيط، وهو وإن كان - جل وعلا - في العلو فهو محيط بخلقه من أي جهة لا يخفى عليه من أمرهم شيء، فهو في السماء ومع هذا هو محيط بخلقه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمورهم. بل هو مطلع عليهم وشاهد عليهم سبحانه وتعالى. فالشاهد منها أن فيها إثبات الكلام لله - عز وجل - وفيها إثبات الفوقية لله والإحاطة، وأن فوقيته لا تتنافى مع إحاطته بخلقه سبحانه وتعالى.

(١) لما ذكر المؤلف - رحمه الله - أن من صفات الله - جل وعلا - الكلام فهو صفة فعلية يتكلم سبحانه وتعالى متى شاء وبما شاء بكلام يسمع، سمعه جبريل وبلغه للنبي ﷺ، وسمعه موسى عليه الصلاة والسلام بدون واسطة. ذكر المؤلف - رحمه الله - هذا مبسوطاً، وذكر الآيات الدالة على ذلك من كتاب الله سبحانه وتعالى، فهو يتكلم - جل وعلا - بكلام حقيقي يسمع وبحرف وصوت يسمع ويتلى ويقرأ ويكتب، ويتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى. =

. . . .

= وكلامه قديم النوع حادث الآحاد، فلا يجوز إطلاق القول بأن كلام الله قديم مطلقاً، بل يقال: إن كلام الله قديم النوع، ولكنه حادث الآحاد بمعنى أنه يتعلق بالمشيئة فهو يتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى وبما شاء، ومن ذلك القرآن، فهو من أفراد كلام الله - جل وعلا -؛ لأن كلام الله - جل وعلا - لا يحصيه إلا هو يخلق ويرزق ويدبر بالكلام ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فلا يحصي كلامه إلا هو سبحانه وتعالى ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧] فهو جل وعلا يتكلم بما يشاء، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويدبر بلا بداية ولا نهاية،ولا يعلم ويحصي كلامه سبحانه وتعالى إلا هو.

ومن كلامه العظيم القرآن العظيم الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء] نزل به الروح: يعني جبريل عليه الصلاة والسلام هو الروح، الأمين: وصفه بالأمانة لأنه عليه الصلاة والسلام أمين على وحي الله لا يزيد فيه ولا ينقص بل يبلغه كما أمره الله جل وعلا. وصفه الله بالأمانة، وهذا توثيق لسند القرآن أنه من رواية جبريل الأمين عن ربه سبحانه وتعالى، بلغه لمحمد ﷺ وبلغه محمد لأمته، وروته أمته عنه، كما في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ =

وهو كتاب الله المبين(1)

= ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٤] يعني محمداً ﷺ ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة] يعني بالقوة وأهلكناه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] وهو عرق الحياة، أي لانتقم الله - جل وعلا - منه أشد الانتقام لو تقول على الله - جل وعلا -.

فهذا توثيق لسند القرآن أنه من رواية محمد ﷺ عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فهو كلام الله منه بدأ، أي تكلم الله به سبحانه، فهو بدأ منه لا من اللوح المحفوظ - كما تقوله الجهمية - بل من الله - جل وعلا - منه بدأ وإليه يعود في آخر الزمان حين يهجر العمل بالقرآن، يرفع من المصاحف ومن صدور الرجال، فلا يوجد منه شيء في الأرض، وذلك إذا عُطل العمل به في آخر الزمان عند قيام الساعة.

(١) هو كتاب الله وهو كلام الله وهو القرآن، أسماء كثيرة له، فهو كتاب الله لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ومكتوب في المصاحف، وهو كلام الله لأن الله تكلم به - جل وعلا - لا كلام غيره، وهو القرآن وهو الفرقان وهو الذكر الحكيم وهو الهدى والبيان، إلى آخر أسماء القرآن العظيم مما يدل على عظمته؛ لأن الشيء إذا كثرت أسماؤه وصفاته دل على عظمته. (كتاب الله المبين) الذي بيَّن فيه سبحانه وتعالى ما يحتاجه العباد، فهو مبين بمعنى بيِّن واضح فصيح، وهو مبين بمعنى مبيِّن لما يحتاجه الناس من أمور دينهم ودنياهم، فهو كتاب عظيم شامل جامع لا تفنى عجائبه ولا تنفد علومه.

وحبله المتين[1] وصراطه المستقيم[2] وتنزيل رب العالمين[3]،

---

(١) الحبل معروف وهو ما يُتعلق به للنجاة والسلامة من الخطر، فالقرآن حبل الله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٣] حبل الله هو القرآن أو هو الإسلام، وفي الحديث: «هو حبل الله المتين»(*) الذي طرفه بيد الله وطرفه بأيدينا بمعنى من سار على نهجه وصل إلى الله -جل وعلا- ونجا.

(٢) وهو الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الصراط هو الطريق في اللغة، والمراد به هنا: قيل: القرآن، وقيل: الرسول، وقيل: الإسلام، والكل حق، فالقرآن صراط الله، والإسلام صراط الله، والرسول ﷺ صراط الله، أي: الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى.

(٣) تنزيل رب العالمين، قال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] هذه أوصاف القرآن، تنزيل رب العالمين: نزل من عند الله، تنزيل من حكيم حميد، تنزيل الكتاب من الله، فهو منزل من الله غير مخلوق - كما تقوله الجهمية قبحهم الله - بل هو منزل من الله، تكلم الله به وأنزله على رسوله بواسطة جبريل عليه السلام.

(*) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) من حديث علي بن أبي طالب.

نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين[1]، بلسان عربي مبين[2]، منزل غير مخلوق[3]. منه بدأ وإليه يعود[4].

---

(١) قال تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ الخطاب للرسول ﷺ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] لتنذر الناس بهذا القرآن العظيم، فالقرآن حجة الله - جل وعلا - على عباده ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فهو حجة الله على عباده، فمن بلغه القرآن وهو يفهمه لو أراد قامت عليه الحجة ولا عذر له.

(٢) بلغة العرب التي هي أفصح اللغات، بل بلغة قريش التي هي أفصح لغات العرب، فهو فصيح، وأفصح اللغات لغة العرب، وأفصح لغات العرب لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم، فلا أفصح من القرآن العظيم في ألفاظه وكلماته ومعانيه.

(٣) منزل من الله - جل وعلا - لا من اللوح المحفوظ بل من الله - جل وعلا -؛ لأن الله ذكر هذا في آيات كثيرة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢] لا من اللوح المحفوظ، فلم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ - كما تقوله المبتدعة - وإنما تلقاه جبريل عن الله - جل وعلا -.

(٤) (منه) من الله (بدأ) يعني تكلم الله به لا من اللوح المحفوظ ولا من غيره، ولا من محمد ولا من جبريل، بل هو من الله - جل وعلا - منه بدأ وإليه يعود في آخر الزمان.

وهو سور محكمات[1]

---

(١) القرآن سور وآيات وكلمات وحروف، والسور جمع سورة وهي القطعة من القرآن المبتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وبسم الله آية من القرآن نزلت للفصل بين السور، ما عدا براءة والأنفال، أول هذه السور فاتحة الكتاب وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وآخرها سورة الناس، وهو مائة وأربع عشرة سورة ، منها الطويل ومنها المتوسط ومنها القصير .

والسورة في الأصل: الشيء المحمي الرفيع. يقول النابغة في مدح النعمان بن المنذر:

ألـم تـر أن الله أعطـاك سـورة ... ترىٰ كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب

والسورة المنزلة الرفيعة، ومنه سميت سور القرآن لرفعتها، ولأنها منيعة لا أحد يرومها بزيادة أو نقص أو تحريف. فالقرآن محفوظ كما نزل على محمد ﷺ لم يبدل ولم يغير منه شيء؛ لأن الله تكفل بحفظه، قال - جل وعلا -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فلا أحد على كثرة الأعداء الحاقدين تجرأ على أن يغير في كلام الله أو يزيد أو ينقص، هذا من آيات الله سبحانه وتعالى، حفظ الله كتابه من العبث، وسيحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا يتطاول إليه أحد مع كثرة خصومه وكثرة أعدائه. ولو حاول أحد شيئاً من ذلك لفضحه الله سبحانه وتعالى وأخزاه كما حصل لمسيلمة الكذاب الذي زعم أنه ينزل عليه قرآن، فضحه الله وأخزاه وصار مضحكة للعالم. وكذلك كل من حاول أن يحاكي القرآن فإن الله - جل وعلا - =

وآيات بينات[1]،

= يفضحه ويخزيه ويجعله مضحكة للناس، بل يهلكه كما حصل لمسيلمة وغيره.

(محكمات) يعني: متقنات، من الإحكام وهو الإتقان. القرآن كله محكم بمعنى أنه متقن ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] فهو كله محكم بمعنى أنه متقن، وكله متشابه بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق وحلاوة اللفظ، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]. يعني يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإتقان والفصاحة والبلاغة.

ومنه محكم ومنه متشابه، والمراد الإحكام الجزئي والتشابه الجزئي، والمحكم كما عرفنا سابقاً هو الذي لا يحتاج في تفسيره إلى غيره، لأنه واضح في نفسه، والمتشابه: هو اللفظ المجمل الذي يحتاج في تفسيره إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فعرفنا إذاً أن القرآن يُطلق عليه كله أنه محكم، ويُطلق عليه كله أنه متشابه، ويُطلق على بعضه أنه محكم وعلى بعضه أنه متشابه، وهذا ما يسمى بالإحكام والتشابه العام والإحكام والتشابه الخاص، ولكل منهما معنى خاص به.

(١) قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [العنكبوت: ٤٩] آيات جمع آية، والآية في اللغة العلامة، سميت آية القرآن آية لأنها دلالة وعلامة على عظمة الله سبحانه وتعالى، فالآية في اللغة الدلالة والعلامة، =

وحروف وكلمات[1] من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات[2]،

= وهي على نوعين: آية متلوة، وآية مخلوقة. الآية المتلوة آيات القرآن، والآيات المخلوقة مثل الشمس والقمر والليل والنهار والشجر والبشر والبحار والأنهار، هذه آيات، سميت آيات لأنها دلالات وعلامات على قدرة الله - جل وعلا - وأما الآيات المتلوة فهي الوحي المنزل من عند الله - جل وعلا -، وسمي الجميع آية لأنه يدل على عظمة الله - جل وعلا - وعلى أحكامه وتشريعاته سبحانه وتعالى.

(١) القرآن الكريم حروف وكلمات وآيات، الحروف: حروف الهجاء المعروفة (أ، ب، ت...) إلى آخر حروف الهجاء الثمانية والعشرين، هذه حروف سميت حروفاً من الحرف وهو الطرف؛ لأنها قطع، وهي لا تدل على معنى في نفسها إلا إذا رُكِّبت مع غيرها، فإذا تركبت الحروف تكونت الكلمة، وإذا جمعت الكلمة مع الكلمة تكونت الجملة اسمية كانت أو فعلية. فهو حروف وكلمات وآيات، فالقرآن متكون من هذه الحروف العربية، وتكونت من هذه الحروف كلمات القرآن، وتكونت من كلمات القرآن آيات القرآن، وتكونت من آيات القرآن سور القرآن، وتكون من مجموع هذه السور القرآن العظيم والكتاب المبين. فهو حروف وكلمات وآيات وسور.

(٢) من قرأ القرآن فأعربه يعني قرأه قراءة صحيحة ليس فيها لحن، والإعراب: معناه السلامة من اللحن، فمن قرأ القرآن قراءة سليمة من اللحن فله بكل حرف عشر حسنات، لأن الحسنة بعشر أمثالها، ومن =

له أول وآخر[1] وأجزاء وأبعاض[2]، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف[3]

= قرأه قراءة غير معربة لعجزه عن ذلك فله أجر لكنه دون أجر من يتقن القراءة، لهذا جاء في الحديث: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(*) فجعل ﷺ الذي يتقن القراءة ويقيمها من اللحن والخطأ جعله مع السفرة الكرام البررة فهو أعظم أجراً من الذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ويشق عليه.

(١) القرآن له أول وآخر. يعني له بداية ونهاية، أوله حسب المصحف الذي أجمع عليه الصحابة سورة الفاتحة وآخره سورة الناس.

(٢) القرآن أجزاء، كما هو معروف ثلاثون جزءاً، كل جزء عشر ورقات، وهو أيضاً أحزاب، الحزب الفلاني، الحزب...، والأحزاب معناها جملة ما يقرأ القارىء في صلاة الليل، الصحابة كانوا يحزبون القرآن في صلاة الليل.

(٣) القرآن هو المتلو بالألسنة ومحفوظ في الصدور ومكتوب في المصاحف وهو كلام الله - جل وعلا- لأي اعتبار سواء كان متلواً أو كان مكتوباً في المصاحف أو كان محفوظاً في الصدور، هو كلام الله - جل وعلا - لا يختلف في ذلك، فالقارىء إذا قرأ إنما يقرأ كلام =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١/٢٠٦ (٢٤٦٦٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة.

= الله - جل وعلا -، فالصوت صوت القارىء وهو مخلوق ولكن المقروء والمتلو هو كلام الله - جل وعلا ليس مخلوقاً -، والمكتوب هو كلام الله حروفه ومعانيه، لكن الورق والحبر والكتابة من عمل البشر فهي مخلوقة، فهو كلام الله بأي اعتبار متلواً بالألسن أو محفوظاً في الصدور أو مكتوباً في الألواح أو في الأوراق والمصاحف، أو مكتوباً فيما هو أعلى من ذلك وهو اللوح المحفوظ؛ لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] وأم الكتاب هو اللوح، المحفوظ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج] يعني اللوح المحفوظ الذي كتب الله به مقادير الخلائق.

(١) القرآن يطلق عليه كله أنه محكم، ويطلق عليه كله أنه متشابه، ويطلق على بعضه أنه محكم وبعضه متشابه، ولكل قسم معنى خاص.

(٢) فيه ناسخ ومنسوخ، في هذا رد على الذين ينكرون النسخ كاليهود ومن شابههم، فالقرآن فيه ناسخ ومنسوخ وذلك لحكمة الله - جل وعلا -، فإن الله يشرع شيئاً في وقت لمصالح العباد في ذلك الوقت، ثم تتغير حالهم وتنتهي حاجتهم إلى ذلك فينسخ الله ما سبق بحكم جديد، والنسخ عند الأصوليين: هو رفع حكم ثابت بدليل بحكم آخر بدليل متراخ عنه، بدليل متأخر متراخٍ عنه، فالناسخ والمنسوخ ثابت في القرآن، وذلك من رحمة الله بعباده ولطفه بهم وإحسانه إليهم أنه يشرع لهم في كل وقت ما يناسبهم. وذلك كما في قوله تعالى: =

وخاص وعام[1]،

= ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠] كانت عدة الوفاة في الأول سنة كاملة، ثم نسخ الله ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فنسخ الحول بأربعة أشهر وعشرة أيام، هذا ناسخ ومنسوخ في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] ينسخ الله - جل وعلا - ما يشاء من كلامه وأحكامه وتشريعاته لمصالح العباد وحاجة العباد إلى ذلك، فهو يشرع في كل وقت ما يناسب، فإذا انتهت الحاجة إلى ذلك التشريع أبدله الله بتشريع آخر يليق بحاجة الناس، والنسخ في القرآن واقع، كما في القبلة كانوا يصلون في أول الإسلام إلى بيت المقدس ثم نُسخ ذلك إلى استقبال الكعبة المشرفة، هذا من النسخ في القرآن العظيم وهذا معنى قوله: (منه ناسخ ومنسوخ) ولا ينكر النسخ في القرآن أو الأحكام الشرعية إلا أهل الضلال.

(١) في القرآن خاص وعام، العام هو اللفظ الشامل لكل الأفراد، والخاص هو اللفظ الخاص بطائفة، مثل ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢] هذا لفظ عام لجميع الإنسان جميع البشر ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [العصر: ٣] هذا خاص؛ لأن المخصصات أنواع: منها مخصصات متصلة ومنها مخصصات منفصلة كما هو معلوم في كتب الأصول. والعام يُحمل على الخاص.

وأمر ونهي[1] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] [فصلت: ٤٢] **وقوله تعالى:** ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) الأمر طلب الفعل، مثل: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] طلب الصلاة وطلب الزكاة، والنهي طلب الكف ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢] هذا نهي عن وسائل الزنا من النظر، وكشف العورة، والخلوة بالأجنبية، وسفر المرأة بدون محرم، كل هذه من وسائل الزنا ومن الموصلة إليه فنهى عنها الشارع، قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ ولم يقل: ولا تزنوا فقط، بل قال لا تقربوا، وإذا نهى عن الشيء وعن أسبابه فهو أبلغ مما لو نهى عن الشيء نفسه فقط. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] هذا نهي، أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل: يعني بغير طريق شرعي وبغير إذن من صاحب المال المالك ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي التي في القرآن، الأمر بكل خير والنهي عن كل شر.

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ [فصلت: ٤١] يعني منيع الجانب لا أحد يصل إليه بتغيير ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ ﴾ ليس قبله شيء يكذبه ولا بعده شيء يكذبه، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وهو الله - جل وعلا فالقرآن منزل غير مخلوق.

ظَهِيرًا﴾[1] [الإسراء: ٨٨]

(١) لما أنزل الله تعالى القرآن تكلم الأعداء والكفرة، قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين اكتتبها، يعني أخبار الأمم الماضية، كتبها محمد وصار يقرؤها عليكم، ما نزل عليه شيء من الله إنما هي أساطير، والأكاذيب السابقة يسمونها أساطير، وبعضهم قال: هذا القرآن شعر. وبعضهم قال: إنه سحر، وقالوا، وقالوا، وبعضهم قال: لو شئت لأنزلت مثل ما أنزل الله، وقالوا: إن القرآن ليس من عند الله، المهم أنه من عند محمد ووصفوه بهذه الأوصاف ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] قول محمد ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ [الفرقان]، تحداهم الله - جل وعلا - فقال: ما دمتم تقولون: إن هذا القرآن من عند محمد وإنه من كلام البشر، ومحمد بشر مثلكم، وهذا القرآن مكون من حروف ومن كلمات ومن آيات من لغتكم التي تتخاطبون بها، فما دمتم تقولون: إن هذا القرآن من كلام البشر، وأنتم بشر بل أنتم أفصح البشر في وقتكم، هاتوا مثل هذا القرآن، تحداهم الله أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ وهو في مكة قبل الهجرة قبل أن يكون له شوكة أو دولة أو قوة، ومع هذا يتحداهم هذا التحدي، مع شدة عداوتهم له وما استطاعوا ثم تحداهم الله أن يأتوا بعشر سور ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٣] استعينوا بمن تشاؤون من الجن =

= والإنس، وهاتوا عشر سور مثل هذا القرآن، لم يستطيعوا. تحداهم الله بأن يأتوا بسورة واحدة بل بأقصر سورة كسورة إنا أعطيناك الكوثر أو إذا جاء نصر الله والفتح، تحداهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] استعينوا بمن شئتم وهاتوا من يشهد أن هذه السورة التي جئتم بها مثل القرآن، لم يستطيعوا، وعند ذلك تبين وثبت أن القرآن كلام الله - جل وعلا -؛ لأنه لو كان من كلام البشر لاستطاعوا أن يأتوا بمثله فدل على أنه ليس من كلام البشر وإنما هو من كلام الخالق - جل وعلا -. فهذا القرآن آية عظيمة ومعجزة هي أعظم معجزات الرسول، وهو معجزة باقية على مر الدهور، والتحدي ما يزال قائماً لكل أحد إلى أن تقوم الساعة، ما استطاع أحد ولن يستطيع ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] هذا إخبار عن المستقبل إلى أن تقوم الساعة، وتحدي قائم﴿وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] فالقرآن قائم يتحدى العالم والبشر كلهم، الجن والإنس، على أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سور القرآن. فهذا برهان واضح على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، وأنه كلام الله - جل وعلا -؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثل كلام الله - جل وعلا -.

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[1] [سبأ: ٣١] وقال بعضهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥] فقال سبحانه: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[2] [المدثر: ٢٦]، وقال بعضهم: هو شعر، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[3] [يس: ٦٩]،

---

(١) هذا من جملة مقالاتهم فهم قالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سبأ: ٣١] هذا من باب العناد - والعياذ بالله - والمكابرة.

(٢) (قال بعضهم) هو الوليد بن المغيرة المخزومي، من أشد خصوم رسول الله ﷺ في مكة، قال: إن هذا إلا قول البشر، قال الله - جل وعلا - متوعداً له: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ وهي جهنم ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المدثر]، لأنه قال هذه المقالة وهو يعلم أن هذا القرآن ليس من كلام البشر وأنه من كلام الله، وهو قد اعترف بأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر، لكن لما رأى تغير قومه عليه وإنكارهم عليه فإنه تظاهر أمامهم فقال: إن هذا إلا قول البشر قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر].

(٣) بعضهم قال: هذا القرآن شعر، والله - جل وعلا - نفى ذلك وقال: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١] وقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ [يس: ٦٩]، الرسول ﷺ ليس بشاعر ولا عُرف عنه أنه =

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآناً لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات[1]؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2] [البقرة: ٢٣]

= شاعر ولا أنه يقول الشعر، فكيف يكون هذا القرآن شعراً والرسول ﷺ ليس بشاعر، هذا من الكذب الواضح.

(١) (لم يبق شبهة لذي لب) يعني لذي عقل، أن هذا القرآن هو كلام الله - جل وعلا - لا كلام غيره، وأما جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأما الأمة حينما تتلوا القرآن أو تكتبه أو تحفظه فإنما هو كلام الله -جل وعلا- يحفظونه ويكتبونه ويقرؤونه.

(٢) ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إن كنتم أيها الكفار في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وهو محمد ﷺ نزلنا عليه القرآن ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فاستعينوا بمن شئتم ليشهدوا معكم ويعينوكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] أنه من كلام البشر ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: لن تقدروا على الإتيان بسورة ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ في المستقبل إلى أن تقوم الساعة، فاعلموا أنه كلام الله - جل وعلا - وأنكم كذبتم على الله وعلى رسوله ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] لأن هذا جزاء من عاند وكابر وجحد بآيات الله سبحانه وتعالى وجادل فيها.

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرَىٰ ما هو ولا يُعقل[1].

---

(١) ما تحداهم الله إلا بشيء من جنس كلامهم، حروف وكلمات وجمل من جنس كلامهم، يعرفون معانيه، ويعرفون تراكيبه بحكم أنهم عرب فصحاء، فهو تحداهم أن يأتوا بشيء يشبه هذا القرآن العظيم مما هو من كلامهم، لم يتحداهم بشيء لا يقدرون على حروفه أو على الكلمات التي يتخاطبون بها أو شيء لا يعلمون معناه، هو كلام عربي فصيح، تراكيب من حروف وكلمات وجمل، ومعانيه معروفة لديهم؛ لأنه بلغتهم وبلسانهم الذي يتخاطبون به فيما بينهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] كيف ينزل قرآن أعجمي على نبي عربي؟ والله - جل وعلا - من حكمته أنه أنزل القرآن بلغة النبي ﷺ وبلغة المرسل إليهم والمبعوث فيهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] الرسول يكون بلسان قومه ويتكلم بلغتهم يخاطبهم بما يعرفون، ومن ذلك أنه خاطبهم بهذا القرآن المكون من الحروف والكلمات والجمل، والتراكيب التي هي موجودة في لغتهم، فما الذي منعهم أن يأتوا بمثله؟ الذي منعهم هو أن هذا القرآن معجز؛ لأنه كلام الله، ولا يمكن لأحد أن يأتي بكلام يشبه كلام الله؛ لأن كلامه من صفاته - جل وعلا - وصفاته لا يشبهها صفات خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فلا يمكن أن يأتي كلام يشبه كلام الله؛ لأن صفات المخلوقين لا تُشبه =

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾ [يونس: ١٥]. فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم[(١)]

= صفات الخالق سبحانه، وكلام المخلوقين لا يشبه كلام الخالق سبحانه وتعالى، فدل على أن هذا القرآن منزل من عند الله وأن الرسول إنما هو مبلغ عن الله جل وعلا.

(١) ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ آياتنا: يعني آيات القرآن، بينات: واضحات الألفاظ والمعاني والدلالات، ليس فيها لبس ولا غموض ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني لا يؤمنون بالبعث والنشور والحساب، قالوا للرسول ﷺ: ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يقولون: نريد غير القرآن هذا، هات لنا غيره ونسلم ونؤمن، إذا جئت لنا بغير هذا القرآن نحن على استعداد أن نسلم؛ لأنهم يظنون أن هذا القرآن من كلام الرسول ﷺ قال الله - جل وعلا - لنبيه: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ أنا مبلغ فقط، أما الذي يبدله وينسخه وينسخ منه ما يشاء هو الله - جل وعلا - الذي تكلم به ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أنا مجرد مُبلِّغ متبع وواسطة بينكم وبين الله سبحانه وتعالى في تبليغ رسالته ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥] لو تصرف النبي ﷺ بهذا القرآن وبدل منه شيئاً لعذبه الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ ﴾ [الحاقة] =

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] [العنكبوت: ٤٩] وقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة]. بعد أن أقسم على ذلك[2]

= الرسول لا يتصرف في القرآن وإنما يبلغه كما جاء من عند الله - عز وجل - والرسول مهمته أنه يبلغ الرسالة. ثم قال: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦] بقي الرسول ﷺ في مكة أربعين سنة قبل البعثة، يعيش معهم ويعرفونه ولا يعرفون أنه تعلم ولا أنه سافر وتعلم في بلاد أخرى، بل كان موجوداً معهم في مكة عليه الصلاة والسلام، يعرفون أمانته، ويعرفون أخلاقه عليه الصلاة والسلام، عاش بينهم أربعين سنة وما تحدث إليهم بشيء من هذا القرآن، ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يبعثه وأن يرسله أنزل عليه هذا القرآن، فبلغه كما جاء فما الذي جعلني أربعين سنة لا أتكلم بشيء من هذا، وبعد الأربعين تكلمت بهذا بعد أن أنزله الله - جل وعلا -.

(١) ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] دلالات واضحة على أنه من عند الله - جل وعلا - ﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ يحفظونه في صدورهم ويتلونه، فحفظه بسهولة وتلاوته دليل على أنه من عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة] أقسم بمواقع النجوم، قيل المراد بالنجوم: =

= نجوم السماء، وكانوا في الجاهلية يعتقدون فيها أنها تُنزل المطر، أو أنها تُؤثر في نزول المطر، لأن من اعتقاد الجاهلية الاستسقاء بالنجوم، ونسبة المطر إلى طلوع النجم أو غروبه، أقسم الله - جل وعلا - بمواقع النجوم لأن هذه النجوم ليس لها تصرف وإنما هي من مخلوقاته سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦] وقيل: المراد بمواقع النجوم: نجوم القرآن لأن القرآن نزل منجماً على الرسول ﷺ حسب الوقائع والحوادث من حين بعثته ﷺ إلى أن توفاه الله والقرآن ينزل عليه مجزءاً حسب الوقائع والحوادث خلال ثلاث وعشرين سنة، هذا وقت نزول القرآن ومنه المكي ومنه المدني ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] هذا من جملة اعتراضاتهم السخيفة، ليس المهم في نزول القرآن جملة واحدة أو مفرقاً، وإنما المهم أنكم تتبعون القرآن، لكن هذا من اعتراضاتهم السخيفة ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان] هذه هي الحكمة في تنزيل القرآن على الرسول ﷺ منجماً لأن هذا أسهل على الأمة، فلو نزلت التكاليف والأوامر والنواهي جملة واحدة لشق ذلك على الأمة، فالله -جل وعلا- نزل هذا الشرع شيئاً فشيئاً، لأن هذا أرفق بالأمة. ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة] وهو اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وهم الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، أي: هذا القرآن تنزيل من الله - جل وعلا - لا من اللوح المحفوظ ولا من جبريل ولا من محمد، =

وقال الله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝﴾[الشورى] وافتتح تسعاً وعشرون سورة بالحروف المقطعة[1]

= وإنما هو منزل من الله - جل وعلا -.

(١) القرآن جاءت فيه حروف مقطعة في أوائل السور، مثل: الم، ومثل: الر، ومثل: المص، المر، ومثل: طه، يس، ص، ق، ن، حم. عسق، تارة تكون هذه الحروف التي افتتح الله بها السور حرفاً واحداً، وتارة تكون حرفين، وتارة تكون ثلاثة حروف وأكثر. وهي من القرآن بلا شك، هي قرآن من كلام الله سبحانه وتعالى، فكلام الله يتكون من حروف ومن كلمات ومن آيات؛ لأنه بلسان عربي وباللغة العربية، والعربية تتكون من ذلك ومع هذا أعجز الفصحاء أن يأتوا بمثله مع أنه من هذه الحروف التي يتكلمون بها ويتخاطبون بها، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، ومع هذا عجزوا عن أن يأتوا بسورة مثل القرآن. مع أنهم الخطباء الذين يتكلم الخطيب منهم ويجزل الكلام ويطيل الكلام في الخطب.

فإذا كانوا قد عجزوا على أن يأتوا بسورة قصيرة مثل القرآن فهذا دليل على أن القرآن ليس من كلام البشر، ولا هو من كلام الملائكة، ولا من كلام الخلق، وإنما هو من كلام الخالق سبحانه وتعالى.

والحروف المقطعة من العلماء من يقول: الله أعلم بمراده بها. فلا يتكلمون فيها، ومنهم من يقول: إن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور إشارة إلى الإعجاز، أي: أن القرآن مركب من مثل هذه =

وقال النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»(*). حديث صحيح[1].

= الحروف، وأنتم عجزتم أن تأتوا بأقصر سورة من سور القرآن، قالوا: ولذلك في الغالب أن الحروف المقطعة يأتي بعدها ذكر القرآن، مثل: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢] فأشار إلى القرآن الكريم وأنه لا ريب فيه هدى للمتقين، ومثل: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ [الشورى] ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ١-٢] إلى غير ذلك، فغالباً ما يأتي ذكر الكتاب وذكر القرآن بعد هذه الحروف المقطعة إشارة إلى الإعجاز، هذا الرأي الثاني هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم.

(١) «من قرأ القرآن فأعربه»(*)، أعربه يعني أقامه على الوجه العربي من غير لحن فيه، فهذا متقن للقرآن، ودليل على عنايته به، فله بكل حرف عشر حسنات؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها. فهذا فيه دليل على =

(*) أورده الموفق ابن قدامة في «المغني» ٢/٦ ونسبه للترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولم نجده في طبعات «جامع الترمذي» التي بين أيدينا، ولا في غيره من كتب الحديث. لكن تقدم حديث: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) وهو بمعنى هذا الحديث.

= فضل إتقان قراءة القرآن والسلامة من اللحن فيه. وأما من قرأه ولم يعربه بأن كان لا يحسن العربية فقد يرفع المنصوب وينصب المخفوض، فهذا له أجر على قدر استطاعته وتكلفه، وخطؤه مغفور؛ لأن هذا منتهى جهده وطاقته، وقد جاء في الحديث الآخر: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(*) فدل على أنه مطلوب تلاوة القرآن حسب استطاعة المسلم، فإن كان يستطيع أن يتعلم وأن يعدل القراءة وجب عليه ذلك ولا يبقى جاهلاً بالقراءة، وإن كان لا يستطيع أن يعدل فإنه يقرأ على حسب استطاعته، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يترك تلاوة القرآن وقراءة القرآن بل يحاول حسب استطاعته.

هذا من ناحية، والناحية التي ساق المصنف الحديث من أجلها هي أن قارىء القرآن ليس له إلا التلاوة والقراءة، أما المقروء فهو كلام الله سبحانه وتعالى، والقراءة هي عمل القارىء، ولذلك يتلوه بصوت حسن وبصوت غير حسن، فاختلاف القراءة بألسنة الناس دليل على أن القراءة من عمل الناس، وأما المقروء والمتلو فهو كلام الله سبحانه وتعالى، ولهذا يقولون: الصوت صوت القارىء والكلام كلام الباري. فالتلاوة عمل الإنسان والمتلو هو القرآن كلام الله سبحانه، من الناس من يحسنه ويتقنه ومنهم من دون ذلك.

(*) سلف تخريجه ص١٢٦.

وقال عليه السلام: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم، لا يُجاوز تراقِيَهم، يتعجلون أجره ولا يتأجَّلونه»(١)(*)

---

(١) ذكر هذا الحديث بعد الحديث الذي فيه فضل من قرأ القرآن فأعربه وأقامه على الوجه اللغوي الصحيح الذي نزل به فله عشر حسنات بكل حرف، لكن في هذا الحديث يبيِّن أنه ليس المقصود مجرد التلاوة ، وإنما المقصود التلاوة لأجل العمل بالقرآن، فالتلاوة وسيلة، والغاية هي العمل بالقرآن الكريم، فلا تحسبن هذا الأجر للتالي على مجرد التلاوة فقط وإن لم يعمل بالقرآن، بل هذا الأجر لمن يتلو القرآن ويعمل به، ولهذا يقول جل وعلا -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر] لم يقتصر على قوله: يتلون كتاب الله، بل قال: وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية، لا بد مع القراءة من العمل بالقرآن الكريم، أما مجرد التلاوة للرياء أو للسمعة أو للمدح فهذا لا ينفع صاحبه شيئاً، أو قراءة القرآن للتأكل به كما يفعل بعض المنتفعين من تأجير أنفسهم للتلاوة في المآتم والحفلات ولا لهم حرفة إلا حرفة التلاوة، وهم من أبعد الناس عن العمل بالقرآن، بل بعضهم =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٥٠٩ (٢٢٨٦٥)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ٦٨-٦٩، وأبو داود (٨٣١) من حديث سهل بن سعد، وهو حديث حسن، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

= قد لا يصلي، فهو حسن التلاوة وحسن الصوت ولكنه لا يعمل بالقرآن ولا يصلي، وإنما اتخذ تلاوة القرآن حرفة يتأكل بها، هذا عليه الوعد الشديد بأنه من الذين «لا يتجاوز القرآن تراقيهم» يعني لا يصل إلى قلوبهم، يتلونه بألسنتهم لغرض من الأغراض ولا يصل إلى قلوبهم والعياذ بالله.

وأيضاً بعض الناس يتلو القرآن ويتقن التلاوة ويقيمه إقامة السهم وهو يتقن القراءة جداً، ولكن لا يفهم المعنى ولا يتفقه في كتاب الله ولا يهتم بالتفسير حتى يعمل به، وإنما يؤدي اللفظ فقط وهو لا يعرف المعاني، أو يستدل بالقرآن على غير وجهه الصحيح - كما تفعل الخوارج - فالخوارج من أكثر الناس تلاوة للقرآن، ولكنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ لأنهم لا يتفقهون في القرآن، ولا يتعلمون معاني القرآن على الوجه المطلوب، فالقرآن لا يتجاوز حناجرهم؛ لأنهم لا يفقهونه ولا يعلمونه، فلا بد من أمور:

أولاً التلاوة والعناية بها.

ثانياً: معرفة المعاني والتفسير ومراد الله - جل وعلا - بكلامه.

ثالثاً: وهو الغاية العمل بالقرآن أما التلاوة وفهم المعنى فهذه وسائل، لكن الغاية والمطلوب هو العمل بالقرآن الكريم على ما أراده الله سبحانه وتعالى واعتقاد ما فيه.

نعم هناك من يتلو القرآن ويحسن القراءة لكن يعتقد خلاف ما يدل عليه القرآن، مثل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، يقولون: القرآن =

= ظواهر لفظية ونحن لا نبني عقيدتنا إلا على القواعد اليقينية المنطقية، فهؤلاء ليسوا من أهل القرآن وإن كانوا يتقنونه؛ لأنهم لا يبنون عقيدتهم عليه وإنما يبنونها على علم الكلام، فأين هؤلاء من القرآن؟

مجرد التلاوة وتحسين التلاوة ليس هو المطلوب، بل إن هذه التلاوة تكون حجة عليهم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك»(*) حجة لك إن عملت به، وحجة عليك إن لم تعمل به. لم تعمل به في العقيدة، لم تعمل به في الصلاة والصيام والحج، لم تعمل به فيما يطلب منك من تجنب المحرمات وفعل الواجبات، وكلٌّ على حسب وسعه وقدرته، وما منا أحد إلا عنده تقصير - أستغفر الله - ولكن يجب الالتفات إلى كتاب الله والعناية به، وليس المقصود التغني بالقرآن وتحسين الأصوات وجلب المستمعين، ما هذا هو المقصود، المقصود العمل والخشية والخوف من الله - عز وجل - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] التلاوة إذا سمعها المؤمن زادته إيماناً، التلاوة إذا سمعها المؤمن أبكته من خشية الله سبحانه وتعالى وأثرت فيه، ولهذا كان ﷺ إذا قرأ القرآن في الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء عليه الصلاة والسلام(**). ولما استمع إلى قراءة ابن مسعود من سورة =

(*) قطعة من حديث أبي مالك الأشعري، أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٥٣٥-٥٣٦ (٢٢٩٠٢)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧).

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٦/ ٢٣٨ (١٦٣١٢)، وأبو داود (٩٠٤) من حديث =

وقال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه[1].

= النساء ووصل إلى قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال النبي ﷺ: «حسبك» يعني قف، قال: فالتفت فإذا عيناه تذرفان عليه الصلاة والسلام[*].

هكذا يعمل القرآن في قلوب المؤمنين إذا سمعوه أو تلوه أثر فيهم خوفاً وخشية وبكاءً، وأثر فيهم عملاً صالحاً وقدوة صالحة. أما مجرد التلاوة وتحسين التلاوة ومعرفة القراءات السبع والعشر، هذا ليس هو المطلوب، ولو أن الإنسان يتلوه بسبع القراءات أو عشر القراءات، ليس هو المطلوب، المطلوب العمل بالقرآن هذا هو المطلوب وهذا هو الغاية من القرآن، وأما تعلم القراءات وإتقان التلاوة إنما هذه وسائل فقط.

(١) معناه أن إتقانَ القراءة وعدمَ اللحن أحسنُ من الحفظ الكثير الذي فيه لحن وفيه خطأ، فكونك تحفظ قليلاً من القرآن وتتقنه وتعربه على الوجه المطلوب أحسن من كونك تقرأ كثيراً لكنك لا تحسن قراءته على الوجه المطلوب.

= عبد الله بن الشخير، وهو حديث إسناده صحيح على شرط مسلم.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٩٤ (٣٦٠٦)، والبخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله[1].

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه[2] ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف[3].

---

(١) فكيف إذا أنكر آية أو أنكر سورة أو سوراً من القرآن؟ فكفره أشد والعياذ بالله. أو أنكر كلمة من القرآن، كفره أشد، لأنه جحد لكلام الله سبحانه وتعالى، وبالمناسبة بعض الناس يظن أن (طه) و(يس) من أسماء الرسول، وهذا غلط، (طه) من الحروف المقطعة ط، هـ، حرفان، كذلك (يس) ياء حرف وسين حرف، وليس هو من أسماء الرسول ﷺ، ولذلك يسمون أولادهم ياسين وطه زعماً منهم أن هذه أسماء مع أنها حروف مقطعة.

(٢) لا شك أن القرآن معروف عدد آياته وعدد سوره وعدد حروفه، ومن أراد معرفة ذلك فليراجع كُتُبَ علوم القرآن المسماة بأصول التفسير، مثل كتاب «الإتقان» للإمام السيوطي، وغيره من كتب أصول التفسير.

(٣) من أنكر القرآن أو أنكر سورة منه أو آية منه أو حرفاً منه أنه كافر بإجماع المسلمين، لكن بشرط أن يكون هذا الحرف متفقاً على صحته.

فصل

في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة(١)

---

(١) انتهى من الكلام على القرآن الذي هو من كلام الله سبحانه وتعالى، وانتقل إلى صفة من صفات الله عظيمة، وهي الرؤية. رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة كما تواترت بذلك السنة على الرسول ﷺ، وكما دل على ذلك القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] ناضرة الأولى بالضاد من النضرة وهي البهجة فوجوه المؤمنين يوم القيامة تكون نضرة مستنيرة بهجة، وأما ناظرة الثانية فهي بالظاء المشالة أخت الطاء، من النظر، وقد عدي بإلى، وإذا عدي النظر بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظره يوم القيامة عياناً، وهي وجوه المؤمنين النضرة الحسنة تنظر إلى وجه ربها فيزيدها ذلك بهجة وجمالاً ونوراً وفرحاً وسروراً، فالنظر إذا عدي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار، وإذا عدي بنفسه ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] فمعناه الانتظار، أي: انتظرونا، يقول المنافقون للمؤمنين يوم القيامة: انتظرونا نقتبس منكم؛ لأن المؤمنين يعطون نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والمنافقون يعطون نوراً في أول الأمر ثم يطفأ - والعياذ بالله -، ويصيرون في ظلمة، وهم مأمورون بالسير، فيقولون للمؤمنين: انظرونا، أي: انتظرونا حتى نقتبس من نوركم؛ لأنهم في ظلام دامس لا يدرون أين يذهبون ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٣-١٤] يعني في الدنيا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ =

= ﴿أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤] كانوا في الدنيا مع المؤمنين يصلون ويجاهدون لكنه ليس عن إيمان وإنما هو عن نفاق والعياذ بالله، فيعطون نوراً يوم القيامة من باب الخديعة والمكر بهم، كما أنهم يمكرون بالدنيا مكر الله بهم، أعطاهم نوراً ثم سلبه منهم وذلك لشدة حسرتهم والعياذ بالله.

الشاهد أنه إذا عُدي النظر بنفسه فمعناه الانتظار ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: ما ينتظر هؤلاء إلا قيام الساعة، فإذا عدي بنفسه فمعناه الانتظار، وإذا عدي بفي ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] فإذا عدي بفي فمعناه التفكير والاعتبار ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. يعني تفكروا في مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

الخلاصة: إذا عدي النظر بنفسه فمعناه التوقف والانتظار.

وإذا عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار.

وإذا عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار.

(١) بأبصارهم رداً على من يقول: إنهم ينظرون إليه بقلوبهم أو ينظرون إلى نعمته، ينظرون إلى جنته وإلى نعمته، ينظرون إلى الله يعني إلى جنته، وهذا تحريف لكلام الله - عز وجل - بل ينظرون إلى الله بأبصارهم هم رؤية حقيقية ليس بينهم وبينه حجاب إكراماً لهم حيث عبدوه في الدنيا وهم لم يروه وإنما عبدوه إيماناً به سبحانه وتعالى، =

= واستدلالاً بآياته الكونية والقرآنية، عبدوه بالإيمان والتصديق، فالله - جل وعلا - يوم القيامة يجازيهم على ذلك بأن يتجلى لهم فيرونه عياناً، فالذين عبدوه في الدنيا ولم يروه بل اعتمدوا في ذلك على الإيمان والتصديق بخبر الله وخبر رسوله والنظر في آياته أكرمهم الله يوم القيامة بأن تجلى لهم.

وأما الذين كفروا بالله - عز وجل - فإن الله يحجبهم عن رؤيته يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] لأنهم كفروا به في الدنيا ولم يصدقوا بإلهيته وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فحجبهم الله يوم القيامة عقوبة لهم. ودل ذلك على أن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] للذين أحسنوا: يعني العمل في الدنيا، الحسنى: وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله، كما فسرها بذلك النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم» أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى(*) وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] والمزيد هو النظر إلى وجه الله، وقال تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

هذه أدلة القرآن على رؤية الله سبحانه وتعالى، والسنة فيها أحاديث كثيرة متواترة، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم في كتابه (حادي =

(*) انظر «مسند أحمد» ٣١/ ٢٦٥ (١٨٩٣٥)، ومسلم (١٨١)، والترمذي (٣١٠٥) من حديث صهيب الرومي، وأوله: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ».

= الأرواح إلى بلاد الأفراح) فالرؤية ثابتة في القرآن ومتواترة في السنة، وإثباتها مذهب أهل السنة والجماعة، المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة يرونه في موضعين: في عرصات القيامة في المحشر، وفي الجنة إذا دخلوا الجنة يرونه رؤية تنعم وإكرام.

ذهب المعتزلة وأشباههم ومشتقاتهم إلى نفي الرؤية، قالوا: لأن الرؤية لا تكون إلا لجسم والأجسام متشابهة، فإذا أثبتنا الرؤية أثبتنا أن الله جسم والأجسام متشابهة! هذا مثل منهجهم في الصفات كلها، وهذا أمر باطل. فنقول: يرى المؤمنون ربهم ولا يلزم من ذلك ما تقولون وهو التشبيه، فإن الله - جل وعلا - لا يشبهه شيء، وفي الحديث: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، لا تُضامُون أو لا تُضامُّون في رؤيته سبحانه وتعالى»(*) وذلك لأن النبي ﷺ سُئل كيف نرى ربنا وهو واحد ونحن جميع؟ فالنبي ﷺ ضرب لهم مثلاً من المخلوقات يرونه ولا يحصل زحام وهو القمر ليلة البدر كلٌّ يراه وهو في مكانه، ولا يتزاحم الناس عندما يريدون رؤية القمر، هل يتزاحمون ليروا القمر أو كل يراه في مكانه؟ كذلك الشمس يرونها كل في مكانه لا يتزاحمون، فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله فإن الله - جل وعلا - أعظم وأجل، يُرىٰ ولا يحصل زحام أو تزاحم في رؤيته أو تضام، لا تُضامُون أو =

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٣١/٥٢٦ (١٩١٩٠)، والبخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله وانظر ما سلف ص٤٨، تعليق (*).

. . . .

= تُضامُّون في رؤيته سبحانه وتعالى.

فهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، رؤية الله - جل وعلا - برؤية الشمس والقمر وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي، لا يشبه الله القمرَ ولا يشبه الشمسَ ولا يشبه شيئاً من خلقه سبحانه وتعالى.

استدل نفاة الرؤية بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام ١٠٣] قالوا: هذا دليل على نفي الرؤية. نقول: هذا كلام باطل؛ لأن الآية ليس فيها نفي الرؤية وإنما فيها نفي الإدراك، وليس كل ما يُرىٰ يُدرك، تراه لكن لا تدركه، يعني لا تحيط به، وإنما تراه مجرد رؤية ولا يلزم من هذا أنك أحطت به، الشمس مثلاً - ولله المثل الأعلى تراها لكن هل تحيط بها؟ لا تحيط بها وهي مخلوقة، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟ فالآية ليس فيها نفي الرؤية وإنما فيها نفي الإدراك، بل إن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يدل على أن الأبصار تراه لكنها لا تدركه، يعني لا تحيط به سبحانه وتعالى.

واستدلوا بقوله تعالى لموسى (لن تراني): ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] قالوا: هذا دليل على نفي الرؤية. نقول لهم: هذا دليل على نفيها في الدنيا لأن موسى عليه السلام سأل ربه أن يراه في الدنيا، والله لا يرى في الدنيا، لا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا، ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ والنفي إذا جاء بلن فإنه ليس نفياً مؤبداً وإنما هو نفي مؤقت، بدليل قوله تعالى في اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥] نفى عن اليهود أن يتمنوا الموت =

ويزورونه[1]،

= في الدنيا، لكن في الآخرة يتمنونه، حين يقولون: ﴿يَمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني يطلبون الموت ليستريحوا من النار، فهم في الآخرة يتمنون الموت مع أنه قال عنهم في الدنيا: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ فدل على أن النفي بأن ليس للتأبيد، والذي في الآية ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ما قال: لا تراني وإنما قال: لن تراني، وهذا في الدنيا، فلا أحد يرى الله في الدنيا لضعف أجسام الناس ومدا ركهم عن رؤية الله، أما في الآخرة فإن الله يعطي المؤمنين قوة يستطيعون بها أن يروا الله سبحانه وتعالى، وأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا

لكن هنا نقطة وهي أن بعض الشراح - سامحهم الله - يقول: رؤية الله في الدنيا مستحيلة. وهذا غلط، رؤية الله في الدنيا ليست مستحيلة، بل هي ممكنة في الدنيا ولكن الناس لا يستطيعونها، ولهذا سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية، ولو كانت رؤيته في الدنيا غير ممكنة ما كان يليق بموسى أن يسأل شيئاً مستحيلاً، فليست رؤية الله في الدنيا مستحيلة، ولكن هي غير ممكنة لضعف مدارك الناس في هذه الحياة، وإلا فهي في حد ذاتها ليست مستحيلة؛ لأن موسى سأل ربه الرؤية، وموسى لا يسأل المستحيل ولا يسأل المحرم.

(١) يزورونه، كما جاء في حديث أبي هريرة في أنهم يزورونه - جل وعلا - يوم الجمعة، أو مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيتجلى لهم سبحانه وتعالى في هذا اليوم، ولهذا يسمى هذا اليوم بيوم المزيد، =

ويكلمهم ويكلمونه[1]. قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[2] [القيامة]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[3] [المطففين: ١٥]،

= كما في حديث أبي هريرة(*).

(١) يسلم عليهم ويردون عليه السلام ويكلمهم ويكلمونه، ولهذا جاء في الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»(**).

(٢) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ الأولى من النضرة وهي الحسن والبهاء، بالضاد، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء تنظر إلى ربها عياناً إكراماً لها. والمعطلة يقولون: (إلى ربها) إلى مفرد جمعه آلاء، ومعنى إلىّ: نعمة،إلى ربها، إلى نعمه، لأن الآلاء هي النعم، فيريدون ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] بينما إلى حرف جر ليست مفرداً جمعه آلاء، إلى حرف جر معروف، لكن الذي حملهم على هذا هو - والعياذ بالله - التعصب للمذهب، وهذا تحريف لكلام الله -عز وجل-.

(٣) فإذا كان يحجب الكفار عن رؤيته يوم القيامة فهذا دليل على =

(*) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦).
وانظر «تفسير الطبري» ١١/ ٤٣٠ (٣١٩٣٨)، و«تفسير ابن كثير» ٧/ ٤٠٧ سورة «ق» الآية ٣٥. حيث أوردا حديثاً عن أنس بن مالك فيه يذكر تجلي الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة يوم الجمعة.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ١٨٠ (١٨٢٤٦)، والبخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم.

فلما حجب أولئك في حال السخط[1] دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق[2].

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُون في رؤيته»[*][3]. حديث صحيح متفق عليه.

= أن المؤمنين يرونه، وإنما يُحجب عن الرؤية الكفار فقط إهانة لهم، لأنهم كفروا به في الدنيا فكان جزاؤهم أن يحجبوا عن رؤيته يوم القيامة، والذين آمنوا به في الدنيا يكرمون برؤيته وتقر عيونهم برؤيته سبحانه جزاء لهم.

(١) هذا وجه الاستدلال.

(٢) ولهذا يقول الشافعي - رحمه الله -: إذا كان حجب أعداءه عن رؤيته فهذا دليل على أن أولياءه يرونه سبحانه وتعالى، وإلا لم يكن هناك فرق بين المؤمنين والكافرين، لو كان الله لا يرى في الآخرة ما كان هناك فرق بين المؤمنين والكافرين فيكونون كلهم محجوبين.

(٣) أو لا تَضامُّون، يعني ما تجتمعون في مكان واحد ويحصل زحام، مثل ما يحصل عند ما يريد الناس أن يروا شيئاً واحداً يتزاحمون يريدون رؤيته، والله - جل وعلا - أبين من كل شيء لا يحتاج الناس للتزاحم كي يرونه سبحانه، إنهم يرونه من غير مزاحمة، كل في مكانه ومنزله.

(*) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله. وانظر «جامع الأصول» ١٠/٥٥٧-٥٥٨ (٨١٢٥).

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية[1]، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله لا شبيه له ولا نظير[2].

فصل

في الإيمان بالقدر

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته[3].

---

(١) أي تشبيه لرؤية الله برؤية الشمس والقمر وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي.

(٢) ولهذا قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون» تشبيه للرؤية بالرؤية. والأشاعرة أرادوا أن يخرجوا من مذهب المعتزلة؛ لأنهم لا حيلة لهم بنفي الرؤية وهي ثابتة، فأرادوا أن يخرجوا من مذهب المعتزلة ولكن أدركتهم الشقاوة، وقالوا: لله - جلا وعلا - يُرى لكن لا في جهة؛ لأنهم ينفون علو الله سبحانه وتعالى. ونقول: هذا كلام باطل بل الله - جل وعلا - يُرى وهو في جهة العلو سبحانه وتعالى.

(٣) هذا دخول في صفة ثانية من صفات الله وهي القضاء والقدر، وأن الله سبحانه وتعالى قضى وقدر كل ما يقع في هذا الكون من أوله إلى آخره، لا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه وتعالى، كل شيء بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وخلقه وإيجاده سبحانه وتعالى، وذلك أن الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، كما قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، =

. . . .

= وتؤمن بالقدر خيره وشره»(*) قوله: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» هذا دليل على أن الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة ومن أصول الإيمان، فمن جحده جحد ركناً من أركان الإيمان وأصلاً من أصول الإيمان.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع مراتب:

المرتبة الأولى: أن الله علم ما كان وما يكون في علمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً.

المرتبة الثانية: أنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل ما يكون إلى أن تقوم الساعة.

الأمر الثالث: أنه لا يكون في هذا الكون من إيجاد شيء أو هلاك شيء أو موت أو حياة أو وجود أو عدم إلا بمشيئته سبحانه وتعالى وإرادته، فإذا أراد شيئاً كان، كما قال الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فلا يكون في هذا الكون من حياة أو موت أو خير أو شر أو مرض أو صحة أو خصب أو جدب أو غير ذلك إلا بمشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى، لا يكون في ملكه ما لا يريد.

الأمر الرابع: أنه إذا أراد شيئاً وشاءه خلقه وأوجده سبحانه وتعالى فلا يكون في هذا الكون إلا ما خلقه الله وأوجده الله، كما قال تعالى: =

(*) قطعة من حديث عمر بن الخطاب أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٣٢٢-٣٢٣ (١٩٤)، ومسلم (٨) وابن ماجه (٦٣)، والترمذي (٢٦١٠). وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ١/ ٩٣ الحديث الثاني.

ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا بتدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور(1).

= ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] فهو المنفرد بالخلق والإيجاد. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فأعمال العباد من جملة الأشياء التي يخلقها الله - جل وعلا - علمها وكتبها وشاءها وأرادها وخلقها وأوجدها في مواقيتها التي شاءها سبحانه وتعالى، فهي أفعال العباد فعلوها بإرادتهم ومشيئتهم وقدرتهم وهي خلق الله - جل وعلا - وإيجاده سبحانه وتعالى، هذا هو ملخص الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه لا بد من هذه الأربع مراتب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه في سورة البروج: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ فإذا أراد شيئاً فعله وأوجده، لا يمتنع عليه شيء لأنه فعال لما يريد، أما المخلوق فقد يريد شيئاً لكن لا يستطيع أن يفعله، أما الله - جل وعلا - فإنه فعال لما يريد، وهذا عام في كل ما في هذا الكون أنه بإرادة الله وأنه فعل الله - جل وعلا - الله خالق كل شيء.

(١) كل مخلوق فإنه لا بد أن يقع ما قدره الله عليه من خير أو شر، من صلاح أو فساد، من كفر وإيمان، من طاعة ومعصية، هذا في الأفعال وكذلك الأقدار التي تجري عليهم بغير اختيارهم، مثل =

عقيدة أهل السنة والجماعة في أفعال العباد:

أراد ما العالم فاعلوه[1] ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن

= المرض والصحة والغنى والفقر، هذه بغير مشيئتهم وغير إرادتهم وإنما هي من الله سبحانه وتعالى. أما أفعالهم فإنها بمشيئتهم وإرادتهم، هم يفعلونها وهم يتركونها وهم يحبونها وهم يبغضونها وهم يريدونها، فهي بإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم واختيارهم ولا يمنع أن يكون هذا خلق الله - جل وعلا - الله خلقهم وخلق قدرتهم وخلق مشيئتهم، وخلق إرادتهم وخلق أفعالهم.

(١) أراد الله - جل وعلا - ما العالم فاعلوه، لا يخرج شيء عن إرادته سبحانه، هذا في الإرادة الكونية العامة لكل شيء، الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، أما الإرادة الشرعية فإنها إنما تختص بالطاعات فقط، ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] فالإرادة نوعان: إرادة كونية وهذه يدخل فيها كل شيء من الخير والشر، والطاعة والمعصية، والكفر والإيمان، كل ذلك إراده الله كوناً. وأما النوع الثاني وهي الإرادة الدينية الشرعية فهذه إنما تكون للطاعات والأعمال الصالحة وقد تقع وقد لا تقع، الإرادة الدينية قد تقع وقد لا تقع، فالله أراد شرعاً من الكافر أن يسلم ولكنه لم يسلم، ما وقع ما أراد الله منه ديناً، وأراد الله الإيمان من جميع الناس لكن المؤمن أطاع والكافر عصى، فالإرادة الكونية لا بد من وقوعها، وأما الإرادة =

يطيعوه جميعاً لأطاعوه[1] خلق الخلائق وأفعالهم[2] وقدر أرزاقهم وآجالهم[3]، يهدي من يشاء برحمته،

= الدينية فقد تقع وقد لا تقع حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى ورحمته.

(١) قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] فلو شاء الله أن يؤمن جميع العالم لآمن جميع العالم، ولكنه لحكمته سبحانه وتعالى جعل هذا راجعاً إلى اختيار الناس، فالمؤمن يؤمن بإرادته ومشيئته، والكافر يكفر بمشيئته وإرادته واختياره، ومن أجل أن يحصل بسبب هذا الجهاد في سبيل الله وتظهر أسماء الله وصفاته من الإنعام والانتقام والرحمة والغضب، لو كان الناس كلهم صالحين لن يوجد أحد من أهل النار، ولو صار الناس كلهم كفاراً - لن يوجد أحد من أهل الجنة، فمن حكمته - جل وعلا - أنه قدر الإيمان والكفر، وأمر الناس ونهاهم اختباراً وابتلاءً، فمن أطاع صار من أهل الجنة، ومن عصى صار من أهل النار لأفعاله واختياره هو لنفسه.

(٢) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

(٣) قدر أرزاقهم وآجالهم، ومرضهم وشفاءهم، وموتهم وحياتهم، وهذا ليس لهم فيه تصرف، إنما هذا يجري عليهم من غير إرادتهم ولو كانوا يكرهون هذا الشيء ولا يريدونه، يجري عليهم المرض والموت، ويجري عليهم المكاره والمسرات، هذه تجري عليهم بقضاء الله =

ويضل من يشاء بحكمته[1]، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ

= وقدره.

(١) يهدي من يشاء ويضل من يشاء لحكمة، فهو لا يهدي إلا من يستحق الهداية ويعلم بمن يصلح للهداية، وهو أعلم بالمهتدين، ويضل من يشاء بحكمته سبحانه وتعالى وعدله وهو أعلم بمن لا يصلح للهداية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]. حرص النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب، ولما مات قال: «لأستغفرن لك ما لم أنهَ عنك»(*) فنهاه الله عن الاستغفار: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ فهو أعلم سبحانه بمن يستحق الهداية ويصلح لها فيوفقه لها، ويعلم من لا يستحق الهداية فيحرمه منها عقوبة له، فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، ما على الرسول إلا البلاغ أما الهداية فهي بيد الله سبحانه وتعالى، والرسول يهدي بمعنى أنه يبلغ ويرشد ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] يعني تدل وترشد، وأما الهداية التي هي هداية القلوب وهداية القبول فهذه بيد الله - جل وعلا - ليست بيد الرسول ﷺ، ولو حرص الرسول ما حصلت الهداية إلا لمن شاء الله سبحانه وتعالى.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٩/ ٧٨ (٢٣٦٧٤)، والبخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن.

وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1] [الأنبياء: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

---

(١) هذا في حق الله - جل وعلا - لا يُسأل عما يفعل سبحانه وتعالى؛ لأنه يفعل ما يشاء لحكمة، لا يفعل شيئاً إلا لحكمة. والحكمة وضع الأمور في مواضيعها، فوضع الهداية فيمن يصلح لها، ووضع الغواية فيمن يصلح لها، ويوفق للجنة من يصلح لها، ويوفق للنار من يصلح لها، فهو أعلم بخلقه سبحانه وتعالى. وهذا مما يوجب على المسلم أن يلجأ إلى الله وأن يدعو الله بالهداية والتوفيق، وأن لا يُعجب بنفسه وبعمله بل يفوض الأمر إلى الله - جل وعلا - ويخشى من الله - جل وعلا -، يخشى أن يضله الله - جل وعلا - وأن يزيغ قلبه. ولهذا كان ﷺ يكثر من الدعاء يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك» فتقول له عائشة: إنك تكثر أن تقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك، فيقول: «وما يؤمني وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقلب قلب عبد قلبه»(*)، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ليس الإيمان بأيديكم؟ ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام ١٠٩-١١٠] فالإيمان بيد الله سبحانه وتعالى.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/ ٢٣٠ (٢٦١٣٣) من حديث عائشة، وهو حديث صحيح لغيره، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[1] [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[2] [الفرقان: ٢]، وقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾[3]

---

(١) هذا إثبات القدر وأن كل المخلوقات كلها بقضاء الله وقدره ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ﴾ لا يخرج عن هذا شيء ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ لا يخرج شيء عن خلق الله - جل وعلا - ﴿بِقَدَرٖ﴾ إن كل شيء مقدر، فهذه الآية عامة شاملة حاسمة في هذا الموضوع.

(٢) خلق كل شيء: هذا فيه أن كل شيء من خلق الله، وأنه قدره تقديراً، ما هو بشيء مستأنف أو شيء أنف إنما هو بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى.

(٣) قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢] هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنه ما ينزل من مصيبة بالعباد في أنفسهم من الأمراض والموت وسائر الآفات البدنية التي تصيب الناس، أو في الأرض، مما يصيب الأرض من القحط وانحباس الأمطار، والجوائح في الثمار، والأمراض التي تكون في الأشجار وتُنقص المحاصيل وتتعرض للحبوب والثمار بالإصابة، وكذلك ما يحدث في البحار من الحوادث التي تذهب فيها الأموال الطائلة، إن كل هذه المصائب الأرضية والمصائب البدنية كلها بقضاء الله وقدره، لا يحدث منها شيء إلا وقد قضاه الله وقدره على عباده لحكمة منه سبحانه وتعالى وهي بسبب أفعال العباد المخالفة لشرع الله وطاعته كما قال تعالى: =

[الحديد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾(١) [الأنعام: ١٢٥].

= ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ثم أخبر سبحانه وتعالى أن هذه المصائب مكتوبة في كتاب وهو اللوح المحفوظ، فهذا فيه دليل على درجة الكتابة، كتابة المقادير في اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] أي: أنها مكتوبة قبل أن تنزل وقبل أن تحدث، مكتوبة في اللوح المحفوظ، ليست اعتباطاً وإنما هي شيء ثابت مقدر علمه الله وكتبه في اللوح المحفوظ. فدلت هذه الآية على إثبات مرتبتين من مراتب القضاء والقدر:

المرتبة الأولى: مرتبة الكتابة في اللوح المحفوظ.

والمرتبة الثانية: مرتبة الخلق والإيجاد ودلت الآية على أن كل شيء يحدث فإنه من خلق الله سبحانه وتعالى، الله خالق كل شيء من الخير والشر، والمحبوبات والمكاره، لا يحدث شيء إلا والله خالقه ومدبره وموجده سبحانه وتعالى.

(١) وهذه الآية فيها إثبات الإرادة الكونية، فمن أراد الله هدايته وقبوله للحق فإنه يجعل فيه أهلية لذلك بأن يشرح صدره للإسلام، يعني يوسع صدره فيتقبل الحق ويطمئن إليه ويرتاح له، فالله جعل فيه قابلية لذلك وجعل فيه أهلية لذلك، لعلمه سبحانه أنه يصلح للهداية وأنه يقبل الهداية، فيجعل الله في نفسه القابلية والإقبال والرغبة في =

= الخير وينشرح صدره للإسلام.

ومن يرد قضاء وقدراً أن يضله بعدله سبحانه لعلمه أنه لا يصلح للهداية فإنه لا يجعل فيه قابلية للهداية، ويجعل صدره ضيقاً بدل أن يشرح صره ويوسعه يجعله ضيقاً لا يقبل شيئاً ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وفي قراءة: ﴿صَدْرَهُ ضيقاً حَرِجاً﴾(*) يعني أنه لا يقبل الحق ولا يطمئن إلى الحق بل يضيق صدره، إذا سمع الحق ضاق صدره وانقبض وأعرض، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] فهذا الصنف من الناس يفرح بالباطل وينقبض عن الحق؛ لأن الله لم يجعل فيه قابلية لذلك لعلمه - جل وعلا - أنه لا يصلح للهداية.

والله - جل وعلا - حكيم يضع الأمور في مواضعها فيضع الهداية فيمن يستحقها ويقبلها ويرتاح لها، ويجعل الضلال فيمن لا يقبل الحق ولا يرتاح له. وهذا ظاهر في الناس، من الناس من ينقبض إذا سمع الحق، وسمع القرآن، وسمع الذكر، وسمع المواعظ، ينقبض ويضيق صدره، ومن الناس من يرغب في الخير ويرغب في سماع الخير، فدل على أن للهداية والضلال أسباباً من قبل العبد، فالذي يقبل على =

(*) وهي قراءة نافع وأبي بكر بكسر الراء (حَرِجاً) جعلاه اسم فاعل، ومعناه الضيق، كرر المعنى، وحَسُن ذلك لاختلاف اللفظ، فالمعنى يجعل صدره ضيقاً. «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ١/ ٤٥٠.

وروى ابن عمر [عن أبيه] - رضي الله عنهما - أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره». فقال جبريل: صدقت. انفرد مسلم بإخراجه(1)(*).

= الحق ويرغب فيه يوفقه الله - جل وعلا - للحق، والذي يبغض الحق وأهل الحق يحرمه الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله حكيم لا يضع الهداية فيمن ليس أهلاً لها، ولا يضع الضلال فيمن ليس أهلاً له، بل هو يضع الأمور في مواضعها سبحانه وتعالى وذلك حسب إرادته الكونية.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] يستحيل عليه الإيمان كما يستحيل عليه الصعود إلى السماء؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يصعد إلى السماء بنفسه، وإنما يطير بواسطة الآلات، أما هو بنفسه فمستحيل أن يطير إلى السماء؛ لأن الله لم يخلقه طائراً وإنما خلقه دابة تدب على وجه الأرض، فيستحيل عليه الإيمان وقبول الحق كما يستحيل عليه الطيران إلى الجو. ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، انظر بيان الحكمة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] هذا بسبب عدم إيمانهم.

(١) لما ذكر الأدلة من القرآن على القضاء والقدر ذكر الأدلة من السنة، فذكر حديث جبريل، وهو حديث ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما، لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض =

(*) سلف تخريجه ص١٥٥.

= الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الحاضرين، هذا الرجل فيه غرابة عظيمة ليس هو من أهل البلد، لأنهم لا يعرفونه، ولا من أهل السفر، لأنه ليست عليه علامات السفر حتى يقولوا: هذا غريب، ولذلك استغرب الصحابة، وجلس إلى النبي ﷺ.

وكان جبريل في الغالب يأتي النبي ﷺ بصورة رجل؛ لأن الملائكة لا تأتي إلى بني آدم بالصورة الملكية؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتهم، وإنما تأتي بصورة رجال، حيث أعطاهم الله القدرة على التصور بصور الرجال، فجاءه على صورة رجل جلس بين يديه، سأله عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت.

هذه عجيبة ثانية، كيف يسأل ويقول: صدقت؟ العادة أن السائل جاهل، وهذا يقول للرسول ﷺ: صدقت، فدل على أنه عالم بذلك، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت.

سأله أولاً عن الإسلام وهو الأعمال الظاهرة، ثم سأله عن الإيمان وهو الأعمال الباطنة، ولا بد من الأمرين لا بد من الإسلام والإيمان، فالدين أعمال ظاهرة وأعمال باطنة لا بد منهما، لا يكفي إسلام بدون إيمان ولا يكفي إيمان بدون إسلام، بل لا بد منهما معاً. =

وقال النبي ﷺ : «آمنت بالقدر خيره وشرِّه، وحلوه ومرِّه»(١).

= الشاهد من الحديث قوله: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» فجعل الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة. فدل على أن من لم يؤمن بالقدر لم يصح إيمانه؛ لأنه نقص ركناً من أركان الإيمان، هذا هو الشاهد من الحديث.

(١) هذا الحديث ذكره المصنف ونسبه للنبي ﷺ: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»(*) المعنى صحيح أن الإيمان بالقدر أمر لا بد منه خيره وشره، الخير كل الأمور المحبوبة والمرغوبة والمفيدة، والشر كل الأمور الضارة والأمور المكروهة، الطاعات خير والمعاصي شر، وكلها بقضاء الله وقدره وحلوه ومره. القدر فيه حلو وهو ما يلائم النفوس من الملذات والمسرات، وفيه مر وهو ما لا يلائم النفوس من المصائب والآلام والهموم والأحزان، هذا مرٌّ ولكنه قضاء وقدر لا بد منه، لا بد من الإيمان به، أما الذي لا يؤمن إلا بحلو القضاء فهذا يتبع هواه ويتبع شهوته، لكن الذي يؤمن بحلوه ومره جميعاً هو المؤمن الصحيح، أما الذي لا يؤمن إلا بما يلائم نفسه فهذا ليس بمؤمن بالقضاء وإنما يؤمن بما يتلذذ به فقط. لكن الميزة لمن يؤمن بأمر القضاء والقدر، أنه يصبر على المصائب ويعلم أنها بقضاء الله وقدره ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] أولئك هم الصابرون ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] يعلمون أن المصيبة من عند الله =

(*) أورد الحديث الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٢٨٧ من حديث أنس بن مالك.

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت»(١)(*)

= وأنه لا بد منها، وأنها ما وقعت إلا وهي مقدرة لا بد من وقوعها، فيصبرون ولا يجزعون ولا يتسخطون، ويحاسبون أنفسهم، ربما تكون هذه المصيبة عقوبة على ذنب، على خطيئة، على مخالفة، فيحاسبون أنفسهم ويتوبون إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] فبدل أن يجزع ويتسخط يصبر ويتوب إلى الله - جل وعلا -، ويعلم أنه ما أصابه شيء إلا بسبب ذنوبه، ويتوب إلى الله - عز وجل - فيكون ذلك خيراً له، تكون هذه المصيبة في النهاية خيراً له وعاقبة حسنة له، فتكون في مصلحته، أما الذي يجزع ويتسخط فإنه لا يسلم من المصيبة ولا يؤجر عليها بل يأثم بتسخطه وجزعه، فلا هو الذي سلم من المصيبة ولا هو حصل على الأجر. نسأل الله العافية.

(١) علم النبي ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهما - ابن بنته فاطمة - رضي الله عنها - علّمه دعاءً يدعو به في قنوته، يعني القنوت الذي في الوتر بعد الركوع، يقول: «اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يُقضى عليك»(*) الشاهد فيه قوله: «وقني شر ما قضيت» حيث أضاف الشر إلى القضاء والقدر، والشر: هو المكروه =

(*) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي ٣/ ٢٤٨ (١٧٤٤) من حديث الحسن بن علي، وهو حديث حَسَّنه الترمذي.

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره، واجتناب نواهيه[1]، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال

= الذي يصيب الإنسان أو ما يقع على الإنسان من المكاره أنه مقضي ومقدر، أمر النبي ﷺ سبطه الحسن بن علي أن يدعو الله - جل وعلا - أن يقيه شر ما قضى، وأن يجعل قضاءه خيراً له ولا يكون من الذين يصيبهم القضاء والقدر فيجزعون ويتسخطون فيحصلون على الإثم، فهو دعا الله - جل وعلا - بأن يقيه شر القضاء والقدر بأن يعينه على الصبر والتحمل والرضا بقضاء الله وقدره. فيكون ذلك خيراً له نهاية ومآلاً؛ لأن الله لا يقضي ويقدر على المؤمن إلا ما هو خير له «إن أصابته سراء شكر عليها فكان ذلك خيراً، وإن أصابته ضراء صبر عليها وكان ذلك خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن»[*].

الشاهد من الحديث: «شر ما قضيت» دل على أن الشر داخل في القضاء والقدر، ودل على أنه يستحب ويشرع للإنسان أن يدعو الله بأن يقيه شر القضاء والقدر، وأن لا يجعله سبباً لإضلاله وجزعه وتسخطه وتكرهه لقضاء الله وقدره، فلا يجعله سبباً لشقاوته وليجعله سبباً لسعادته.

(١) هذه مسألة عظيمة تتعلق بالقضاء والقدر.

يقول المؤلف - رحمه الله -: (ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة =

(*) وهذا كما ورد في حديث صهيب الرومي الذي أخرجه أحمد في «المسند» ٣١/ ٢٦٤ (١٨٩٣٤)، ومسلم (٢٩٩٩) وأوله «عجباً لأمر المؤمن».

. . . .

= لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه) فإذا وقع من الإنسان معصية أو حصلت منه خطيئة فإنه لا يتوب إلى الله ولا يعترف بذنبه وإنما يقول: هذا قضاء وقدر. هذا لا يجوز، الواجب على المؤمن إذا وقع منه مخالفة أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

فالقضاء والقدر لا يُحتج به على فعل المعاصي، وإنما يحتج به على المصائب التي لا اختيار للإنسان فيها، فينسبها إلى القضاء والقدر حتى يصبر عليها، لكن المعاصي له فيها اختيار، وله فيها قدرة ومشيئة وفعل، فهي فعله وهي كسبه وهي باختياره، فيلوم نفسه، ويحمل الذنب على نفسه، ويتوب إلى الله سبحانه.

الأبوان - آدم وحواء عليهما السلام - قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وفي الآية الأخرى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] فالأبوان لم يقولا: يا ربنا هذا قضاؤك وقدرك، بل قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعترفا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وكذلك الأنبياء، كل من حصلت منه بعض المخالفات رجع إلى الله وتاب إلى الله، واستغفر ربه - عز وجل - فتاب الله عليه، وغيره من باب أولى، فالمسلم لا ينسب ذنوبه ومعاصيه إلى القضاء والقدر، وإن كانت بقضاء الله وقدره لكن هو له فيها فعل وله فيها اختيار وله إقدام، لو شاء تركها لأنه لم يُجبر عليها، ولم يكره عليها، فهو يحمل نفسه الخطأ ويتوب إلى الله ويستغفره، ويغفر الله لمن تاب ويعفو عنه. هذا =

الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[1] [النساء: ١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه

= هو موقف المسلم من الذنوب والمعاصي أن يحملها نفسه، وأن يتوب إلى الله منها، وأن يستغفر الله منها بدل أن يقول: هذا قضاء وقدر، ويحتج بالقضاء والقدر على فعل المعصية، ويبرر لنفسه ذلك، ولا يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

(١) لما ذكر الله من ذكر من الرسل في قوله: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]، ذكر الحكمة في إرسال الرسل وإنزال الكتب وهي قطع المعذرة عن العباد لئلا يحتجوا ويقولوا: يا ربنا ما جاءنا من ينهانا، من يحذرنا من المعاصي، من يبين لنا ما هو الخير وما هو الشر، ما هو الهدى وما هو الضلال، ما عندنا علم.

أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليبين للعباد الطاعة من المعصية والكفر من الإيمان، والخير من الشر؛ لأنه لا يعذبهم قبل أن يرسل إليهم ويبين لهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] هذه حجة الله على خلقه سبحانه وتعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] ﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] فالله أرسل =

وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحداً على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة[1].

= الرسل لقطع الحجة عن العباد لئلا يحتجوا يوم القيامة بأنهم ما جاءهم من يبين لهم، فلو كان الاحتجاج بالقضاء والقدر صحيحاً لتعارض مع قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فدل على أنه لا حجة للناس على الله لا في القضاء والقدر ولا في غيره ما دام الله قد بين لهم ووضح لهم وأمرهم ونهاهم، فلا حجة لهم في القضاء والقدر وإنما يقع اللوم عليهم؛ لأنهم هم الذين فرطوا، فهم إنما يؤاخذون على أفعالهم وتصرفاتهم، وأما القضاء والقدر فهو من شأن الله سبحانه وتعالى، والإنسان يرى من نفسه القدرة والإمكانية ويرى أنه قادر على أن يفعل أو لا يفعل، ويعرف الخير ويعرف الشر، ويعرف الضار ويعرف النافع، فهو الذي يقدم على هذه الأمور باختياره مع علمه بها، فحينئذ انقطعت حجته على الله سبحانه وتعالى.

(١) وهذا أيضاً من الإيضاح والبيان، فنحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر وينهى إلا من يقدر على الفعل والترك، هذا هو الذي يوجه إليه الأمر والنهي وهو الذي عنده القدرة والاستطاعة، أما الصغير الذي لم يبلغ، والمجنون الذي لا يعقل، والمكره الذي ليس له اختيار، فهؤلاء مرفوع عنهم القلم ولا يخاطبون بشيء؛ لأنهم غير قادرين ولا مستطيعين، فالله رفع عنهم التكليف والمؤاخذة، إنما يُكلف العاقل المستطيع المختار.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾(1) [البقرة: ٢٨٦]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(2) [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾(3)

---

(١) ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها وقدرتها، وما خرج عن وسعها وطاقتها فإنها لا تؤاخذ عليه.

(٢) قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ حسب الاستطاعة، والذي لا يستطيعه غير مسؤول عنه، العاجز غير مسؤول، إذا ترك الشيء عجزاً عنه فإنه غير مسؤول عن تركه، ولكن إذا تركه وهو يستطيع أن يفعله هذا هو المؤاخذ.

(٣) اليوم: يعني يوم القيامة، تجزى كل نفس بما كسبت، فأسند كسبها إليها وعلق الجزاء به، فدل على أنها لا تؤاخذ بكسب غيرها ولا فعل غيرها، ولا ما فعلته وهي غير قاصدة له أو جاهلة به أو غير قادرة على تركه، لا تؤاخذ على ذلك إنما تؤاخذ على ما كسبت بفعلها واختيارها، وإرادتها وإقدامها، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ لأنه لو آخذهم على غير كسبهم لكان ظالماً لهم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لا ظلم اليوم وهو أن يؤاخذ أو يعاقب بغير جريمة وبغير فعل هذا ظلم، والله - جل وعلا - لا يعاقب المؤمنين ولا ينعم الكافرين، هذا ظلم، أي: وضع للشيء في غير موضعه، وإنما الثواب والعقاب والجنة والنار يتعلقان بالكفر والإيمان والطاعة والمعصية، فهي متعلقات بأفعال العباد التي يفعلونها باختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم هذا هو الذي يؤاخذون عليه. وهذا هو العدل. أما أن يؤاخذ الإنسان على شيء لم يفعله أو على =

[غافر: ١٧] فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً، يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب[1]. وهو واقع بقضاء الله وقدره[2].

= شيء فعله بغير اختياره أو بغير علمه، أو فعله مخطئاً ، فإن هذا هو الظلم الذي تنزه الله سبحانه وتعالى عنه ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥] فتح الله لهم باب التوبة وباب المغفرة، لم يقنطهم بل فتح لهم باب التوبة وباب الرجاء مع خطئهم وتعمدهم للمخالفة، لم يقنطهم من رحمته، بل فتح لهم باب الرجاء وباب التوبة والمغفرة﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن تاب وآمن واستغفر ربه.

(١) لا شك أن هذه الآيات وهذه النصوص تدل على أن للعبد فعلاً يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، وهذا هو العدل، أي: وضع الشيء في موضعه اللائق به، وهو معاقبة المسيء وإثابة المحسن، هذا هو العدل، أما العكس فإنه ظلم، ووضع للشيء في غير موضعه ينزَّه الله - جل وعلا - عنه ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] هذا سوء ظن بالله سبحانه وتعالى في أنه يظلم عباده فيعاقب المحسن ويثيب المسيء.

(٢) فهي أفعالهم وحسناتهم وسيئاتهم، وهي واقعة بقضاء الله وقدره لا شك، لا يخرج عن قضاء الله وقدره أي شيء داخل في قضاء الله =

فصل

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجَنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[٢]

= وقدره، لكن ليس لنا حجة في أن نبرر أخطاءنا وجرائمنا بأنها بقضاء وقدر، هي بقضاء وقدر لكن أنت لك اختيار ولك مشيئة ولك قدرة، فأنت مسؤولٌ عن ذلك ولا تسأل عن قضاء الله وقدره، والله لا يعاقب أحداً على القضاء والقدر وإنما يعاقبه على أفعاله هو وتصرفاته هو، ما يعاقبه على أنه قضى وقدر عليه أنه يعمل كذا وكذا، هذا لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، وإنما يتعلق الثواب والعقاب بأفعال العباد وتصرفات العباد التي صدرت عنهم باختيارهم وإرادتهم وعلمهم وتعمدهم.

(٢) لما انتهى المصنف رحمه الله من مباحث القضاء والقدر، انتقل إلى تعريف الإيمان. والإيمان في اللغة: التصديق على أمر غائب مخبر عنه، مع ائتمان المخبر سمي التصديق بذلك إيماناً؛ لأنه ائتمان للمخبر لأنه يخبر عن شيء لا نراه، فنحن نصدقه ونؤمن به، يعني نأمنه على هذا الخبر إذا توفرت فيه الثقة، كأن يخبرك أحد ما أن في البلد الفلاني كذا وكذا، أنت لم تذهب إليه ولا رأيته لكن تصدق هذا المخبر وتأتمنه على هذا الخبر، هذا يسمى إيماناً في اللغة.

أما الإيمان في الشرع فهو حقيقة شرعية؛ لأن الحقائق عند الأصوليين ثلاث: حقيقة شرعية، وحقيقة عرفية، وحقيقة لغوية. فتعريف الإيمان هنا هو من الحقيقة الشرعية لا من الحقيقة اللغوية ولا العرفية ، مثل الصلاة، في اللغة الدعاء، مجرد الدعاء صلاة في =

. . . .

= اللغة، لكن في الشرع هي أكثر من ذلك. هي الصلاة المعروفة المبتدأة بالتكبير المختتمة بالتسليم، أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم هذه هي الصلاة في الشرع. وكذلك الصيام، وكذلك الزكاة، وكذلك الحج، كلها حقائق شرعية، فالإيمان حقيقة شرعية.

فهو قول باللسان: وهو النطق بالشهادتين والذكر، والتسبيح والتهليل، واعتقاد بالقلب: بأن يصدق قلبك ما ينطق به لسانك.

وعمل بالجوارح: يعني بالأعضاء بأن تتحرك الأعضاء في العبادة والطاعة وترك المعصية والانكفاف عن المعاصي، فليس الإيمان مجرد قول باللسان، وليس هو مجرد عقيدة بالقلب فقط، وليس هو مجرد عمل بدون عقيدة وبدون قول، بل لا بد من الأمور الثلاثة مرتبطاً بعضها ببعض.

يزيد بالطاعات: كلما فعل الإنسان طاعة زاد إيمانه، وينقص بالمعصية: كلما حصل من الإنسان معصية نقص إيمانه، والدليل على النقصان والزيادة من القرآن، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] فدلت الآية على أن الإيمان يزيد، إذا سمع الإنسان القرآن زاد إيمانه، وإذا بعد عن القرآن نقص إيمانه. ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم ٧٦] ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤]، كلما نزلت سورة من القرآن زاد إيمانهم ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [التوبة: ١٢٥]، أي: نفاق وشك ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ =

= [التوبة: ١٢٥] لأنهم لا يؤمنون بالقرآن، وكلما زاد القرآن زاد الشك في قلوبهم كل ما زاد القرآن زاد الشك والريب في قلوبهم والعياذ بالله.
ومما يدل على أن الإيمان يزيد قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١] لما أخبر الله عن خزنة جهنم، وأن عليها تسعة عشر، ووافق هذا ما في الكتب السابقة أن خزنة النار تسعة عشر من الملائكة زاد إيمانهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١] يقول الكفار لماذا النار عليها تسعة عشر فقط؟ أهل النار لا يستطيعون أن يتغلبوا عليهم؟! يقولون كذا!! قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] تسعة عشر لكنهم ملائكة، والملك الواحد يستطيع أن يقهر جميع البشر من أولهم إلى آخرهم بقدرة الله سبحانه وتعالى، في خلقتهم وقوتهم فليسوا مثل البشر. الشاهد من الآية ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] فدل على أن الإيمان يزيد.

وأما نقصان الإيمان فمن المعلوم أن كل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، وأيضاً في الأدلة ما يدل على ذلك، مثل حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(*) فدل على أن الإيمان يزيد وينقص وأنه شعب تبلغ بضعاً وسبعين أو بضعاً وستين شعبة، فإذا تكاملت =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٢١٢ (٩٣٦١)، والبخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، وابن ماجه (٥٧)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي ٨/ ١١٠ من حديث أبي هريرة.

. . . .

= هذه الشعب تكامل الإيمان، وإذا نقص منها شيء نقص الإيمان، ولهذا قال: «أدناها إماطة الأذى عن الطريق»، دل على أن الإيمان فيه أعلى وفيه أدنى.

وكذلك في قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(*) فدل على أن الإيمان يضعف وأن هناك إيماناً كاملاً وإيماناً ناقصاً وضعيفاً، فإنكار المنكر بالقلب هذا أضعف الإيمان وليس وراءه إيمان، فالذي لا ينكر بقلبه ليس بمؤمن، فدل على أن الإيمان يقوى ويضعف ويزول بالكلية، كما في رواية: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، فهذا دليل على أن الإيمان ينقص ويصير إلى أضعف شيء.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ضعف الإيمان في قلوبهم، وعظم ذلك في قلوبهم حتى صاروا أقرب إلى الكفر فلم يبق إلا شيء يسير، فدل على أن الإيمان يضعف حتى يصير قريباً من الكفر.

وكذلك في حديث الشفاعة «إن الله - جل وعلا - يوم القيامة يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٨/ ٤٢ (١١٤٦٠)، ومسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠) و(٤٣٤٠)، وابن ماجه (١٢٧٥)، والترمذي (٢١٧٢) والنسائي ٨/ ١١١-١١٢ من حديث أبي سعيد الخدري.

. . . .

= الإيمان»(*) فدل على أن الإيمان يضعف حتى يكون بمثقال حبة الخردل، وهي أصغر شيء، فالإيمان يضعف حتى يصير مثل حبة الخردل في القلب، فهو يوجب لصاحبه الخروج من النار يوم القيامة، وهذا يدل على فضل الإيمان وأنه وإن ضعف جداً فإن صاحبه لا يُخلد في النار. فدل على أن الإيمان يضعف إلى هذا الحد.

ولا شك أن إيمان الناس ليس على حد سواء، فإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعدل إيمان الأمة كلها، فلا يستوي إيمان أبي بكر وإيمان الفاسق من المسلمين، هذا شيء معروف، والذي يقول: إن الإيمان هو التصديق وهو في القلب وهو لا يتفاضل، هذا قول المرجئة، وعندهم أن إيمان أبي بكر وإيمان أفسق الناس سواء، وهذا غلط كبير. الإيمان في القلوب ليس على حد سواء، يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، ويكمل ويقل، فليس على حد سواء، هذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للمرجئة. والمرجئة سموا مرجئة من الإرجاء وهو التأخير، أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، فقالوا: الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب فقط، وأهله في أصله سواء عندهم لا يتفاضلون والمرجئة فرق كل فرقة لها قول القول الأول قول الذين يقولون: الإيمان مجرد المعرفة في القلب، وهذا قول الجهمية، فإذا عرف الإنسان ربه يكون مؤمناً. =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٨/ ٩١ (١١٥٣٣)، والبخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

. . . .

= وعلى هذا يكون إبليس مؤمناً لأنه يعرف ربه!! ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] وفرعون مؤمن، ويكون سائر الكفرة مؤمنين عند هؤلاء لأنهم يعرفون ربهم في قلوبهم، لكنهم أنكروه في ظواهرهم تكبراً وعناداً، فما هناك أحد لا يعرف ربه أبداً. وإنما يجحده وينكره من باب الاستكبار والعناد. هذا أخبث الأقوال، وعلى هذا لا يكون وعلى وجه الأرض كافر عندهم.

القول الثاني: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، لا يكفي المعرفة بل لا بد من التصديق بالقلب، وهذا قول الأشاعرة وهذا غير صحيح؛ لأن الكفار يصدقون بقلوبهم.، كما قال الله - جل وعلا -: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقال - جل وعلا -: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] فالكفار يصدقون بالرسول ﷺ في قلوبهم ويعرفون أنه رسول الله، ولكنهم أبوا الاعتراف برسالته تكبراً وعناداً وحفاظاً على شرفهم بزعمهم ومكانتهم بين الناس، هذا هو الذي حملهم، أو لأجل الحمية لأديانهم الباطلة، كما قال أبو طالب عند وفاته: هو على ملة عبد المطلب، لما عرض عليه النبي ﷺ أن يقول: لا إله إلا الله، فقال له نفر من الكفار كانوا حاضرين عنده: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأخذته الحمية - والعياذ بالله - فقال: هو على ملة عبد المطلب(*)، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، ومات على ذلك وهو =

(*) انظر «مسند أحمد» ٣٩/ ٧٨ (٢٣٦٧٤)، والبخاري (١٣٦٠) و(٣٨٨٤) و(٤٦٧٥)،=

= يعرف أن محمداً رسول الله، ولهذا يقول في شعره:

ولقد علمت أن دين محمد   من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ما منعه إلا خوف الملامة والمسبة من الناس، وحملته الحمية الجاهلية على البقاء على الكفر مع أنه يعرف أن محمداً رسول الله، ومات كافراً - والعياذ بالله - ولما هَمَّ النبيُّ ﷺ أن يستغفر له، قال الله تعالى له: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] فليس الإيمان مجرد التصديق بالقلب؛ لأن كثيراً من الكفار يصدقون بقلوبهم، ولكن أنكروا من باب الجحود والعناد والاستكبار.

القول الثالث قول الذين يقولون: إن الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان، وهؤلاء مرجئة الفقهاء، ومنهم الحنفية، يقولون: الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب، ولا يجعلون الأعمال من الإيمان.

القول الرابع قول من يقول الإيمان مجرد النطق باللسان فقط، وهذا قول الكرّامية، ويلزم على هذا أن المنافقين مؤمنون لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. هذه أقوال فرق المرجئة في الإيمان وكلها خطأ وضلال، والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد =

= ومسلم (٢٤)، حديث المسيب بن حزن.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1] [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين. وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[2] فجعل القول والعمل من الإيمان. وقال تعالى:

= بالطاعة وينقص بالمعصية.

(١) من الأدلة على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، دلت هذه الآية على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ لأن الله سمى هذه الأشياء دين القيمة، والدين والإيمان بمعنى واحد، ودين القيمة: يعني الملة، المستقيمة. فجعل عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، جعل هذه الأمور ومنها ما هو اعتقاد ومنها ما هو نطق ومنها ما هو عمل.

(٢) وكذلك هذا الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة» أي: خصلة، «أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(*) فجعل هذه الأمور من شعب الإيمان، وهي قول: لا إله إلا الله، هذا قول، وإماطة الأذى عن الطريق، عمل، والحياء شعبة من الإيمان، اعتقاد؛ لأن الإيمان من أعمال القلوب، =

(*) سلف تخريجه ص١٧٦.

﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[1] [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا ﴾[2] [الفتح: ٤]

= فجعل الإيمان هو الأقوال وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، فدل على ما قاله أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد. ودل الحديث على أن للإيمان مرتبة أعلى ومرتبة أدنى، فدل على أنه يزيد وينقص.

(١) ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤] هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وأنه ليس شيئاً واحداً كما يقوله المرجئة، وإنما هو شيء يتفاوت يزيد وينقص وقوله: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ صريح في أن الإيمان يزيد بسبب نزول القرآن وسماعه والعمل به.

(٢) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] وذلك في قصة الحديبية وما جرى فيها من الامتحان للمؤمنين، وأن الكفار منعوهم من أداء العمرة ودخول مكة، ولكن الله - جل وعلا - أنزل السكينة في قلوبهم، واستسلموا لأمر الله ورسوله، وخضعوا للصلح مع الكفار مع أنهم لا يريدونه، ولكن خضعوا له طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ وهم يكرهون الصلح ويريدون دخول مكة، وقد جعل الله في هذا الصلح خيراً للمسلمين وذلة على الكافرين، فجعل عاقبته خيراً، ومن أعظم ما أنتج هذا الصلح أن الحرب وضعت أوزارها بين المسلمين والكفار فحصل للمسلمين تنفس، وهاجر من هاجر إلى المدينة بدون أذى، ودخل في الإسلام من يريد الدخول فيه ولم يلق من يصده بسبب هذا الصلح. وفي النهاية حصل الفتح المبين فتح مكة =

وقال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من الإيمان» فجعله متفاضلاً[1].

= المشرفة ودخولها في ولاية المسلمين ونزع يد الكفار عنها، كل هذا من ثمرات هذا الصلح العظيم الذي كرهه المسلمون، ولكن الله جعل عاقبته خيراً لهم، وانقاد المسلمون لحكم الله ورسوله، وأنزل الله السكينة في قلوبهم فلم يحصل منهم مخالفات أو تصرفات بسبب حماسهم، وأنزل الله - جل وعلا - في قلوبهم السكينة فهدؤوا وسكنوا وانقادوا وإن كان كثير منهم لا يرضون بهذا الصلح؛ لأنهم يعتبرونه وضيعة على المسلمين، ولا يعلمون أن الله جعله عزاً للمسلمين، وإن عاقبته كانت خيراً للمسلمين فدل هذا على أن الذي يستسلم لحكم الله ورسوله وينقاد له أن إيمانه يزيد بذلك.

(١) أخبر النبي ﷺ أنه يُخرَج من النار يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله(*) مع إيمان قلبه بمعناها وتيقنه لمدلولها، ويخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان وهو متيقن لمعنى هذه الكلمة، بخلاف الذي يقولها بلسانه وهو لا يعتقد معناها، كالمنافقين فإنها لا تنفعهم، وفي هذا رد على من يقول: إن الإيمان هو قول باللسان. وفيه رد على من يرى أن الإيمان هو التصديق فقط وأنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الله تعالى يقول للرسول ﷺ: «أخْرِجْ مَن كان في قلبه أدنى أدنى =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠/ ١٧١-١٧٢ (١٢٧٧٢)، والبخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٥)، والترمذي (٢٥٩٣) من حديث أنس بن مالك.

فصل

في الإيمان بالغيب(١)

= أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان(*)، وهذا دليل على أن هذا إيمان ضعيف، ولكن لما اجتمع مع قول لا إله إلا الله واعتقاد معناها نفع ذلك صاحبه وأخرجه من النار بعد الدخول فيها؛ لأنه لا يُخلد في النار إلا أهل الشرك والكفر بالله - عز وجل -، وأما أهل الإيمان وإن كان إيمانهم ضعيفاً جداً وإن دخلوا النار بذنوبهم فإنهم لا يُخلدون فيها، بل يُخرجون منها بإيمانهم.

والشاهد من الحديث - كما ذكر المؤلف - أن الإيمان يضعف حتى يكون بمقدار حبة خردل، رداً على الذين يقولون: إن الإيمان شيء واحد لا يتفاوت وهو عمل قلبي فقط.

(١) لما عرّف الإيمان وذكر الأدلة على تعريفه عند أهل السنة والجماعة، ذكر أن من الإيمانِ الإيمانُ بالغيب، وهو ما غاب عن الناس ولم يشاهدوه من الأمور الماضية والأمور المستقبلة التي لم يشاهدها الناس؛ لأنها قد مضت وانقضت، أو لأنها لم تحدث بعد مما صحت به الأخبار فهذا ليس للعقل فيه دخل أبداً وإنما الاعتقاد فيه على النقل، وهو الخبر الصادق عن الله ورسوله، فكل ما أخبر الله عنه من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلة، وكل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلة فإنه يجب الإيمان بهِ والتسليم له =

(*) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك.

. . . .

= من غير تدخل بعقولنا وأفهامنا؛ لأن هذا شيء لا تدركه عقولنا ولا أفكارنا، وإنما مبناه على التسليم والتصديق لخبر الله ورسوله.

والإيمان إنما هو الإيمان بالغيب، أما الإيمان بالشيء المشاهد، هذا لا ميزة فيه لأحد ولا يسمى إيماناً، يعني الإنسان لا يؤمن إلا بما يشاهده ويراه؟ هذا ليس إيماناً، ولهذا لا يُقبل الإيمان إذا قامت القيامة أو إذا حضر الإنسانَ أجلُه وشاهد ما كان يُخبر عنه من الأمور الغائبة عنه، فإذا عاينها وأبصرها لا يُقبل إيمانه، وقد جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(*) يعني ما لم تبلغ روحه الغرغرة؛ لأنها إذا بلغت روحه الغرغرة انتهى الإيمان وانتهى العمل، ووقع الإنسان فيما أُخبر عنه في الماضي وشاهده عياناً. ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، هذا خطاب للإنسان أنه عند نزع روحه يشاهد ما كان يُخبر عنه في حياته، فحينئذ لا ينفعه إيمان، كذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] وهذا إذا طلعت الشمس من مغربها حينئذ لا يُقبل الإيمان ممن آمنوا حينئذ ولا تقبل التوبة ممن تاب؛ لأن هذا أصبح حساً ومشاهدة لا غائباً، ولهذا يقول - جل وعلا -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٠/ ٣٠٠ (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧) من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

= ويقول - جل وعلا - في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢-٣]، فأول صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، يعني بما غاب عنهم ولم يشاهدوه، ولكن اعتمدوا فيه على خبر الصادق فآمنوا به كأنهم يشاهدونه عياناً؛ لأنهم يصدقون بأخبار الله وأخبار رسوله ﷺ.

فالأمور الغائبة والمستقبلة لا يُعتمد فيها على العقول ولا على الأفكار، وإنما يُعتمد فيها على الأخبار الصحيحة الصادرة عن الله - جل وعلا - عالم الغيب والشهادة، أو الصادرة عن نبيه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ويدخل في هذا الباب الكثير من الأخبار الماضية كأخبار الأمم، خبر آدم والملائكة، وخبر الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وأصحاب مدين، وغيرهم من الأمم، هذا كله أخبر الله عنه فيجب الإيمان به وهو غيب ماض.

وكذلك الغيوب المستقبلة مثل أشراط الساعة وما يكون قبل قيام الساعة وما يكون في آخر الزمان، وكذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وما أخبر عنه ﷺ من ذلك، كذلك الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه، والإيمان بالبعث والنشور والإيمان بالجنة والنار، كل ذلك داخل في الإيمان بالغيب، بل الإيمان بالله - جل وعلا - داخل في الإيمان بالغيب لأننا لم نر الله - جل وعلا - وإنما آمنا به اعتماداً على آياته الكونية وآياته القرآنية وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام.

نحن نؤمن بالله وأسمائه وصفاته ووجوب عبادته اعتماداً على الأخبار الصادقة والآيات البينة والبراهين الساطعة أمام أعيننا مما =

. . . .

= نشاهد من خلق الله وملكوت الله سبحانه وتعالى، وأن هذا الكون لا يمكن أن يكون أوجد نفسه أو أن يكون أحد أوجده غير الله سبحانه وتعالى، ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور] من هو الذي ادعى أنه خلق ذرة أو خلق حبة أو خلق شعيرة أو خلق شيئاً من السماوات والأرض؟ ما أحد ادعى هذا من الكفار مع شدة كفرهم وعنادهم، لا يستطيعون أن يدعوا أنهم خلقوا شيئاً ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ [فاطر: ٤٠] فالله - جل وعلا - يتحداهم، فيقول هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض، ما أحد ادعى أن معبوده خلق شيئاً؛ لأنه لا يمكنه أن يدعي هذا أبداً، والله - جل وعلا - أخبر أنه خلق السماوات والأرض، وأنه خلق الجن والإنس، وأنه خلق وأنه يخلق، ولا أحد يعترض على الله في خلقه سبحانه وتعالى، إذاً لا أحد يقدر على ذلك، لا أحد يقدر أن يعترض على الله فيقول: لا هذا الشيء خلقه فلان، وهذا الشيء خلقه فلان، لا أحد يدعيه ولا يستطيعون هذا، والله يتحداهم يقول: أبرزوا براهينكم على أن أحداً يخلق غير الله سبحانه وتعالى ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦] أخبر سبحانه أنه خلق ويخلق ولا أحد يعترض، لا أحد يقدر على هذا بل العقول استسلمت لهذا، ولا أحد ادعى أن أحداً يخلق مع الله سبحانه وتعالى، فلذلك الله - جل وعلا - هو الخلاق وحده سبحانه وتعالى، وهو الخالق - جل وعلا - هذا بتسليم العالم كله كفارهم ومؤمنيهم، =

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ[1].

صح به النقل عنه[2] فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه. ولم نطلع على حقيقة معناه[3].

أن الله هو الخالق سبحانه وتعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] يعترفون بهذا أن الخلق لله سبحانه وتعالى وإذا كان له الخلق فله الأمر، هو الذي يأمر وينهى ويشرع ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فالحاصل أن هذه الغيوب لا تدخلها العقول والأفهام، ولا أحد يتدخل فيها بنفي أو إثبات إلا بناء على ما جاء عن الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

(١) وأما الإيمان ببعضه والكفر ببعضه فهذا كفر بالجميع، فنحن نؤمن بكل ما أخبر به، ما تتصوره عقولنا وما لا تتصوره عقولنا، ليس لعقولنا دخل في هذا؛ لأنها عاجزة ولا تحيط بالأشياء، لا يحيط بالأشياء إلا الله - جل وعلا -.

(٢) فما دام صح السند فإنه يجب الإيمان بالحديث، ما دام صح سنده، وهو يخبرنا عن أمور غائبة فإنه يجب علينا التصديق والإيمان، أما ما لم يصح سنده فنحن غير مطالبين بالإيمان به، فلا بد أن يصح السند عند أئمة أهل الحديث، . فإذا صح فلا كلام لأحد.

(٣) يعني لا فرق بين ما نشاهده وما لم نشاهده، يجب أن نؤمن بالجميع كأنك تشاهد الغائب؛ لأنه أخبرك عنه الصادق المصدوق =

. . . .

= الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، فهو مثل الذي تشاهده سواء بسواء، وسواء في ذلك ما تصورته عقولنا وما لم تتصوره عقولنا، العقول ليس لها دخل في هذا، أمور الغيب لا تتصورها العقول.

مثلاً عذاب القبر وأنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، لا تتصور هذا عقول البشر، ولهذا يقول بعضهم: يقولون: يصير الميت تراباً ولو حفرنا القبر ما وجدنا عنده ناراً ولا وجدنا عنده جنة. نقول: هذا ليس من العالم المشاهد عالم الدنيا، هذا من عالم الآخرة الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وأنت لا تحس به، وليس من لازم صحة الشيء ووقوعه أنك تشاهده، هناك أشياء موجودة وأنت لا تراها ولا تشاهدها وهي موجودة وأنت لا تدركها أبداً.

مثلاً - مما يقرب هذا - ينام اثنان بعضهم إلى جانب بعض، هذا ينام نوماً هادئاً ومريحاً ولذيذاً، وهذا ينام نوماً مقلقاً ومزعجاً مليئاً بالأحلام المزعجة والمنغصات في نومه. وهذا إلى جانب هذا، ولا هذا يحس بهذا ولا هذا يحس بهذا. فإذا كان هذا في أمور الدنيا فكيف بأمور الآخرة التي لا يعلمها إلا الله، كذلك الأموات منهم من هو في نعيم ومنهم من هو في عذاب وإن كان بعضهم إلى جانب بعض، فلا هذا يحس بنعيم هذا ولا هذا يحس بعذاب هذا، كلٌّ يتعلق به حكمه. هذه قدرة الله - جل وعلا - التي لا يعجزها شيء، والله حجب عنا أمور الآخرة؛ وعذاب القبر من أمور الآخرة، وإنما نحن نؤمن به بناء على خبر الرسول ﷺ فنؤمن أن الميت يعذب أو ينعم وإن كنا لا نحس بهذا ولا نراه، وفي حجبه عنا رحمة بنا. يقول ﷺ: «لولا أن لا =

= تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب أهل القبور ما أسمعني»(*) فالله - جل وعلا - حجب هذا عنا رحمة بنا.

فالميت يُضرب في قبره فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين ولو سمعها الإنسان لصعق، يعني لمات، فمن رحمة الله أن حجب هذا عنا ولا نسمعه ولا نراه رحمة بنا، فأمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، وأول أمور الآخرة عذاب القبر فهو أول منزل من منازل الآخرة، وما يجري فيه فهو من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

(١) من الأخبار التي أخبرنا الله عنها ورسوله الإسراء والمعراج، قال الله - جل وعلا -: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني من مكة المشرفة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ في فلسطين ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وبين مكة وفلسطين مسافة تقطعها الإبل في شهر، والرسول ﷺ أسري به في ليلة واحدة، وعاد ﷺ في هذه الليلة. جاءه جبريل عليه السلام وهو نائم في مكة، وحمله على البراق دابة يركبها الأنبياء، وذهب به إلى بيت المقدس وخطوها عند مد بصرها، ثم إنه صلى بالأنبياء في بيت المقدس، ثم إنه عُرج به يعني صُعد به إلى السماء بروحه وبجسمه يقظة لا مناماً(**). وهذا من آيات =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/١٤٧-١٤٨ (١٢٠٩٦) من حديث أنس، وهو حديث إسناده صحيح.

(**) انظر ذكر أحاديث الإسراء والمعراج في «تفسير ابن كثير» أول سورة الإسراء ٨/٦-٤٥ فقد ذكر الحافظ ابن كثير مختلف الروايات والطرق.

= الله سبحانه وتعالى، ومن معجزات الرسول ﷺ، والمعراج مذكور في أول سورة النجم، والإسراء مذكور في أول سورة بني إسرائيل ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ والسرى هو السير ليلاً.

والله - جل وعلا - يقول في الإسراء ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فأراه من آياته في هذه الليلة الشيء العجيب في ملكوت السماوات والأرض، ورأى الجنة والنار، ورأى أهل النار فيها، ورأى أهل الجنة فيها، وكلمه الله من وحيه بما شاء، وفرض عليه الصلوات الخمس من فوق سبع سماوات، ثم نزل ﷺ إلى الأرض، ثم جاء إلى مكة في ليلة واحدة، فأصبح يخبر الناس.

فأهل الإيمان ازدادوا إيماناً؛ لأنهم صدقوه من الأول، وما داموا آمنوا أنه رسول الله ﷺ فإنهم لا يكذبونه، ولهذا لما قيل لأبي بكر: إن صاحبك يقول كذا ويزعم أنه راح لبيت المقدس وصعد إلى السماء وجاء في ليلة واحدة. قال: إن كان قد قاله فهو كما قال، أنا أصدقه في خبر السماء أفلا أصدقه في هذا؟

وأما ضعاف الإيمان والكفار فإنهم اتخذوا من هذه الحادثة وسيلة للتهكم بالرسول ﷺ، ومن ضعاف الإيمان من ارتد عن الإسلام، والكفار فرحوا بذلك. ولكن الإسراء والمعراج حق، وهو معجزة من معجزات الرسول ﷺ، وهو من أعظم ما أكرم الله به هذه الأمة المحمدية فالإيمان به واجب، وكان يقظة لا مناماً؛ لأن المنام لا أحد ينكره، قريش لا تنكر الرؤيا، فلو كان رؤيا ما أنكرته قريش لأنها تصدق بالرؤيا، وأيضاً يقول الله - جل وعلا -: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد إنما =

وكان يقظة لا مناماً[1]، فإن قريشاً أنكرته، وأكبرته، ولم تكن تنكر المنامات[2].

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه[3].

= يكون لمجموع الروح والجسد، فالروح وحدها لا تسمى عبداً، والجسد وحده لا يسمى عبداً، وإنما مجموع الروح والجسد هو العبد.

(١) لأنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ولا أحد ينكر الرؤيا، فهو ليس رؤيا، نعم حصل للنبي ﷺ رؤيا لكن في غير الإسراء والمعراج، في قصة أخرى.

(٢) لا تنكر الرؤيا، لا أحد ينكر الرؤيا من المؤمنين أو من الكفار؛ لأنها أمر واقع.

(٣) ومن الأخبار التي يجب التصديق بها: قصة موسى مع ملك الموت وهو موسى بن عمران عليه السلام كليم الله. جاءه ملك الموت في صورة رجل - ابتلاء وامتحاناً - فأخبره أنه سيقبض روحه، وهو في صورة رجل، فلطمه موسى؛ لأن موسى عليه السلام كان غيوراً، فلطمه يعني ضربه على وجهه ففقأ عينه، فذهب ملك الموت إلى ربه وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، ثم قال له: «اذهب إليه فقل له يضع يده على جلد ثور فما أصابت من جلد الثور فله بكل شعرة سنة يعيشها» فجاء إلى موسى مرة ثانية، وأخبره =

بما قال الله - جل وعلا -، فقال: «وبعد ذلك» قال: الموت، قال: «إذاً الآن يا رب»(*) يعني ما دام أنه لا بد من الموت فمن الآن يا رب، فقبض روحه عليه الصلاة والسلام، لما علم أنه ملك الموت وأنه رسول الله إليه استسلم عليه الصلاة والسلام، أما في الأول فلم يدر أنه ملك الموت.

(١) ومن ذلك من أخبار الغيب المستقبلة التي يجب الإيمان بها: أشراط الساعة، والأشراط جمع شَرط وهو العلامة. قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]، أي: علامات قيامها وقرب حدوثها ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨] إذا قامت الساعة فليس لهم مجال للإيمان والتصديق حينذاك، ولا يقبل منهم توبة.

وأشراط الساعة كثيرة، منها العلامات الأولى، ومنها المتوسطة، ومنها الأخيرة، أما الأولى فقد حصلت وانتهت، والله أعلم منها بعثة النبي ﷺ فبعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه نبي الساعة عليه الصلاة والسلام، قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بأصبعيه =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٢٦٤-٢٦٥ (٨٦١٦) من حديث أبي هريرة، وهو حديث رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وقد روي الحديث من طريق صحيحه في «المسند» ١٣/ ٨٤ (٧٦٤٦)، والبخاري (١٣٣٩) و(٣٤٠٧). ومسلم (٢٣٧٢) (١٥٧) من حديث أبي هريرة أيضاً.

. . . .

= السبابة والوسطى(*). فهو نبي الساعة عليه الصلاة والسلام، لا نبي بعده إلى أن تقوم الساعة، وما حدث من الفتوحات وانتشار الإسلام كل هذا من علامات الساعة، انتصار الإسلام وانتشاره في الأرض كل هذا من علامات الساعة، وما حدث من الفتن بين الناس والحروب وسفك الدماء كل هذا من علامات الساعة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عن ذلك.

والعلامات المتوسطة وهي كثيرة جداً وتحدث عجائب الواحدة تلو الأخرى، ونحن نعيش في أمور تتجدد وتحدث عجائب الآن، هذه من علامات الساعة، هذه المخترعات هذه الصناعات هذا الاتصال السريع، هذا من علامات الساعة، وما أخبر به ﷺ من تقارب البلدان. . كله من علامات الساعة وقد حدث.

ثم تأتي العلامات الأخيرة العشر وهي تتتابع: أولاً: خروج المهدي من آل بيت الرسول ﷺ من ذرية الحسن، اسمه كاسم الرسول ﷺ محمد بن عبد الله، فينشر العدل وينشر الإسلام وينصر الله به الدين، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلِئَتْ جوراً، ثم في وقته يخرج المسيح الدجال الأعور الكذاب، الذي يجعل الله على يديه فتنة عظيمة ومحنة عظيمة، حكمة منه سبحانه وتعالى.

ثم ينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر أيام الدجال، ينزل من السماء ويقتل الدجال، ويحكم بالإسلام وهو =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/ ٢٧١ (١٢٢٤٥)، والبخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤) من حديث أنس بن مالك.

مثل: خروج الدجال[1]، ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتله،

= شريعة محمد ﷺ ويبقى في الأرض مدة، ثم يأتيه الموت عليه الصلاة والسلام ويموت بأجله الذي قدره الله له، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي: المسيح عليه السلام، فدل على أنه يموت في آخر الزمان ويُدفن كغيره من الأنبياء.

ثم خروج يأجوج ومأجوج، وهما قبيلان من بني آدم فيهم شر عظيم وفيهم فتن وسفك دماء ومضايقات لأهل الإيمان، ثم خروج الدابة التي تميز بين المسلم والكافر ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] فتضع على المؤمن علامة يُعرف بها أنه مؤمن وتضع على الكافر علامة يُعرف بها أنه كافر، فيصبح الناس يعرف بعضهم بعضاً المؤمن مؤمن والكافر كافر.

ثم خروج الشمس من مغربها، وهذه آخر العلامات الكبرى، فإذا خرجت الشمس من مغربها انتهى قبول الإيمان وقبول التوبة، ثم خروج النار من قعر عدن تحشر الناس إلى الشام تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتسوقهم إلى المحشر.

(١) سمي الدجال لأنه كذاب من الدجل وهو الكذب، وسمي بالمسيح لأنه يمسح الأرض بسرعة، يسير فيها بسرعة، وقيل: سمي بالمسيح لأنه ممسوح العين أعور، ويدعي أنه الله - جل وعلا - والله - جل وعلا - ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل أحد. فهو دجال خبيث، هو مسيح الضلالة، ويُنزل الله مسيح الهداية وهو =

= عيسى ابن مريم عليه السلام، سمي بالمسيح لأنه يمسح على المريض فيُشفى بإذن الله، بمجرد ما يمسح على المريض يُشفى بإذن الله.

فالمسيح مسيح الهداية يقتل مسيح الضلالة، يطلبه ويقتله بباب لد في فلسطين، واللد بلدة في فلسطين فيقتله هناك، ثم إنه عليه الصلاة والسلام يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بالإسلام شريعة محمد ﷺ فيكون متبعاً لرسول الله وحاكماً بشريعة رسول الله ﷺ.

(١) يأجوج ومأجوج قبيلان من بني آدم، قصتهم مذكورة في القرآن الكريم، وذلك أن الملك العظيم المؤمن ذا القرنين مكنه الله سبحانه وتعالى فسار في مشارق الأرض ومغاربها يدعو إلى الإسلام وإلى التوحيد ويجاهد في سبيل الله، فلما بلغ بين السدين وهما جبلان عظيمان وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، وهم يأجوج ومأجوج يهددون البشرية، ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥] فرفض أن يأخذ منهم شيئاً، وأخبر أنه عنده ما يكفي مما أعطاه الله سبحانه وتعالى، ثم طلب منهم أن يحضروا له المواد والأشياء، فقام وبنى هذا السد العظيم، ساوى بين الصدفين بين الجبلين، وجعله سداً عظيماً أملس لا أحد يستطيع أن يخرقه ولا أحد يستطيع أن يظهره أي يرقى عليه. فصار هذا السد من نعم الله على =

= البشرية، قال ذو القرنين هذا رحمة من ربي.

لكن في آخر الزمان يقومون بنقض هذا السد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوا عليه ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] لكن في آخر الزمان يقدرهم الله على نقضه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩] فيخرجون على أهل الأرض ويحصل منهم من الفساد وسفك الدماء والشرور ما لا يعلمه إلا الله مما جاء وصفه في الأحاديث، والبشر لا يستطيعون مقاومتهم، ثم إن الله يبعث مرضاً يصيبهم في أعناقهم، وهو النغف مثل الدود في أعناقهم فيموتون جميعاً ويستريح المسلمون منهم، وتأكل دواب الأرض من أجسامهم حتى تسمن وتشكر.

فهذه آيات عظام وعلامات كبار من علامات الساعة.

(١) الدابة التي تخرج من الأرض، قال تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢] الله أعلم بصفتها، ورد فيها أحاديث وأخبار، لكن الله أعلم بها، وهي دابة تخرج من الأرض كما قال الله - جل وعلا -، أما كيفية خروجها ومن أين تخرج وموضع خروجها فالله أعلم بذلك.

(٢) الشمس تطلع من المشرق وتغيب في المغرب، هذه سنة الله الكونية في الشمس أنها تدور حول الأرض شرقاً وغرباً دائماً وباستمرار، لا كما يقوله الملاحدة أن الأرض هي التي تدور على الشمس وأن الشمس ثابتة، فهذا من انتكاس الفطر والعقول، بل =

وأشباه ذلك مما صح به النقل(١).

= العكس، الأرض هي الثابتة والشمس والأفلاك تدور على الأرض، كما أخبر الله، وكما أخبر الرسول، وكما هو المشاهد المحسوس، فهي تطلع من المشرق وتغيب في المغرب كما قال إبراهيم عليه السلام للنمرود: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] لما ادعى أنه يحيي ويميت وأنه رب، قال له هذه المعجزة العظيمة التي بهتته: إن الله يأتي بالشمس من المشرق، إن كنت كما تزعم أنك رب ائت بها من المغرب، اعكس ما أراده الله سبحانه وتعالى، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ لأنه لا يستطيع هذا، ولا يقدر على هذا إلا الرب سبحانه وتعالى، فسنة الله في الشمس أنها تأتي من المشرق وتغرب في المغرب، يعني تدور على الأرض، وإذا كانت في جانب أضاءته وصار نهاراً، وإذا غابت عن ذلك الجانب صار ليلاً إلى أن تدور مرة ثانية، وهكذا يتعاقب الليل والنهار بناء على دوران الشمس على الأرض، قدرة الله سبحانه وتعالى، فإذا اختل نظام هذا الكون وأراد الله خراب هذه الدنيا انعكس سير الشمس فصارت تخرج من المغرب، فإذا طلعت من المغرب فهذا دليل على قرب قيام الساعة وعلى خراب هذا النظام الكوني وقيام الساعة وانتهاء الدنيا وحلول الدار الآخرة.

(١) وأشباه هذه الأخبار التي ذكرها المصنف نماذج من أشراط الساعة (مما صح به النقل) هذا شرط لا بد منه، هذه الأمور الغيبية لا تثبت إلا بدليل صحيح، أما الدليل الضعيف والدليل الذي لا يبلغ درجة الصحة فهذا لا يعتمد عليه في عقيدة المسلم، وإنما يُعتمد على =

وعذاب القبر ونعيمه حق[1] وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به

= الأدلة الصحيحة، وسواء كانت متواترة أو آحاداً، هذا اعتقاد أهل السنة، أنهم لا يفرقون بين المتواترة والآحاد، المدار على الصحة فقط، فإذا صح الحديث فإنه يجب اعتقاد ما دل عليه من غير شك ولا ريب؛ لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى، وقد صح سنده فلم يبق عذر لترك الإيمان به.

(١) وكذلك من الأمور التي أخبر عنها الرسول ﷺ عذاب القبر ونعيمه، تواترت الأحاديث في ذلك، وأنكر المعتزلة عذاب القبر ونعيم القبر بناء على عقولهم الفاسدة، ويقولون: إنا لا نشاهد في القبر شيئاً!

نقول لهم: هل الأمور مبنية على مشاهدتكم وعلى ما تحسونه أنتم أم على قدرة الله - جل وعلا -؟ ما لعقولكم ولا لإحساسكم دخل في هذا، لقد أنكرت المعتزلة عذاب القبر ونعيمه بناء على عقولهم الفاسدة.

وعذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة وبإجماع أهل السنة والجماعة، قال الله - جل وعلا -: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] قالوا: العذاب الأدنى هو عذاب القبر. أو هو ما يصيبهم في الدنيا من المحن والمصائب، العذاب الأدنى، قيل: هو عذاب القبر، وقيل: هو ما يصيبهم في الدنيا من المصائب والنكبات وتسلط المسلمين عليهم بالقتل والسبي وغير ذلك ولا مانع من إرادة الأمرين وكذلك قوله تعالى، في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] =

في كل صلاة(١)

= فقوله - جل وعلا -: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ هذا في عذاب القبر، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. فدل على أن عذاب الغدو والعشي هذا في الدنيا وذلك في القبر، وإذا قامت الساعة فإنهم يصيرون في أشد العذاب والعياذ بالله. فالآية فيها دليل على عذاب القبر مع الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

(١) استعاذ النبي ﷺ من عذاب القبر، فدل على أنه حق وعلى أنه واقع وثابت وإلا لم يستعذ منه الرسول ﷺ. وأمر بالاستعاذة منه في كل صلاة، فقال ﷺ: «استعيذوا بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(*).

والشاهد أن الرسول ﷺ أمر بالاستعاذة من عذاب القبر، فدل على أنه عذاب واقع وحاصل وأن المؤمن يستعيذ منه.

وعذاب القبر له أسباب، يصيب حتى المؤمنين بسببها فإنهم يعذبون في قبورهم، منها: الغيبة والنميمة، ومنها عدم الاستنزاه من البول. فقد مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ألا إنه لكبير، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»(**) فدل على أن عذاب القبر يحصل للمؤمن بسبب ذنوب ارتكبها في الدنيا. وكذلك قوله ﷺ: «إن الميت ليعذب في =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/١٧٦-١٧٧ (٧٢٣٧)، ومسلم (٥٨٨) وأبو داود (٩٨٣)، والنسائي ٣/٥٨ (١٣٠٩) من حديث أبي هريرة.

(**) أخرجه البخاري (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق[1].

= قبره بما نيح عليه»[*] فالنياحة على الميت تسبب تعذيبه، وهي سبب من أسباب تعذيبه في قبره.

(١) مما يجري في القبر أيضاً سؤال منكر ونكير من الملائكة، أنه إذا وضع الميت في قبره وسوي عليه القبر وتولى عنه المشيعون وإنه ليسمع قرع نعالهم يأتيه ملكان فتعاد روحه في جسده، وهذه الحياة برزخية ما هي مثل إعادتها في الحياة على الأرض، لا يعلمها إلا الله - جل وعلا -، فتعاد روحه في جسده ويجلسانه فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله،والإسلام ديني، ونبيي محمد ﷺ، لا يتلعثم ولا يتردد؛ لأنه كان مؤمناً في هذه الدنيا، مؤمناً بالله ومؤمناً بالرسول ﷺ ومتمسكاً بدين الإسلام فلا يتلجلج في السؤال ولا يتردد.

أما المنافق الذي كان يعيش في هذه الدنيا على الشك وهو يدعي الإسلام بلسانه وهو منكر بقلبه فهذا يعجز إذا سُئل في القبر ويتحيَّر ويقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. فالأول يُنَعّم ويُفتح له باب إلى الجنة، وهذا يعذب ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه ويفتح له باب إلى النار[**].

(*) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧) (١٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(**) انظر «صحيح البخاري» حديث أنس بن مالك (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠)، وهو في «المسند» ١٩/٢٨٩-٢٩٠ (١٢٢٧١) وحديث أبي هريرة في الترمذي (١٠٧١)، وحديث البراء بن عازب عند أبي داود (٤٧٥٣). =

. . . .

نسأل الله الثبات - ولهذا يقول - جل وعلا -: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، هذا فيه دليل على ثبوت عذاب القبر وسؤال الملكين منكر ونكير. ولهذا كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف على قبره هو وأصحابه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»(*) فيستحب للمسلمين إذا فرغوا من دفن الميت أن يقفوا على قبره ولا يستعجلوا في الانصراف ويسألوا له التثبيت ويستغفروا له، فإن الله ينفعه بذلك؛ لأن دعوة المسلمين مستجابة.

فعذاب القبر حق ولا ينكره إلا ملحد، قد أنكرته المعتزلة بناء على عقولهم الفاسدة لأنهم يقدمون العقل على النقل، فلما كانت عقولهم لا تدرك عذاب القبر نفوه وكذبوا بالأحاديث - نسأل الله العافية - وأمور الغيب وأمور الآخرة لا دخل للعقول فيها، لا تدركها العقول وإنما تُبنى على الأخبار الصادقة، فنؤمن بها بناء على الأخبار الصادقة، ولا نقول بشيء إلا ما دل عليه الدليل من أمور الآخرة وأمور القبر، لا أحد يتكلم ويثبت شيئاً إلا بدليل صحيح من الكتاب والسنة؛ لأنه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. هذا من الإيمان باليوم الآخر؛ لأن القبر أول منازل الآخرة.

= وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ١١/ ١٧٣-١٧٩ حيث ذكر ما يتعلق بفتنة القبر وسؤال منكر ونكير.

(*) أخرجه أبو داود (٣٢٢١) وسنده حسن، وصححه الحاكم في «المستدرك» ١/ ٥٢٦ (١٣٧٢) ووافقه الذهبي، من حديث عثمان بن عفان.

والبعث بعد الموت حق[1]

---

(١) كذلك مما يجب الإيمان به وهو من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالبعث، والبعث: هو إعادة الأموات أحياء، ينبعثون من قبورهم أحياء بعدما كانوا تراباً وعظاماً ورميماً، فإن الله يعيدهم سبحانه وتعالى كما كانوا بقدرته سبحانه؛ ليجزيهم بأعمالهم التي عملوها، فالدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.

فلا بد من البعث للجزاء والحساب ولا ينتهي الأمر عند الدنيا بل هناك دار أخرى هي دار الجزاء، فلو لم يكن هناك بعث للجزاء للزم على ذلك العبث في أفعال الله سبحانه وتعالى وكانت أفعالاً بلا نتيجة.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] فهو تعالى منزه عن العبث وأن يخلق خلقاً عبثاً، بل خلقهم لحكمة وغاية وهي البعث والنشور، والجزاء على الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وذلك أن الله يعيد أجسادهم ويجمعها من التراب والعظام، وتبنى أجسامهم كما كانت.

ثم بعد ذلك يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فينفخ في الصور - والصور هو القرن الذي فيه الأرواح - فتطير كل روح إلى جسدها، فيحيا هذا الجسد ويتحرك، ثم يخرجون من قبورهم ويمشون إلى المحشر، يخرجون من الأجداث: يعني من القبور، فيذهبون إلى المحشر كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداعي، يدعوهم إلى الحشر، =

. . . .

= فيذهبون لا يتخلف أحد ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس]، هذه قدرة الله سبحانه وتعالى.

وقد أنكر المشركون البعث: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] كيف يعود التراب وتدب فيه الحياة، وكيف تعود هذه العظام التي فنيت، وهذه الشعور التي تفرقت، وهذه اللحوم التي تمزقت، كيف تعود مرة ثانية؟ استبعدوا هذا ونفوه بناء على عقولهم، ولم يعلموا أن الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يعيدهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ﴾ [لقمان: ٢٨]، الله لا يعجزه شيء، لماذا لم يستغربوا خلقهم أول مرة وكانوا في الزمان الماضي عدماً ليس لهم جلود ولا عظام ولا شيء ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] ليس لهم عظام ولا لحم ولا شيء أبداً، أوجدهم الله من عدم، فالذي أوجدهم من عدم ألا يقدر أن يعيد أجسامهم ورميمهم وعظامهم كما كان. لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

فهذا هو البعث من القبور حين ينفخ إسرافيل في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] والنفخ في الصور ذكره الله أنه يحصل ثلاث مرات: =

وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور[1]: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[2] [يس: ٥١] ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهْماً[3]،

= المرة الأولى: نفخة الفزع: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

والنفخة الثانية: نفخة الصعق. والنفخة الثالثة: نفخة البعث. وهما مذكورتان في آخر سورة الزمر. كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يعني: مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه النفخة الثالثة ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه نفخة البعث.

(١) وإسرافيل ملك من الملائكة موكل بالنفخ في الصور.

(٢) الأجداث: القبور، ينسلون: يخرجون منها.

(٣) الحشر، من الأمور التي يجب الإيمان بها والحشر، جمع الناس بعد القيام من قبورهم، يسيرون من القبور إلى المحشر، وهو مكان يجمع الله فيه الأولين والآخرين، مكان مستوٍ ليس فيه مرتفع ولا جبل ولا كثبان، أرض مستوية يجتمعون فيها(*)، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، كل الخلائق تجتمع في هذا المحشر، حفاة ليس لهم نعال، عراة ليس عليهم ثياب، غُرْلاً غير مختونين، القلفة التي قُطعت في الختان في الدنيا تعود مكانها، بهماً ليس معهم شيء، ما معهم شيء =

(*) انظر حديث سهل بن سعد في البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ[1].

= أبداً إلا الأعمال(*). فيقفون في المحشر وهو المجمع الذي يجمعهم الله فيه ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ [المرسلات].

(١) يطول وقوفهم في هذا المحشر وتدنو منهم الشمس، ويتصبب منهم العرق، ويأخذ من كل واحد منهم بحسب أعماله، فيصيبهم الحر الشديد والضنك الشديد والتعب الشديد من طول الموقف، خمسين ألف سنة، عند ذلك يتراجعون فيما بينهم فيما يخلصهم من هذا الموقف الذي طال زمنه واشتد حاله، فيقولون: ليس لكم إلا الشفاعة، لا بد من أحد يشفع لكم عند ربكم في أن يخلصكم من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم أبي البشر فيطلبون منه الشفاعة إلى ربهم، وطلب الشفاعة من الحي القادر لا بأس به أن تطلب منه أن يشفع لك عند ربك، بمعنى أن يدعو لك عند ربك، وطلب الدعاء شفاعة، فيعتذر آدم عليه السلام، ويذهبون إلى نوح أول الرسل فيعتذر، ويذهبون إلى موسى فيعتذر، ويذهبون إلى عيسى فيعتذر، ويذهبون إلى إبراهيم عليه السلام فيعتذر، ويذهبون في النهاية إلى محمد ﷺ خاتم النبيين، فهم طلبوا الشفاعة من أولي العزم الخمسة: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

(*) انظر حديث عبد الله بن أنيس في «مسند أحمد» ٢٥/ ٤٣١-٤٣٢ (١٦٠٤٢)، و«الأدب المفرد» (٩٧٠) وهو حديث حسن.

فالنبي محمد ﷺ يقول: «أنا لها»(*) فيقبل الشفاعة لهم عند الله، لكنه لا يشفع عند الله ابتداءً إلا بإذن الله - جل وعلا - لأن الله - جل وعلا - لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فيخر ساجداً ويدعو ربه ويتضرع إليه حتى يؤمر برفع رأسه، ويقال له: سل تُعط، فيشفع للخلائق في فصل القضاء بينهم، فيقبل الله شفاعته، ثم يأتي سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده، يأتي بذاته سبحانه مجيئاً حقيقياً كيف يشاء لفصل القضاء بين عباده، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، جاء لفصل القضاء بين عباده. وكما في قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] هذا مجيء الله وإتيانه لفصل القضاء بين عباده، مجيئاً وإتياناً يليقان به سبحانه وتعالى وبعظمته، نثبتهما لله كما أثبتهما لنفسه، ولا نؤول ونقول: يأتي أمره؛ لأن هذا تأويل باطل، بل يأتي هو بذاته سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله كيف يشاء سبحانه، أما الكيفية نحن لا نتعرض لها كيف يجيء وكيف يأتي، لكن نثبت المجيء ونثبت الإتيان لله - جل وعلا - وأنه بالذات كما أخبر الله بذلك عن نفسه سبحانه وتعالى، فيفصل بين عباده.

(حين يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ) وهذه هي الشفاعة العظمى، النبي ﷺ له شفاعات كثيرة، منها ما هو خاص به ومنها ما هو مشترك بينه وبين الأنبياء والصالحين، ومن الشفاعات الخاصة به الشفاعة =

(*) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك.

ويحاسبهم الله تبارك وتعالى[1]،

= العظمى، وهي الشفاعة في أهل الموقف، هذه خاصة به ﷺ، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] سمي بالمقام المحمود لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون عليه الصلاة والسلام. هذه الشفاعة العظمى وتأتي بقية أنواع الشفاعات.

(١) يحاسبهم الله، الحساب: معناه إيقافهم على أعمالهم ومناقشتهم عليها وتقريرهم بها، أما الكفار فإنهم لا يحاسبون محاسبة موازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنهم ليس لهم حسنات، ولكنهم يحاسبون حساب تقرير فقط، يقررون بأعمالهم، ويقرون بها، وأما المؤمنون فيحاسبون حساب موازنة بين السيئات والحسنات.

ومن المؤمنين من لا يحاسب أبداً، يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما في حديث السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب(*)، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم من يناقش الحساب ويُثقل عليه الحساب، وقد قال ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِب»(**).

فهذه أنواع المؤمنين في الحساب: منهم من لا يحاسب ويدخل =

(*) أخرجه مسلم (١٩١) من حديث جابر بن عبد الله.
وأخرجه أحمد في «المسند» ٣٣/١٤٣ (١٩٩١٣) من حديث عمران بن حصين، وهو حديث صحيح.
(**) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة.

وتنصب الموازين[1]

= الجنة بلا حساب ولا عذاب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يحاسب حساب مناقشة ويثقل، وقد يُعذب بذنوبه.

وأما الكفار فإنهم لا يحاسبون حساب موازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنهم ليس لهم حسنات، وإنما يحاسبون حساب تقرير فيعترفون بذنوبهم.

(١) كذلك مما يجري في يوم القيامة: نصب الموازين، موازين الأعمال وهي موازين حقيقية، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف] توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، وهذا من تمام العدل، عدل الله سبحانه وتعالى، فمن رجحت حسناته سعد وفاز، ومن خفت حسناته وثقلت سيئاته خاب وخسر ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة]، أمه: أمّ الشيء الذي يصار إليه، فمصيره إلى جهنم والعياذ بالله، وقيل أمه: أم دماغه، بمعنى أنه يسقط في النار على رأسه.

وهذا الوزن حقيقة، في ميزان حقيقي حسي له كفتان، كما جاء في الأحاديث. لكن الله أعلم بكيفيته لأنه من أمور الآخرة، لكن معناه معلوم وهو أنه ميزان حقيقي له كفتان، توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، وأيهما رجح فإن صاحبه يعامل بحسبه خيراً أو =

وتنشر الدواوين(1)

= شراً، وهذا ثابت في كتاب الله - عز وجل - وفي سنة رسول الله ﷺ وأجمع عليه المسلمون.

أما المعتزلة فيقولون: ليس هناك ميزان حقيقي وإنما هو كناية عن إقامة العدل، وهذا على منهجهم الخبيث، وهو تحكيم العقول وعدم النظر إلى النصوص، وهذا مذهب باطل وضال.

(1) الدواوين: هي الكتب التي سجلت فيها أعمال بني آدم، وهي الصحائف، صحائف الأعمال؛ لأن ما عمله الإنسان في هذه الدنيا فهو مكتوب، كتبته عليه الملائكة الحفظة من خير أو شر قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء] فيُعطى الإنسان كتابه المملوء بأعماله ويقرؤه، أما المؤمن فإنه يعطى كتابه بيمينه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩] فهو يفرح ويود أن الناس يطلعون على كتابه؛ لأنه سارّ، والشيء إذا كان ساراً فإنك تود أن يطلع عليه الناس ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ يعني آمنت وأيقنت أني ملاق حسابية فاستعددت له بالأعمال الصالحة ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة] وأما الكافر فإنه يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره، والعياذ بالله - ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥] يتمنى أنه لم يعط كتابه، ولا عرض عليه لأنه فضيحة ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة] يعني ليتني لم =

وتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل[1]: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[2] **[الانشقاق].**

والميزان: له كفتان ولسان، توزن به الأعمال[3] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ

= أبعث، وليت الموت كان هو النهاية ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَّلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحاقة] هذا بعد تطاير الصحف باليمين أو بالشمال.

(١) هذا ثابت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، وهذا من تمام العدل من الله سبحانه وتعالى أنه لا يظلم أحداً أو يُحمِّل أحداً ما لم يعمله.

(٢) في آية يعطى كتابه بشماله، وفي آية يعطاه من وراء ظهره، والجمع بين الآيتين أنه يُعطى كتابه بشماله ومن وراء ظهره إهانة له - والعياذ بالله - فيحصل هذا وهذا له.

ومن طرائف ما يُذكر أن بعض الفرق الضالة إذا مات الميت يقطعون يده اليسرى يقولون: حتى لا يبقى له شمال يوم القيامة، لكي يعطى كتابه باليمنى، إذا لم توجد اليسرى، ولا يؤمنون أن الله يعيد يده التي قطعوها كما كانت. هذا من طرائف أخبار بعض الفرق الضالة.

(٣) هذا رد على المعتزلة. في أنه ميزان حقيقي له كفتان حقيقيتان. وله لسان.

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1] [المؤمنون].

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة[2] ماؤه أشد بياضاً من

---

(١) قد سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله ﷺ: هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «أما في ثلاثة مواضع فلا أحد يذكر أحداً: عند وزن الأعمال حتى يعلم هل ترجح حسناته أو سيئاته» هذا موضع، والموضع الثاني «عند تطاير الصحف حتى يعلم هل يعطى صحيفته بيمينه أو بشماله» والموضع الثالث «على الصراط»(*) عند المرور على الصراط حتى يعلم هل ينجو أو لا ينجو.

(٢) مما يجب الإيمان به: الحوض الذي للنبي ﷺ، والحوض: مجمع الماء، فيكون لنبينا ﷺ حوض مملوء بالماء العذب يسكب فيه ميزابان، لونه كبياض اللبن وطعمه أحلى من العسل، وآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبداً(**). وذلك أن الناس يعطشون في المحشر ويحتاجون إلى الماء، فترد أمة محمد ﷺ على حوضه فيشربون، وهم أهل الإيمان الصحيح، أما المنافقون والذين بدلوا وغيروا فإنهم إذا وردوا على حوضه يذادون عنه =

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٤١/ ٢٢٥ (٢٤٦٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٥)، والحاكم ٤/ ٦٢٢ (٨٧٢٢) وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة، ووافقه الذهبي.

(**) انظر حديث أبي ذر عند مسلم (٢٣٠٠)، والترمذي (٢٤٤٥).

اللبن وأحلى من العسل[1]، وأباريقه عدد نجوم السماء[2]، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً[3].

والصراط حق، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار[4].

= ويمنعون من وروده، فيقول ﷺ: «يا رب أصحابي أصحابي» فيقال له: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا بعدك مرتدين[*]. فهذا هو الحوض نؤمن به ونثبته كما جاء وصفه في الأحاديث.

(١) يصب فيه الكوثر نهر من أنهار الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، و المشهور أن المراد بالكوثر نهر من أنهار الجنة يصب في حوضه ﷺ، وقيل: الكوثر الخير الكثير، ويدخل فيه النهر لأنه من الخير، فهو تفسير عام.

(٢) أباريقه: يعني آنيته التي يُشرب بها.

(٣) فإذا شرب ذهب عنه الظمأ ولا يعود إليه أبداً.

(٤) كذلك من أعمال يوم القيامة وأهوالها، الصراط والمرور عليه، والصراط: هو القنطرة والجسر المضروب على متن جهنم، يعبر عليه الناس كلهم ولا يحملهم عليه إلا أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح بسرعتها حسب قوة أعمالهم ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً على قدميه، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، كل ما ضعفت الأعمال ضعف المرور، ومنهم من يُخطف فيلقى في =

(*) أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

ويشفع نبينا محمد ﷺ(1) فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر.

= جهنم بأن تعجز أعماله عن حمله على الصراط فيقع في جهنم(*) - والعياذ بالله -. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم]، وإن منكم: هذا يشمل المؤمنين والكفار، إلا واردها: يعني جهنم، وهذا الورود هو المرور على الصراط ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] يتساقطون في النار - والعياذ بالله -.

(١) الشفاعة: هي في اللغة الوساطة بالخير، هذه هي الشفاعة، وقد تكون وساطة في الشر، كما قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ومن الشفاعة السيئة الشفاعة في الحدود في إسقاط الحدود، هذه شفاعة سيئة - والعياذ بالله - مضادة لحكم الله سبحانه وتعالى.

هذه هي الشفاعة في الأصل، أما الشفاعة في الآخرة فهي الدعاء، وذلك بأن يكرم الله سبحانه وتعالى بعض عباده بأن يتقبل دعاءه في المشفوع له. والشفاعة تكون بشرطين: بإذن الله - جل وعلا - للشافع وبرضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد والإيمان، أما =

(*) انظر حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم (١٨٣).

. . . .

= الكافر فإنه لا تُقبل فيه شفاعة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. فالشفاعة إنما تكون لأهل الإيمان، وهي أن الله يكرم بعض عباده بأن يقبل شفاعته ووساطته ودعوته فينفع بها المشفوع فيه إذا كان من أهل الإيمان.

الشفاعة الثانية من خصائص النبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة. فأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام، فيشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وتُفتح لهم أبوابها بشفاعته ﷺ.

ومن الشفاعات الخاصة به ﷺ: شفاعته في عمه أبي طالب، هذه خاصة بالرسول؛ لأن أبا طالب كافر، مات على الكفر على ملة عبد المطلب وهي عبادة الأوثان، ولكن لمواقفه مع النبي ﷺ ودفاعه عن الرسول ﷺ فإن الرسول ﷺ يشفع فيه يوم القيامة أن يخفف عنه العذاب، لا يشفع فيه بالخروج من النار، لأن الكافر لا يمكن أن يخرج من النار، لكن يشفع في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، أو يكون في أخمص قدمه جمرة من النار يغلي منها دماغه، ما يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه مع أنه أهون أهل النار عذاباً. هذه شفاعة خاصة بالرسول ﷺ خاصة ولأبي طالب، أما بقية الكفار فلا أحد يشفع فيهم، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين.

ومن الشفاعات المشتركة: الشفاعة في أهل الكبائر الذين استحقوا =

فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً[1]، فيدخلون الجنة بشفاعته.

= دخول النار، فيشفع ﷺ هو والأنبياء والصالحون في هؤلاء أن لا يدخلوا النار. أو إذا دخلوا النار وعُذبوا فيها يشفع في إخراجهم منها، يشفع النبي ﷺ ويشفع غيره من الأنبياء، ويشفع الصالحون. فيشفع لهم بالدعاء والتضرع إلى الله بإخراجهم من النار فيقبل الله شفاعته ويخرجهم من النار، وهذه الشفاعة في أهل الكبائر خاصة بأهل الإيمان.

(١) الخوارج والمعتزلة ينفون الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأنهم يحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر، فلا تنفعهم الشفاعة عندهم، ويقولون: من دخل النار لا يخرج منها. وهذا مذهب باطل، بل من دخل النار من أهل التوحيد وأهل الإيمان فإنه يخرج منها ولا يخلد فيها أبداً، إنما يُخلد في النار أهل الكفر والشرك - والعياذ بالله - أما أهل التوحيد المذنبون وأصحاب الكبائر فإنهم وإن دخلوا النار بذنوبهم فإنهم لا يُخلدون فيها، بل يخرجون منها إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة أرحم الراحمين، وإما بنهاية عذابهم، فيخرجون من النار كالفحم محترقين، أو كالشيء الأسود من الاحتراق، فيلقون في نهر على باب الجنة يقال له نهر الحياة، فتنبت أجسامهم ثم يؤذن لهم بدخول الجنة.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات[1]،

---

(١) في مثل هؤلاء، هذه الشفاعة ليست خاصة بالرسول ﷺ بل هي مشتركة، يشفع الملائكة، ويشفع الأنبياء والمرسلون، ويشفع الأولياء والصالحون. لكن لا بد من شرطين: أن تكون الشفاعة بإذن الله، وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد ومن أهل الإيمان. والشفاعة تُطلب من الله لا تُطلب من المخلوق، فتقول: اللهم شفع فيّ نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك وشفاعة أنبيائك وعبادك المؤمنين، تُطلب من الله - جل وعلا - لأنها ملك لله ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، فهؤلاء الذين يتوجهون إلى القبور والأموات، ويطلبون منهم الشفاعة، فعلهم هذا شرك أكبر، الميت لا يُطلب منه شيء، والحي تطلب منه الشفاعة بمعنى الدعاء، فيدعو الله - جل وعلا - لك، وهذه الشفاعة تكون من الأحياء في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أما بعد الموت فلا يطلب من الميت شيء لا شفاعة ولا دعاء ولا غيره.

فهؤلاء الذين يتوجهون للقبور ويطلبون الشفاعة من الأموات، ويستغيثون بهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويتبركون بتربتهم، فعلهم هذا هو الشرك الأكبر الذي جاءت الرسل بإنكاره، وشرع الجهاد في سبيل الله من أجل إزالته، فالقبور لا يُطلب منها شيء، وإنما المشروع في القبور زيارتها من أجل الاعتبار والدعاء للأموات المؤمنين، هذا هو المقصود، أما أن تُزار من أجل طلب الشفاعة أو =

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[1] [الأنبياء: ٢٨] **ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين**[2].

والجنة والنار مخلوقتان ولا تفنيان[3] **فالجنة مأوى أوليائه،**

= طلب الغوث أو طلب الرزق أو الولد أو كف شر الأعداء، فهذا هو الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يُغفر إلا بالتوبة، وهذا هو شرك الأولين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

(١) يعني الملائكة، هذا فيه إثبات الشفاعة للملائكة وأنها لا تكون إلا برضا الله - جل وعلا - ورضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد، أما الكافر فإنه لا يرضى الله عنه.

(٢) فكون الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين دل على أنها تنفع المؤمنين بالشروط التي ذكرها الله سبحانه وتعالى.

(٣) مما يكون في يوم القيامة: الجنة والنار، وهما الداران الباقيتان، الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين، وهما مخلوقتان الآن، ليس معناه أنهما تخلقان يوم القيامة، بل هما مخلوقتان الآن، كما قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] ومعنى أعدت: أنها مخلوقة وموجودة. وكما في قوله ﷺ: «إن ما تجدونه من شدة الحر وشدة البرد من أنفاس جهنم، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[*] فدل على أنها =

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١٢/١٨٩ (٧٢٤٧)، والبخاري (٥٣٧)، ومسلم =

والنــار عقــاب لأعــدائــه[1]، وأهــل الجنــة فيهــا مخلــدون،

= موجودة، وأن الله جعل لها نفسين: نفساً في الشتاء وهو ما يجده الناس من شدة البرد، ونفساً في الصيف وهو ما يجده الناس من شدة الحر. فدل على أنها موجودة.

وكان ﷺ جالساً في أصحابه فسمعوا وجبة، يعني سمعوا شيئاً سقط، فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنها لحجر رمي به من شفير جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن وصل إلى قعرها»[*] فدل على أن النار موجودة الآن والجنة كذلك، وأن الميت إذا وضع في قبره يأتيه من نعيم الجنة أو يأتيه من عذاب النار، دل على أنهما موجودتان، ويُفتح له باب من الجنة، أو يفتح له باب من النار، فدل على أنهما موجودتان، فيجب الإيمان بذلك، أنهما موجودتان الآن، وأن القول بأنهما تخلقان يوم القيامة قول باطل. وكذلك الجنة والنـار لا تفنيـان ولا تبيـدان أبـداً، فهمـا مـوجـودتـان فـي المـاضـي ويستمر وجودهما إلى الأبد، لا تفنيان ولا تبيدان، وأهلهما مخلدون فيهما، أهل الجنة مخلدون في الجنة، وأهل النار مخلدون في النار.

(١) الجنة دار جزاء لأوليائه والنار دار عقاب لأعدائه جزاء على كفرهم.

= (٦١٧) من حديث أبي هريرة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٤٣٣ (٨٨٣٩)، ومسلم (٢٨٤٤) (٣١)، وابن حبان (٧٤٦٩) من حديث أبي هريرة.

والمجرمون: ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾(١) [الزخرف] ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار(٢)، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت»(*).

---

(١) هذا من الأدلة على بقاء النار واستمرارها ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤] والخلود معناه المكث الدائم الذي لا ينقطع، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] آيسون من رحمة الله، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف: ٧٦-٧٧] مالك خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ طلبوا من مالك أن يشفع لهم عند الله في القضاء عليهم بمفارقة الحياة حتى يستريحوا، يتمنون الموت، الموت أمنيتهم والعياذ بالله ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فماذا كان الجواب؟ ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني باقون أبد الآباد حتى ييأسوا والعياذ بالله.

(٢) إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيُذبح بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت. فحينئذ ييأس أهل النار من الخروج منها والمراد بالموت هنا ليس هو ملك الموت، ملك الموت لا يموت ولا يُذبح، لكن الموت يتصور يوم القيامة فيكون في صورة كبش، والله قادر سبحانه على أن يجعل الأشياء المعنوية أعياناً =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ١٢٠ (١١٠٦٦)، والبخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

في حق الرسول ﷺ وأصحابه[1]

= وأشخاصاً، قادر على ذلك سبحانه وتعالى.

(١) لما تكلم المؤلف - رحمه الله - في أول هذه العقيدة عن الإيمان بالله والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر، بعد ذلك عقد هذا الفصل لبيان حقوق النبي ﷺ وحقوق أصحابه، وحقوق زوجاته؛ لأجل أن يكون المسلم على بصيرة مما اختلف فيه أهل الأهواء والمبتدعة في حق الصحابة وفي حق زوجات النبي ﷺ وغير ذلك. لئلا تؤثر عليه هذه الأهواء وهذه الشبهات التي يوردها هؤلاء الضالون، فيكون المسلم على بصيرة.

هذا هو السبب في النص على حقوق النبي ﷺ وحقوق أصحابه وحقوق زوجاته عليه الصلاة والسلام؛ ذلك لأن حقوق أصحابه وحقوق زوجاته داخلة في حق النبي ﷺ، وحق النبي ﷺ هو الأصل وهذه داخلة في حقوقه ﷺ، وهذا فصل مهم يجب العناية به ومعرفة أحكامه.

وكذلك ذكر في هذا الفصل حقوق المسلمين وعدم تكفير المسلم بسبب ذنب ارتكبه، وعدم الغلو في الأشخاص وأن لا يحكم لأحد بالجنة أو بالنار بدون دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن كل هذه المسائل وقع فيها كثير من أهل الضلال، وخالفوا الحق فيها، فكان واجباً على أهل السنة والجماعة أن يبينوها ويوضحوها.

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين[1]

---

(١) محمد ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام إلى أن تقوم الساعة، فهو آخر الأنبياء، وهو خاتمهم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والخاتَم أو الخاتِم بالكسر هو الآخِر الذي ليس بعده رسول ولا نبي، ولكن شريعته ﷺ باقية ومستمرة إلى أن تقوم الساعة، وكاملة لا تحتاج إلى بعثة نبي جديد، كأن النبي ﷺ مستمر بين أظهرنا، وذلك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا حاجة إلى بعثة نبي بعد رسول الله ﷺ؛ لأن الأنبياء كانت تُبعث إذا اندثرت آثار الرسالات وعم الجهل في الأمم السابقة، كلما مضى نبي خلفه نبي آخر يجدد للناس الدين.

فلما جاء رسول الله ﷺ بهذه الشريعة الكاملة المحفوظة من التغيير والتبديل، الوافية بحاجات العباد إلى أن تقوم الساعة فكأنه ﷺ حيّ لا يحتاج الناس إلى بعثة رسول جديد، كما قال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي»[*]. فلذلك خُتمت الرسالة برسول الله ﷺ، ورسالته مستمرة إلى أن تقوم الساعة وشريعته باقية إلى أن تقوم الساعة، وإنما يأتي بعده المجددون من أهل العلم الذين يوضحون الشريعة للناس ويعلمون الناس ما جهلوا منها، فليس بعده رسول وإنما بعده العلماء والمجددون.

(*) أورده ابن عبد البر في «الاستذكار» ٩/ ٥٥٦، والحاكم في «المستدرك» ١/ ١٧٢ (٣١٩) من حديث أبي هريرة.

وذكر نحوه الحاكم ١/ ١٧١ (٣١٨) من حديث ابن عباس بسند حسن.

. . . .

= كما قال ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(*)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما العلماء ورثة الأنبياء»(**). فالعلماء من هذه الأمة يقومون مقام الرسول ﷺ في البيان والإيضاح والهداية للناس، فلا نبي بعده ﷺ، وهذا في القرآن قال الله في حق نبيه ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وفي قوله ﷺ: «إنه سيأتي بعدي كذابون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»(***).

فمن اعتقد أنه يأتي بعد رسول الله ﷺ نبي أو أنه يُبعث نبي فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ومكذب للرسول ﷺ ومخالف لإجماع المسلمين، ولذلك حكم أهل العلم بكفر كل من ادعى النبوة بعد الرسول ﷺ، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، ومن جاء بعدهم ممن يدّعي النبوة، حكموا بكفره، وكذلك حكموا بكفر القاديانية الذين يعتقدون نبوة غلام أحمد القادياني في باكستان، فهؤلاء كفار خارجون من الملة؛ لأنهم زعموا أن بعد الرسول ﷺ رسولاً يُبعث، فكفروا لأنهم اعتقدوا أن هذا الرجل وهو غلام أحمد القادياني نبي، =

(*) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح، وانظر «جامع الأصول» ١١/ ٣٢٠-٣٢٤.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٤٥-٤٦ (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، والترمذي (٢٦٨٢)، من حديث أبي الدرداء وهو حديث حسن.

(***) قطعة من حديث ثوبان أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٧٨-٧٩ (٢٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وهو حديث صحيح.

= ويسمون بالقاديانية نسبة إليه.

فهو ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، هذه عقيدة يجب على المسلم أن يعتقدها وأن يُكذب كل من ادعى النبوة بعد بعثة الرسول ﷺ، وأما نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه ينزل بشريعة الرسول ﷺ فيكون تابعاً لمحمد ﷺ يحكم بشريعته، ولا يأتي بشريعة غيرها فهو يُعتبر من المجددين ومن أتباع الرسول ﷺ، إذا نزل فإنه سيكون من أتباع الرسول ﷺ. فلا يُشكل نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان مع قوله ﷺ: «أنا خاتم النبيين»(*) ومع قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، لأن المسيح عليه السلام بنزوله ومكثه في الأرض يحكم بالإسلام وبشريعة الرسول ﷺ.

(١) محمد سيد المرسلين وأفضلهم، هو أفضل المرسلين، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(**) فهو سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لما خصه الله به من عموم رسالته إلى جميع الناس، وكان النبي قبله يُبعث إلى قومه خاصة، فهذا الرسول ﷺ بعثه الله إلى الناس عامة.

ولِمَا ظهر من فضله في ليلة الإسراء على الأنبياء في كونه صَلّى بهم إماماً في المسجد الأقصى، ورُفع ﷺ فوق السماوات العُلى، وهذا =

(*) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ١٠ (١٠٩٨٧)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، والترمذي (٣١٤٨) و(٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري، وهو حديث صحيح.

= مقام لم يصل إليه غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهو أفضلهم على الإطلاق. والأنبياء يتفاضلون لا شك في ذلك، أن الأنبياء يتفاضلون كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فالأنبياء يتفاضلون، ولكن لا يجوز لنا أن نتنقص المفضول وأن نثير هذا الأمر من أجل أن نتنقص المفضول. هذا أمر لا يجوز نهى عنه ﷺ، فقال: «لا تفاضلوا بين الأنبياء»(*)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تفضلوني على يونس بن متى»(**).

فلا يجوز انتقاص المفضول من الأنبياء؛ لأن الأنبياء لهم فضل ولهم مكان عند الله سبحانه وتعالى، وكون بعضهم أفضل من بعض لا يقتضي هذا تنقص المفضول بل كلهم عليهم الصلاة والسلام لهم مكانة عند الله لا يصل إليها غيرهم.

(١) لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالة محمد ﷺ ويقر بنبوته، وفي هذا رد على اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم على الإيمان وأنهم أتباع للأنبياء، ولكنهم ينكرون رسالة محمد ﷺ أو ينكرون عموم رسالاته، يقولون: هو نبي ولكنه هو للعرب خاصة فينكرون عموم =

(*) أخرجه أحمد بنحوه في «المسند» ١٧/٤٥٩ (١١٣٦٥)، والبخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) (١٦٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) أخرجه البخاري بنحوه (٣٤١٦)، ومسلم (٢٣٧٧).

ويشهد بنبوته[1]، ولا يُقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته[2]

= رسالته، هذا كفر بالله - عز وجل - ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨].

فمن لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر وإن ادعى أنه يؤمن بموسى أو بعيسى كاليهود والنصارى، وفي هذا رد على من يريد التقريب بين الأديان الثلاثة وينادي الآن بالتقارب بين الأديان الثلاثة ويقول: كلها حق. ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ هذا ليس صحيحاً. بل بُعث الرسول ﷺ وأمر الناس كلهم باتباع هذا الرسول: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فليس بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا اتباعه، فمن خالفه وبقي يظن أنه على دين من دين اليهود أو دين النصارى فإنه كافر بالله - عز وجل - حتى يؤمن برسالة محمد إلى عموم الناس كافة، لا يكفي أن يؤمن برسالته فقط، بل لا بد من الإيمان برسالته إلى الناس كافة لأن هناك من يرى أنه رسول لكنه إلى العرب فقط.

(١) ويشهد بنبوته عليه الصلاة والسلام، فالشهادة بأنه رسول الله تأتي بعد شهادة أن لا إله إلا الله لا تصح إحداهما بدون الأخرى.

(٢) هذا من فضائله ﷺ، من فضائله أنه لا يؤمن أحد بعد بعثته =

ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته[1]، صاحب لواء الحمد[2]،

= ﷺ إلا إذا آمن به وأقر بعموم رسالته عليه الصلاة والسلام، ومن فضائله ﷺ أنه لا يقضى يوم القيامة بين العباد إلا بشفاعته، وهذا كما مر بنا أن الناس إذا طال عليهم الوقوف في المحشر يتقدمون لطلب الشفاعة لهم من الأنبياء بأن يقضي الله بينهم ويريحهم من طول الوقوف، فيأتون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، كلهم يعتذر، ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقوم بها، فيشفع عند ربه ويدعوه ويتضرع إليه حتى يعطيه ما سأل ويقضي بين العباد(*).

فمن فضائله ﷺ الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون.

(١) أمة محمد هم السابقون، وهم الآخرون السابقون يوم القيامة، فلا يدخل الجنة أحد قبل أمته ﷺ، ولا يدخل الناس الجنة إلا بشفاعته ﷺ فهو الذي يفتح باب الجنة، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

(٢) اللواء: هو العلامة التي يتخذها قائد الجند أو قائد العسكر، لأجل اجتماع أتباعهم عليها، والراية في يوم القيامة تكون بيد محمد ﷺ وكل الرسل تحت لوائه ﷺ، هذا إظهار لفضله عليه الصلاة والسلام.

(*) انظر ما سلف ص٢٠٦-٢٠٧.

والمقام المحمود[1]، والحوض المورود[2]، وهو إمام النبيين وخطيبهم[3]، وصاحب شفاعتهم[4].

الكلام في أمة محمد ﷺ وأصحابه

أمته خير الأمم[5]،

---

(١) والمقام المحمود الذي سبق في الشفاعة العظمى.

(٢) والحوض أيضاً سبق، الكلام عليه.

(٣) وهو إمام النبيين كما صلى بهم ﷺ ليلة الإسراء، ومقدمهم ﷺ إذا وفدوا على ربهم، وهو خطيبهم عليه الصلاة والسلام إذا وفدوا إلى ربهم.

(٤) وصاحب شفاعتهم، كما سبق في المقام المحمود.

(٥) أمته ﷺ خير الأمم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ، يعني عدولاً خياراً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهذه الأمة تُستشهد يوم القيامة على الأمم أنها قد بلغتها أنبياؤها الرسالة، فيشهدون أن الرسل قد بلغوا أممهم. وما الذي أدراهم بذلك؟ قرؤوا هذا في كتاب الله وعلموه من الوحي المنزّل. ثم يشهد رسول الله ﷺ لهذه الأمة ويزكيها، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨] وهذا لفضلهم، وقبول شهادتهم عند الله على جميع الأمم، =

= وهذا يدل على فضلهم وزكائهم وإيمانهم بالله - عز وجل - وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه شهادة من الله على خيرية هذه الأمة، ثم ذكر صفاتهم ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فأمته خير الأمم.

(١) أصحاب الرسول محمد ﷺ هم خير أتباع الأنبياء، والأصحاب: جمع صاحب وصحابي، والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، يخرج بذلك من آمن بالرسول ﷺ في وقته ولم يره، كالنجاشي - رحمه الله - فإنه آمن بالرسول ﷺ واتبعه ولكنه لم ير النبي ﷺ فلا يسمى صحابياً، وإنما يكون من التابعين. وكذلك من لقيه ولم يؤمن به عليه الصلاة والسلام، وذلك كسائر الكفار الذين رأوا النبي ﷺ واجتمعوا به ولكنهم لم يؤمنوا به، فمجرد لقيا النبي ﷺ لا يكفي، لا بد من الإيمان به.

ومات على ذلك، يخرج بذلك من لقيه وآمن به ثم ارتد ومات على الردة فإنه تبطل صحبته وتبطل جميع أعماله ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ولهذا يذاد أقوام عن حوضه ﷺ إذا وردوا فيقول: «يا رب أصحابي أصحابي» فيقال له: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا بعدك مرتدين على أدبارهم[*]. =

(*) سلف تخريجه ص٢١٣.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق(١)

= فمن ارتد عن الإسلام بطلت صحبته للرسول ﷺ، وبطلت جميع أعماله إلا أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

فصحابة الرسول ﷺ هم الذين لقوه مؤمنين به، وثبتوا على ذلك إلى وفاتهم، هؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ، وهم أفضل أصحاب الأنبياء وأتباع الأنبياء؛ وذلك لفضل نبيهم محمد ﷺ، ولفضل هذه الأمة على الناس، قال عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(*) فجعل قرنه ﷺ خير القرون، وهذا يشمل الأولين والآخرين.

(١) ثم الصحابة - رضي الله عنهم - يتفاضلون أيضاً بالسبق إلى الإيمان وبالجهاد والهجرة والنصرة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، فالصحابة يتفاضلون بسبقهم إلى الإسلام ولجهادهم وهجرتهم ونصرتهم للرسول ﷺ وعلمهم، يتفاضلون في هذا، لكن هم في جملتهم خير القرون وأفضل الأمم وإن كانوا فيما بينهم يتفاضلون، . فالمهاجرون منهم أفضل من الأنصار، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] هذه في المهاجرين، ثم قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] هذه في الأنصار، فذكر الله المهاجرين قبل الأنصار فدل على فضلهم، وهذا مطرد في القرآن أن =

(*) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود.

. . . .

= الله يذكر المهاجرين قبل الأنصار ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] فتقديمهم في الذكر يدل على فضلهم على غيرهم.

ثم المهاجرون أيضاً يتفاضلون، فأفضلهم على الإطلاق الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، وهم أفضل صحابة رسول الله ﷺ على الإطلاق، ثم من بعدهم العشرة المشهود لهم بالجنة، العشرة: الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح، هؤلاء العشرة المشهود لهم بالجنة. سموا بالعشرة المشهود لهم بالجنة؛ لأن النبي ﷺ بشرهم بالجنة وهم أحياء كما يأتي في الحديث، فهؤلاء بقية العشرة في المرتبة بعد الخلفاء الراشدين.

ثم السابقون إلى الإسلام أفضل ممن تأخر إسلامهم ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠] نصَّ الله - جل وعلا - على السبق، قال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثم أصحاب بدر وأصحاب بيعة الرضوان، هؤلاء لهم مزية على غيرهم من بقية الصحابة، لهم فضائل عظيمة:

أولاً السبق إلى الإسلام. =

ثم عمر الفاروق[1]،

= وثانياً: الجهاد والهجرة.

وثالثاً: أن منهم من خصه النبي ﷺ بخصائص لم تكن لغيره.

أفضل الصحابة على الإطلاق الخلفاء الراشدون: هذا ترتيب الخلفاء الراشدين في الخلافة في الفضيلة ويليه ترتيبهم في الخلافة، فأفضل الخلفاء الراشدين أبو بكر، واسمه عبد الله بن عثمان، وأبو بكر كنيته اشتهر بها، وهو من أسبق السابقين إلى الإسلام، ومواقفه مع الرسول ﷺ معروفة، وهو الذي صحب النبي ﷺ في الهجرة وفي الغار، يعني اختاره النبي ﷺ لصحبته في الهجرة وكان معه في الغار ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]، هو وأبو بكر ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ غار ثور في مكة ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ يعني أبا بكر شهد الله له بالصحبة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وكذلك موقفه مع النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ومدافعته عن النبي ﷺ وبذله لنفسه وماله في نصرة رسول الله ﷺ، وكان ملازماً للنبي ﷺ في أسفاره وفي غزواته، ولما تُوفي النبي ﷺ وارتد من ارتد عن الإسلام قام رضي الله عنه بقتال المرتدين حتى ثبَّت الله به الإسلام بعد رسول الله ﷺ، وفضائله كثيرة رضي الله عنه، والنبي ﷺ كان يحبه حباً شديداً ويثني عليه.

(١) الثاني: عمر الفاروق، عمر بن الخطاب بن عمرو بن نفيل العدوي -رضي الله تعالى عنه- وهو في المرتبة الثانية بعد أبي بكر. =

ثـم عثمـان ذو النـوريـن. ثـم علـي المـرتضـى رضـي الله عنهـم أجمعين[1]

= سماه النبي ﷺ بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، فكان المسلمون مستضعفين في مكة ويتهددهم الكفار، فلما أسلم عمر أعز الله به الإسلام واعتز به المسلمون لقوته وشجاعته وهيبته رضي الله تعالى عنه، وهو الخليفة الثاني بعد الخليفة الأول وذلك بعهد أبي بكر إليه - رضي الله عنهما -.

(١) ثم بعد عمر عثمان بن عفان ذو النورين الذي هاجر الهجرتين، هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة، وهو من أسبق السابقين إلى الإسلام، وهو سمي بذي النورين لأنه تزوج ابنتي الرسول ﷺ، تزوج رقية بنت رسول الله ثم ماتت عنده، ثم زوجه النبي ﷺ أم كلثوم ثم ماتت عنده، ثم قال النبي ﷺ: «لو كانت عندي ثالثة لزوجتك إياها»[*].

وقد أنفق أمواله في سبيل الله - عز وجل - وجهز جيش العسرة، واختاره أهل الشورى الذين أفضى إليهم عمر رضي الله عنه، باختيار الخليفة من بعده فاختاروا عثمان رضي الله عنه وذلك بإجماعهم، هذا دليل على فضله - رضي الله تعالى عنه -. ومن فضائله العظيمة توحيده المصحف، لما فُتحت الفتوح وانتشر الصحابة في الأمصار وكثر القراء، وحدث بينهم اختلاف في القراءات وَحّد القراءة على حرف واحد، وكتب المصحف العثماني المشهور ووزعه على الأمصار. =

(*) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٩/ ٤٣-٤٥ من طرق موصولاً ومرسلاً.

لِمَا روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول - والنبي ﷺ حي -: أفضل هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره[1](*).

= فدرأ الله به فتنة الخلاف في القرآن العظيم، وهذا من حفظ الله لكتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن فضل هذا الخليفة الراشد الذي قام بهذا العمل الجليل وخلد ذكره في ذكر المصحف العثماني، يعني المصحف الذي كتبه عثمان رضي الله عنه ووحد المسلمين عليه وأنهى الاختلاف في القراءات، هذا من فضائله - رضي الله تعالى عنه وأرضاه -. وقُتل شهيداً مظلوماً، قد أخبر بذلك النبي ﷺ وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فتحقق ما أخبر به ﷺ وقُتل مظلوماً شهيداً - رضي الله تعالى عنه -.

ثم من بعد عثمان علي بن أبي طالب، وهو الخليفة الرابع، وهو ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة وأبو الحسن والحسين سبطي النبي ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، وجهاده وشجاعته معروفة - رضي الله تعالى عنه - وعبادته وعلمه وزهده معروف، هؤلاء الخلفاء الراشدون.

(١) فهذا دليل على فضلهم وترتيبهم هذا الترتيب في الفضل، أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم - وكان الصحابة يصرحون بهذا في عهد النبي ﷺ ويقرهم عليه ولا ينكره عليهم.

(*) أخرجه البخاري (٣٦٩٨)، وأبو داود (٤٦٢٧) و(٤٦٢٨)، والترمذي (٣٧٠٧).

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث[1](*).
وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»[2](**) وهو أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي ﷺ[3]، لفضله وسابقته.

---

(١) وهذا علي رضي الله عنه شهد بأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، وسكت عن الثالث، قيل: المراد به عثمان وقيل: المراد به علي رضي الله عنه.

(٢) وهذه شهادة من الرسول ﷺ «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين على أفضل من أبي بكر».

(٣) هذا ترتيبهم في الخلافة فأحق خلق الله بالخلافة، أولاً: لأنه أفضل الصحابة على الإطلاق، وثانياً لأن الرسول ﷺ كان يختاره للصلاة بالمسلمين لما مرض عليه الصلاة والسلام، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»(***) فاختيار الرسول ﷺ له للإمامة في الصلاة والوقوف في محرابه ﷺ دليل على أنه الأحق بالخلافة، وهذا إشارة منه ﷺ إلى استخلافه من بعده. ولهذا قال الصحابة لما أرادوا بيعته: أيرضاك رسول الله ﷺ لديننا ولا نرضاك لدنيانا. فقدموه بالخلافة. وهذا بإجماع المسلمين.

(*) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» ٧/ ٢٣٩ (٧٣٨٢).
(**) أخرجه بنحوه عبد بن حميد في «مسنده» (٢١٢) من حديث أبي الدرداء.
(***) أخرجه البخاري (٧١٣)، ومسلم (٤١٨) (٩٤) من حديث عائشة.

وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم[1]. وإجماع الصحابة رضي الله عنهم على تقديمه ومبايعته[2]، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة[3]. ثم بعده عمر رضي الله عنه[4] لفضله،

---

(١) وكانوا موجودين بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأفاضل الصحابة، ومع هذا نص ﷺ على تقديم أبي بكر، ولما روجع في ذلك أصر على أن يُقدَّم أبو بكر في الصلاة.

(٢) إجماع الصحابة في يوم السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ على بيعته واستخلافه بعد رسول الله ﷺ، فإنهم بايعوه بالإجماع بما فيهم المهاجرون والأنصار - رضي الله عنهم -.

(٣) لقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»(*) حصل اختلاف في البداية ثم تراجعوا فيما بينهم ثم انحسم الخلاف وأجمعوا على بيعة أبي بكر - رضي الله تعالى عنه -.

(٤) ثم من بعد أبي بكر الخلافة عمر وذلك بالعهد الذي عهد به أبو بكر، فإنه لما حضرت أبا بكر الوفاة عهد إلى عمر بالخلافة، وإذا عهد ولي الأمر من بعده إلى من يخلفه تعين ذلك، كما عهد أبو بكر إلى عمر - رضي الله تعالى عنه -. لفضله المعروف وسابقته في الإسلام وقوته وصرامته، وأنه لا يخشى في الله لومة لائم، ولتقديم الصحابة =

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ١٩٩-٢٠٢ (٣٩١-٣٩٧) من حديث ابن عمر وذكر بعده شواهد له. وانظر حديث أبي بصرة الغفاري في «مسند أحمد» ٤٥/ ٢٠٠ (٢٧٢٢٤)، و«كشف الخفاء» ٢/ ٤٧٠ (٢٩٩٩).

وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له[1]. ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه[2].

= له، عملاً بعهد أبي بكر رضي الله عنه.

(١) الثالث من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - وذلك لإجماع أهل الشورى الذين عهد إليهم عمر لما حضرته الوفاة عهد بالأمر إلى أهل الشورى ليختاروا خليفة للمسلمين وأهل الشورى ستة، هم: عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، هؤلاء أجمعوا على اختيار عثمان رضي الله عنه فبايعه المسلمون.

(٢) ولما قُتل عثمان رضي الله عنه شهيداً مظلوماً اجتمع المسلمون على بيعة علي رضي الله عنه؛ لأنه أفضل الصحابة بعد الثلاثة الذين سبقوه، وكان حقيقاً وخليقاً بالخلافة رضي الله عنه، ولكن حصلت الفتن في وقته لحدوث الشقاق واندساس أصحاب الأهواء والأعداء في صفوف المسلمين، فحصل في وقته من الحروب والشقاق الشيء الكثير، لكن لا شك في خلافته وأنه خليفة المسلمين بعد أصحابه - رضي الله تعالى عنهم - وما حصل في وقته لا يقدح في خلافته، لأنه أمر خارج عن إرادته، وحاول رضي الله عنه أن يقضي على هذه الفتن، وجاهد، وقاتل الخوارج، وحاول رضي الله عنه وبذل وسعه، لكن لم يتم الأمر على المطلوب. والذين قاتلوه من الصحابة لم ينازعوا في خلافته، فالذين قاتلوا في الجمل وفي صفين مع معاوية لم ينازعوا =

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون، الذين قال النبي ﷺ فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»[1](*). وقال ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة(**)» فكان آخرها علي رضي الله عنه[2].

ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة، كما شهد لهم النبي ﷺ، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة،

= في أنه هو الخليفة، ولكنهم يريدون القصاص من قتلة عثمان، هذا الذي يريدون. ولم يقاتلوا علياً رضي الله عنه لأنهم لا يرون أنه الخليفة، وإنما يريدون القصاص من قتلة عثمان.

(١) هؤلاء هم المقصودون بهذا الحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»(*) والخلفاء الراشدون هم هؤلاء الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم - سماهم بالخلفاء، وسماهم بالراشدين، وأمر بالعمل بسنتهم مع سنته ﷺ.

(٢) أخبر ﷺ أن الخلافة بعد ثلاثون سنة، وقد تحقق هذا في خلافة الخلفاء الأربعة - رضي الله تعالى عنهم - فكانت ثلاثين سنة، ثم =

(*) سلف تخريجه ص٥٨.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/٢٤٨ (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧) والترمذي (٢٢٢٥)، وهو حديث حسن.

وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[1](*).

= بعد ذلك صار الأمر ملكاً، وجاء الملوك من المسلمين بعد الخلفاء الراشدين. وأعدلهم وأفضلهم وخيرهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنه.

(١) هؤلاء العشرة المشهود لهم بالجنة، من الذي شهد لهم؟ شهد لهم رسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى ﷺ، وهذا يدل على فضلهم. وكلهم من قريش، وكلهم من المهاجرين - رضي الله عنهم - هذه ميزة عظيمة تضاف إلى فضائلهم، بل هذه أعظم فضائلهم.

وشهد النبي ﷺ لغيرهم، شهد لعكاشة بن محصن أنه من أهل الجنة لما قال: ادعو الله أن يجعلني منهم. يعني من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، قام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادعو الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»(**).

شهد ﷺ للحسن والحسين بأنهما من أهل الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(***) وشهد =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٠٩ (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧) من حديث عبد الرحمن بن عوف، وهو حديث إسناده قوي على شرط مسلم.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٣/ ١٤٣ (١٩٩١٣) من حديث عمران بن حصين، وهو حديث صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

(***) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ٣١ (١٠٩٩٩) من حديث أبي سعيد الخدري، وهو حديث إسناده صحيح، وتمام تخريجه في «المسند».

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها، كقوله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(*) وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة»(**). ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً[1]

= لثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه شهد له بالجنة، قال له: «أنت من أهل الجنة»(**) وقتل رضي الله عنه شهيداً في حروب اليمامة.

(١) نحن لا نشهد بالجنة والنار إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ، أما من عداهم فلا نشهد لأحد معين، لا نشهد لمعين بالجنة، ولا لمعين بالنار، ولكننا نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين، وأما الجزم بالجنة أو بالنار لمعين فهذا يحتاج إلى دليل من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

لا نجزم لأحد بشهادة أنه شهيد أو أنه من أهل الجنة إلا بدليل، لكننا نرجو للمحسن، نرجو الشهادة لمن قُتل في سبيل الله وجاهد لإعلاء كلمة الله، نرجو له الشهادة، وكذلك نخاف على المسيئين من العصاة والمذنبين والفسقة، نخاف عليهم من النار، لكن لا نجزم لهم بالنار؛ لأن الله قد يتوب عليهم. (من أهل القبلة) يعني الذين يصلون إلى القبلة.

(*) سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/ ٤٦٢-٤٦٣ (١٢٤٨٠)، والبخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) (١٨٧) من حديث أنس بن مالك.

إلا من نزل له رسول الله ﷺ[1]، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نُكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل[2].

---

(١) لأن دخول الجنة والنار من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وما أعلم به رسوله ﷺ، أما نحن فلا نعلم الغيب، لا ندري ماذا يكون خاتمة هذا الرجل، هل هي خير أو شر، ولو ظهر منه العمل الصالح والطاعات فهذا لا يوجب لنا الجزم له بالجنة، لكن هذا يجعلنا نرجو له الجنة ونحسن به الظن، ولهذا قال ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[*].

الأعمال بالخواتيم ونحن لا نعلم الخواتيم، ماذا يُختم لهذا الرجل أو لهذه المرأة، ولكن هذا لا يمنع أننا نُحسن الظن بالمسلم ونرجو له الخير، ونسيء الظن بالفاسق والعاصي ونخاف عليه من الشر. هذا موقف المسلمين من الشهادة بالجنة والنار.

(٢) هذه مسألة التكفير، وهي مسألة خطيرة ومهمة جداً خصوصاً في هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل على كثير من الناس بسبب الجهل، وكثرة أدعياء العلم الذين لم يأخذوا علمهم عن أهل العلم، =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ١٢٥ (٢٦٢٤)، والبخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود.

. . . .

= ولم يتلقوا العلم عن أهل العلم، وصاروا يخبطون في هذا الأمر.

أما من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام كالشرك بالله والسحر والاستهزاء بالدين، أو تنقص الكتاب والسنة، فهذا لا شك في كفره. من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام حكمنا عليه بالردة، والخروج من دين الإسلام ونكفِّره بذلك؛ لأنه ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يقتضي ردته وكفره. أما من كان ذنبه دون الردة كشرب الخمر وأكل الربا والزنا وشرب المسكر والسرقة، هذه كبائر وموبقات وخطيرة جداً، لكن لا نحكم على مرتكبها بالكفر، بل نقول: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان. هذا معتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر، لا نُكفرهم بالكبائر التي لم تبلغ حد الشرك والردة، ولكن نحكم بفسقهم ونقصان إيمانهم. خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يُكفرون أصحاب الكبائر التي هي دون الشرك، ويحكمون على شارب الخمر بأنه كافر، وعلى الزاني بأنه كافر، وآكل الربا بأنه كافر، وهذا ضلال - والعياذ بالله - هذا ضلال مبين.

والمعتزلة يقولون: إنه يخرج من الإسلام ولا يدخل في الكفر بل يكون في منزلة بين المنزلتين، لا هو بكافر ولا هو بمسلم. فإن مات على ذلك فهو كافر ويُخلد في النار كما تقوله الخوارج، وكلا المذهبين باطل، فالمؤمن يبقى معه أصل الإيمان ولو ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وهذه الكبيرة تُنقص إيمانه وتفسقه، لكن لا يقال: إنه كافر. هذا مذهب أهل السنة والجماعة من هذه المسألة العظيمة.

هناك فريق المرجئة على العكس من الخوارج والمعتزلة، يقولون: =

. . . .

= إن الإيمان في القلب، والتصديق في القلب، ولا تدخل فيه الأعمال، فمهما فعل الإنسان لا يحكم بكفره ما دام أنه مؤمن بقلبه. والإيمان هو التصديق بالقلب. مهما فعل، مهما دعا غير الله، ومهما أشرك. يقولون: إنه ما دام أنه مصدق بقلبه مؤمن بالله في قلبه لا نحكم بكفره، لا يضر مع الإيمان معصية، هذا ما يقولونه، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان بالقلب، وهو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص عندهم. فإيمان أبي بكر الصديق مثل إيمان أفسق الناس، هذا ضلال مبين - والعياذ بالله -.

فأهل السنة والجماعة يتوسطون بين هاتين الطائفتين الضالتين، فيقولون: المعاصي الكبيرة تضر مع الإيمان، وتنقص الإيمان، ويحكم بفسق صاحبها ونقصان إيمانه، لا كما تقوله المرجئة، لكنه لا يخرج بها من الملة كما تقوله الخوارج والمعتزلة. هذا هو المذهب الصحيح المتمشي مع الكتاب والسنة.

قد جاء في الحديث الصحيح أن الله -جل وعلا- يقول: «أَخرِجْ من النار يوم القيامة من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان»(*). وجاء أيضاً: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قال أبو ذر: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» ثم أعاد عليه، قال: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، ثم أعاد عليه الثالثة، فقال: يا رسول =

(*) سلف ص١٨٤.

وجوب الحج والجهاد مع كل إمام براً كان أو فاجراً

ونرى الحج والجهاد ماضيين مع كل إمام(١)

= الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي ذر» فكان رضي الله عنه يروي هذه الكلمة ويرددها «وإن رغم أنف أبي ذر»(*).

(١) فمن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وجوب الطاعة لولاة أمور المسلمين وتحريم الخروج عليهم ومعصيتهم ومخالفتهم في غير معصية الله سبحانه وتعالى، لما في ذلك من اجتماع الكلمة واتحاد المسلمين وبقاء قوتهم، ولما في الاختلاف من الضرر على المسلمين وتسلط العدو، وغير ذلك من المحاذير.

ومن حقوق ولاة الأمور الصلاة خلفهم، ولو كانوا فسقة، يعني لو كان عندهم من المعاصي والكبائر ما يقتضي فسقهم ما لم يصل إلى حد الكفر، ما داموا لم يخرجوا عن الإسلام فإن ولايتهم باقية وطاعتهم واجبة ولا يمتنع من الصلاة خلفهم إلا مبتدع؛ لأن النبي ﷺ أمر باجتماع الكلمة وائتلاف الأمة تحت قيادة ولي أمرها ولو كان فاسقاً في نفسه ما لم يصل إلى حد الكفر، ولو كان ظالماً وجائراً بأخذ المال وسفك الدماء، فإن ذلك لا يجيز مخالفته والخروج عليه.

قد صلى الصحابة - رضي الله عنهم - خلف الأمراء الذين عندهم =

(*) حديث أبي ذر أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤) (١٥٤)، وهو في «مسند أحمد» ٣٥/ ٣٧٠ (٢١٤٦٦).

. . . .

= معاص ومخالفات دون الكفر والشرك كالوليد بن عقبة، والحجاج، والمختار بن عبيد، وغيرهم، وابن زياد، ولم يذكر عن أحد من الصحابة ومن الأئمة أنه ترك الصلاة خلفهم، لا سيما في الشعائر الكبيرة كصلاة العيدين والجمعة، كذلك في الحج يحجون معهم وتحت قيادتهم، هذا هدي السلف الصالح عملاً بوصية النبي ﷺ، وهذا هو إرشاد الرسول ﷺ لأمته، حيث أخبرهم أنه سيكون هناك اختلاف، قال: «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ولكن عليكم بسنتي»(*)، قال في الأول: «أوصيكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»(**)، وفي رواية: «وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»(***).

«أوصيكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور(****) ومن محدثات الأمور والبدع الخروج على أئمة المسلمين وترك الصلاة خلفهم ونحو ذلك من المخالفات، فهذا من البدع، =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٦٧-٣٧٥ (١٧١٤٢) و(١٧١٤٤) و(١٧١٤٥) من حديث العرباض بن سارية، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده وانظر تمام تخريجه في المسند.

(**) انظر التعليق السابق، وانظر «صحيح مسلم» (٦٤٨) (٢٤٠)، و(١٢١٨) (٣١١).

(***) أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس بن مالك.

(****) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٧٣-٣٧٥ (١٧١٤٤) و(١٧١٤٥) من حديث العرباض بن سارية وهو حديث صحيح.

. . . .

= السنة طاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم أيضاً. إذا استنفروا المسلمين بالجهاد أو أمروا أحداً معيناً بالجهاد تعين ذلك عليهم طاعة لولي الأمر «وإذا استنفرتم فانفروا»(*) وكذلك الحج، كان الأمراء يقيمون الحج وفيهم مخالفات دون الكفر ولم يختلفوا عليهم ولم يقولوا: لا نقبل الحج معهم، ما قالوا هذا. فهذا دليل على هذه المسألة العظيمة، عكس ما عليه الفرق الضالة التي تريد تشتيت الإسلام والمسلمين بزعم الغيرة عندهم، والغيرة ليست هكذا، هذا ليس من الغيرة بل هذا من البدعة.

ويجب مناصحة ولاة الأمور بالطريقة اللائقة التي تحببهم في الخير وتحذرهم من الشر، فالمناصحة واجبة بالطرق الشرعية، لا نقول: إنه يُسكت عن أخطائهم وعن مخالفاتهم بل يناصحون بالطرق اللائقة التي كان السلف يناصحون بها ولاة الأمور من غير إظهار للإنكار عليهم أو الحديث عنهم في المجالس أو غير ذلك، فإن هذا ليس من هدي السلف وهذا لا يأتي بخير، وإنما يزيد الشر شراً، لكن إذا وُصِّلت النصيحة لهم بطريقة سرية تكون بينهم وبين الناصح، فهذا هو هدي السلف وهذا هو منهج السلف الصالح، فإن قبلوا فالحمد لله، وإن لم يقبلوا برئت الذمة ومسؤوليتهم تكون عليهم. لكن المصلحة في طاعتهم والمصلحة في موافقتهم فيما وافقوا فيه الحق. يترتب عليه مصالح =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٤٤٨ (١٩٩١)، والبخاري (٢٧٨٣) ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس.

براً كان أو فاجراً[1]، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة[2]،

= عظيمة، والإغضاء عن بعض أخطائهم وهفواتهم هذا من ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما فإن الخروج عليهم، ونزع يد الطاعة، يلزم عليه من المضار، وسفك الدماء، وتفرق الكلمة والمنكرات أكثر مما عند الولاة من المنكرات الشخصية الخاصة بهم.

ولذلك تجنب السلف - رحمهم الله - منابذة الأئمة، تجنبوا مخالفتهم. وصلوا خلفهم، وحجوا معهم، وجاهدوا معهم، مع العلم بأنه بعد الخلفاء الراشدين وبعد معاوية رضي الله عنه جاء أمراء فيهم وفيهم، فيهم خير وفيهم شر، وفيهم من جانب الشر فيه أكثر، ومع هذا كان المسلمون ملتفين حول أئمتهم. هذا منهج أهل السنة والجماعة. وأما مذهب الفرق المخالفة فسيأتي ذكرها.

(١) براً: يعني عاملاً بالبر وهو الطاعات ومستقيماً على طاعة الله، وهذا إذا توفر فلا شك أن هذا أحسن وأتم، (أو فاجراً) وهو الفاسق، الفجور المراد به الفسق هنا وليس فجور الكفر، أما إذا كفر فإنه لا طاعة له.

(٢) كان السلف يصلون خلف أمرائهم، وكان الأمراء يصلون بهم الجمعة والعيد، ولم يذكر عن أحد منهم أنه تخلف عن الصلاة لفسق الأمير أو لظلمه، لأنهم إذا قاموا بطاعة الله فأطع الله معه، وصلي معهم، الصلاة عبادة، لما في الصلاة معهم من جمع الكلمة.

قال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: انكف عمن قال: لا إله إلا الله[1] ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل[2]»،

---

(١) من قال: لا إله إلا الله. وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف هذه الكلمة من أنواع الردة، فإذا ارتكب شيئاً من أنواع الردة بعدما قال: لا إله إلا الله، حكمنا بردته، أما ما لم يظهر منه شيء فإنه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، ولا نفتش على ما في القلوب، القلوب أمرها إلى الله، قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»[*] فنحن ما لنا إلا الظاهر.

(٢) هذا الحديث ضعيف، لكن بعضه موافق للأحاديث الصحيحة. (ثلاث من أصل الإيمان، الكف عمن قال: لا إله إلا الله) هذا من أصل الإيمان حتى يظهر منه ما يخالف هذه الكلمة، (ولا نكفره بذنب) ما لم يستحله، يعني ما كان دون الشرك من الذنوب فإننا لا نكفره به ما لم يستحله، كأكل الربا، إذا أكل الربا هذا ذنب عظيم وكبيرة من كبائر الذنوب، لكن إن قال: إنه حلال فهذا كافر؛ لأن الله حرم الربا وحرمه الرسول ﷺ وأجمعت الأمة على تحريمه، أما إذا أكل الربا مع اعترافه بتحريمه فهذا فاسق. كذلك السارق والزاني وشارب الخمر بمجرد العمل لا نكفره لكن لو اعتقد أو قال: إنه حلال حكمنا بكفره لأنه =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١/٢٢٨-٢٢٩ (٦٧)، والبخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة.

والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال[1]، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»[2] رواه أبو داود(*).

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم[3]، وذكر

= مكذب لله ولرسوله.

(ولا نخرجه من الإسلام بعمل) المراد بالعمل ما دون الشرك.

(١) وكذلك هذه الجملة وهي أن الجهاد ماضٍ حتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، هذا تشهد له الأحاديث الصحيحة.

(٢) الإيمان بالقدر سبق أنه من أصول الإيمان في حديث جبريل: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»(**).

(٣) ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، ومحبتهم مطلقة رضوان الله عنهم، لما خصهم الله به من الصحبة لرسول الله ﷺ والسبق إلى الإسلام والجهاد مع رسول الله ﷺ، ولما فضلهم الله به من العلم والعمل، فهم خير القرون بعد الأنبياء وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ ويجب احترامهم ولا يجوز الكلام في أحد منهم، ولا يجوز تصيد أخطائهم إن كان لبعضهم أخطاء، فلا نتصيدها ونظهرها للناس، لا يجوز هذا لما لهم من الفضائل التي تغطي ما قد يصدر من بعضهم من الخطأ، ويكفر ما عنده من الخطأ، ونحن مأمورون بمحبتهم =

(*) «سنن أبي داود» (٢٥٣٢).

(**) سلف تخريجه ص٢٣، ١٥٥.

= وموالاتهم والثناء عليهم، وترك تلمس الأخطاء لهم وتنقص أحد منهم، قال الله تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ﴾ يعني الفيء ﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] هذا في المهاجرين، وقال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] والآيات في مدحهم والثناء عليهم كثيرة.

وأما من السنة فقد صح في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما =

بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»(*)، لو أن أحداً من غير الصحابة من المؤمنين أنفق مثل جبل أُحد من الذهب في سبيل الله لا رياء فيه ولا سمعة خالصاً لوجه الله ما بلغ في الثواب والأجر والفضل مثل المُدِّ من الطعام الذي يتصدق به صحابي، ولا نصف المد، أكبر الجبال من الذهب لا يعادل المُدَّ وهو ربع الصاع يتصدق به رجل من صحابة رسول الله ﷺ، بل نصف المد، أيّ فضل أعظم من هذا، يجيء واحد ويتلمس في بعض الصحابة أخطاء أو عثرات ويظهرها للناس، هذا لا يجوز.

ولا يجوز الدخول فيما شجر بينهم في وقت خلافة عليّ رضي الله عنه من الخلاف بسبب الفتنة، والفتنة إذا جاءت والعياذ بالله فإن خطرها عظيم، أخذت عثمان رضي الله عنه، قُتل شهيداً مظلوماً، بويع لعلي رضي الله عنه ولم يتم له الأمر بسبب ما حصل من الذي زرعوه من الفتنة، وصاروا يثيرون الفتن حتى قامت الحروب بسبب هؤلاء المندسين، قتلوا عثمان ثم اندسوا في جيش علي، ثم أضرموا الحرب في وقعة الجمل وفي صفين وغيرها، هؤلاء المندسون لم يكونوا من الصحابة رضي الله عنهم إنما هم ناس مندسون من أهل الفتن الذين يوقدون العداوة ويصطنعون الخلاف حتى حصل ما حصل.

ومن دخل فيها من الصحابة فهو مجتهد يريد نصرة الحق، وكلهم =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/١٣٧-١٣٨ (١١٠٧٩)، والبخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم[1]،

= مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون والخطأ مغفور، ولهم من الفضائل والمناقب ما يُكفِّر ويغطي ما صدر من بعضهم من الأخطاء، رضي الله تعالى عنهم، ولهم من السوابق في الإسلام ما لهم، فلا يجوز لنا أن نخوض في الحروب التي حصلت وفي الفتن التي حصلت إلا على وجه الاعتذار لهم، أما على وجه التخطئة فهذا لا يجوز، أهل السنة لا يدخلون هذا المدخل إنما يعتذرون عن صحابة رسول الله ﷺ، ولا يدخلون في هذا الأمر إلا مضطرين، وإلا بالأفصل الكف وعدم الدخول، لكن من اضطر للدخول ليرد على مبطل أو يجادل مارقاً فإنه يتوقى ويعتذر عن الصحابة ويعتقد فضائلهم، وأن ما حصل من بعضهم فإنه مغفور بفضائله وسوابقه وصحبته لرسول الله ﷺ.

ولهذا - لما ذكر الله المهاجرين والأنصار - قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ خذوا هذه القاعدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، خذ هذه الآية نصب عينيك ولا تحد عنها ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

(١) وما شجر بينهم: يعني ما حصل بينهم من الاختلاف؛ لأن هذا الاختلاف بينهم عن اجتهاد يتحررون فيه الحق والصواب، فما كان من صواب فلهم فيه أجران، وما فيه من خطأ فهو مغفور، لقوله ﷺ: =

واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٣] [الحشر: ١٠]، وقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤] [الفتح: ٢٩]

= «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»[*]. وهم أولى بذلك.

(٢) اعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، لا يكفي أنك تتحدث عن فضلهم فقط أو تكتب عن فضلهم، بل لا بد أن تعتقد هذا بقلبك، أما إن كتبت أو تكلمت مجرد كلام أو مجرد كتابة من غير اعتقاد لهذا بقلبك فهذا لا يكفي.

(٣) هذا موقف المؤمنين من صحابة نبيهم أنهم يستغفرون لهم، ويعترفون لهم بالسبق في الإسلام والإيمان، ويسألون الله أن يزيل الغل وهو البغض أو الكراهية لأحد من صحابة رسول الله ﷺ من قلوبهم.

(٤) هذه صفتهم، والذين معه: يعني الصحابة، أشداء على الكفار: أقوياء على الكفار، أقوياء لا تأخذهم في الله لومة لائم؛ لأنهم أعداء الله ورسوله، ويبغضونهم أشد البغض، ويتبرؤون منهم ويجاهدونهم =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩/٣٠٨ (١٧٧٧٤)، والبخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة.

وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه»(*).

= في الله - عز وجل - أشداء على الكفار رحماء بينهم، أما فيما بينهم فالرحمة بعضهم لبعض كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضاً، كما شبههم رسول الله ﷺ. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ هذه صفتهم ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] صفة الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - كثرة السجود طاعة لله سبحانه وتعالى، وكثرة الصلاة والتهجد في الليل والجهاد في النهار، الجهاد في سبيل الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، يعني صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وصفهم الله بالتوراة بهذه الأوصاف. فهذه الأوصاف لهذه الأمة موجودة في التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام وإن جحدها اليهود وحرفوها هي موجودة بخبر الله سبحانه وتعالى الذي أنزل التوراة. ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ يعني صفتهم ﴿فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ وهو الكتاب المنزل على عيسى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]، نشأ الإسلام في الأول ضعيفاً والصحابة قليلون ومستضعفون مثل الزرع أول ما ينبت. ثم إنه قوي شأنهم مثل ما يقوى الزرع ويشتد، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ يعني قواه، والشطء هي فراخ الزرع ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ ارتفع على سوقه جمع ساق وهو القصب، هذا مثل للزرع عندما يتكامل ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ هذا الزرع يعجب الزراع لما فيه من القوة ولما فيه من =

(*) سلف تخريجه ص٢٥١.

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ[1] أمهات المؤمنين[2]

= الثمرة ولما فيه من الالتفاف بعضه مع بعض ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ليغيظ بالصحابة الكفار، فالكفار يغتاظون من الصحابة ويبغضون الصحابة. واستدل بعض الأئمة على كفر الرافضة من هذه الآية لأن الرافضة يبغضون الصحابة، والله - جل وعلا - يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فدل على أن الذي يغتاظ من صحابة رسول الله ويبغضهم أنه كافر.

(١) ومن صحابة رسول الله ﷺ، بل من خواصهم وأفضلهم: زوجات النبي ﷺ، وهن من أهل بيت الرسول؛ لأن الله لما ذكر أزواج النبي ﷺ وأمرهن بالقرار في البيوت ونهاهن عن التبرج وأمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فدل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته.

(٢) وهن أمهات المؤمنين، هذا من حقوقهن أنهن أمهات المؤمنين، يعني في الاحترام والتوقير وتحريم التزوج منهن بعد رسول الله ﷺ، أما إنهن أمهات المؤمنين فهذا في نص القرآن ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فهنَّ أمهات المؤمنين في التوقير والاحترام وعدم التزوج منهن ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] لماذا؟ لأنهن زوجاته في الجنة، لأن الله خيرهن بين أن يطلقهن =

. . . .

= الرسول ﷺ ويتزوجن غيره، أو أن يبقين مع رسول الله ويصبرن على الفقر والفاقة والشدة في المعيشة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة وصبرن على واقعهن، فجزاهن الله بهذا الجزاء أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، وقصر نبيه ﷺ عليهن ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصر الله رسوله عليهن وجعلهن زوجاته في الآخرة - رضي الله تعالى عنهن -.

أما من ناحية الحجاب ومن ناحية عدم المحرمية وتحريم الخلوة فهن كسائر نساء المسلمين أجنبيات، ولذلك أمرهن الله بالحجاب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] أمرهن الله بالحجاب عن رجال الأمة مع أنهن أمهاتهم، لكن دل على أن هذا ليس في المحرمية، لسن أمهاتهن في المحرمية ولا في ترك الحجاب ولا في الخلوة، فإنهن في هذه الأمور كسائر نساء المسلمين مأمورات بالحجاب ومنهيات عن الخلوة مع أحد.

وأولهن: خديجة بنت خويلد - رضي الله تعالى عنها - تزوجها في مكة قبل البعثة، ثم أنزل الله عليه القرآن وبعثه وهي معه، ولما وجد النبي ﷺ من نزول الملك عليه والوحي عليه في أول مرة لما وجد شيئاً من الشدة عليه، وتخوف ﷺ على نفسه لأنه وجد شيئاً لم يعهده ولا يعرفه، فتخوف فذكر ذلك لها، قال: «قد خشيت على نفسي» قالت: كلا، والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل =

. . . .

= الكلَّ وتعين على نوائب الدهر(*). فما زالت توطنه حتى هدأ من روعه ﷺ. ثم وقفت معه بالنصرة والتأييد في حياتها رضي الله عنها في مكة وقت شدة أذى الكفار، وهي إلى جنب الرسول ﷺ.

وكان ﷺ يحبها حباً شديداً ولم يتزوج عليها في حياتها غيرها، وأولاده كلهم منها، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي تسراها رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يثني عليها بعد موتها، وكان يكرم صديقاتها بعد وفاتها ويذكرها بالخير بعد وفاتها، حتى إن بعض أزواج النبي ﷺ أصابتهن غيرة من ذكره ﷺ لخديجة.

والثانية: سودة بنت زمعة، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة في مكة أيضاً، وبقيت في عصمة النبي ﷺ، ولما أراد ﷺ أن يطلقها قالت: أنا أُسقط عنك حقي وأهبه لعائشة وأبقى في عصمتك. تريد ذلك شرف أمهات المؤمنين، فلم يطلقها ﷺ ومات قبلها، وبقيت في عصمته ﷺ.

والثالثة: زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها ولم تلبث معه إلا قليلاً وتوفيت. ولقد توفي من نسائه وهو حي ثنتان: خديجة وزينب بنت خزيمة الهلالية، وتوفيتا قبله - رضي الله تعالى عنهما.

والرابعة: عائشة، الصديقة بنت الصديق - رضي الله تعالى عنها - تزوجها النبي ﷺ بعد الهجرة ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وحصل لها من الفضائل مع النبي ﷺ ما لم =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/١١٢ (٢٥٩٥٩)، والبخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة.

. . . .

= يحصل لغيرها من أن الوحي كان ينزل على النبي في فراشها، وكان النبي ﷺ يحبها حباً شديداً، فهي أحب النساء إليه، وأبوها أحب الرجال إليه ﷺ، ولما مرض ﷺ استأذن زوجاته في أن يُمرض في بيت عائشة فأذّن له، وتوفي ﷺ ورأسه في حجر عائشة - رضي الله تعالى عنها -.

وروت عن النبي ﷺ من الأحاديث والأحكام الشرعية الشيء الكثير فكانت فقيهة النساء، وكانت تعد من المفتين من صحابة رسول الله ﷺ، يرجع إليها الصحابة في الرواية ويرجعون إليها أيضاً في الفتوى.

واختلف العلماء أيهما أفضل: خديجة أو عائشة؟ والصواب أن لكل واحدة منهن فضائل ليست عند الأخرى، وأنهن لا يظهر التفضيل بينهن؛ لأن لكل واحدة فضائل تعادل فضائل الأخرى، فهذه لها فضل السبق والناصرة للرسول ﷺ وأنها أم أولاده، وعائشة لها فضل التعلم والتلقي عن الرسول ﷺ وتعليم الأمة أمور دينها وكانوا يرجعون إليها، وفضل تقريب الرسول ﷺ لها ومحبته لها المحبة الشديدة، هذا يدل على فضلها - رضي الله تعالى عنها -.

والخامسة: ميمونة بنت الحارث الهلالية، رضي الله تعالى عنها.

والسادسة: حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنها.

والسابعة: زينب بنت جحش - رضي الله تعالى عنها - التي زوجها الله - جل وعلا - من فوق سبع سماوات، تولى الله عقد نكاحها لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ =

المطهرات المبرآت من كل سوء[1]، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق[2]

= [الأحزاب: ٣٧] فالذي عقد لها هو رب العزة - سبحانه وتعالى - وكانت تفتخر على نساء الرسول ﷺ بذلك، تقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات(*).

والثامنة: جويرية بنت الحارث - رضي الله تعالى عنها -.

والتاسعة: أم سلمة - رضي الله تعالى عنها -.

والعاشرة: أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان بن الحارث - رضي الله تعالى عنها -.

والحادية عشرة: صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله تعالى عنها - توفي قبله منهن اثنتان، وتوفي هو ﷺ عن تسع منهن.

(١) لأن الله لم يكن ليختار لنبيه ﷺ إلا أطيب النساء وأفضل النساء، قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] فلم يكن الله ليختار لرسوله ﷺ من النساء إلا أفضل النساء. واختيار الله لهن لرسوله دليل على فضلهن على غيرهن من نساء الأمة.

(٢) اختلف في أفضل أزواج النبي ﷺ هل هي خديجة أو عائشة، على قولين، والصحيح التوقف في هذا وأن لكل واحدة من الفضل ما ليس عند الأخرى.

(*) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس بن مالك.

التي برأها الله في كتابه[1]، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة. فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم[2].

ومعاوية خال المؤمنين[3]

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] ومن لم يبرئها فهو كافر لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين ولما اشتد بها الأمر - رضي الله عنها - قالت: ما كنت أتوقع أن الله سينزل فيّ قرآنا يُتلى، ولكن كنت أتوقع أن يأتي رؤيا لرسول الله ﷺ يبرئني الله بها(*)، لكن أنزل الله القرآن العظيم الذي يُتلى إلى يوم القيامة في فضلها وبراءتها - رضي الله عنها -.

(٢) لأنه مكذب لله ورسوله كما تفعله الرافضة قبحهم الله، فإنهم يثيرون الفتن لأنهم منافقون ليسوا مسلمين، يظهرون الإسلام وهم منافقون في الدرك الأسفل من النار، فهم يثيرون هذه الإشاعة في كتبهم وفيما بينهم.

(٣) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه له فضائل، منها أنه خال المؤمنين؛ لأن أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، فهي من أمهات المؤمنين، وهو أخوها فيكون خالاً للمؤمنين في الفضل لا في النسب. =

(*) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) وانظر شرحه في «فتح الباري» ٨/ ٥٧٤-٦١١.

= ومن فضائله - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ اتخذه كاتباً للوحي، فكان من جملة كتاب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، ولا يختار الله لكتابة الوحي لرسوله إلا الأمين، فهو من كتّاب الوحي - رضي الله عنه - وقد جاهد مع رسول الله ﷺ وتولى الإمارة على الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما حصلت الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه وقُتل علي رضي الله عنه وبويع للحسن بن علي من بعد أبيه ورأى الحسن أن الأمر لا يتم له، عند ذلك تنازل لمعاوية عن الخلافة من أجل حقن دماء المسلمين وجمع الكلمة، وهذا ذكره النبي ﷺ في خبر من المعجزات، حين قال ﷺ في الحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»(*). فكان في تنازله - رضي الله عنه - لمعاوية مصالح عظيمة للمسلمين، فاجتمعت الكلمة على معاوية، وساس معاوية رضي الله عنه الناس بالحكمة والسياسة الشرعية. وساسهم بالعدل - رضي الله تعالى عنه - آتاه الله العقل والحكمة والرفق بالمسلمين، وصار شوكة في حلوق الفرق الضالة، شجى في حلوق الفرق الضالة وسد الطريق عليهم، وسُمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية - رضي الله عن الجميع - سماه المسلمون عام الجماعة، لأنه انعقدت فيه =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٤/٣٣ (٢٠٣٩٢)، والبخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة.

وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه[1].

= الجماعة وتوحدت فيه الكلمة، وذلك لفضل الحسن - رضي الله تعالى عنه - آثر مصلحة المسلمين وجمع كلمة المسلمين على مصلحته هو، تحقق فيه قول الرسول: «وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين».

(١) ومعاوية رضي الله عنه له فضائل:

أولاً: أنه من صحابة الرسول ﷺ، فله فضل الصحبة.

وثانياً: أنه أخو زوجة النبي ﷺ أم حبيبة، فهو خال المؤمنين.

وثالثاً: أنه جاهد مع رسول الله ﷺ.

ورابعاً: أنه أمّره عمر بن الخطاب الخليفة الثاني على إقليم عظيم من أقاليم المسلمين وهو الشام، وساسه خير سياسة وأحبه الناس حباً عظيماً لحسن سياسته- رضي الله تعالى عنه -.

وخامساً: أنه جمع الله به بين المسلمين، ودرأ به الفتنة التي كانت مشتعلة من مقتل عثمان رضي الله عنه إلى تنازل الحسن، كانت الفتن مشتعلة بين المسلمين.

سادساً ومن فضائله أنه كاتب الوحي، ولم يكن الله ليختار لكتابة الوحي لرسوله إلا الأمين.

حق ولاة الأمر على رعاياهم

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم[1]. ما لم يأمروا بمعصية الله[2]، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله[3]، ومن ولي الخلافة،

---

(١) هذا مكمل لما سبق (ص٢٤٤-٢٤٩) (من وجوب الجهاد والحج مع كل إمام من أئمة المسلمين براً كان أو فاجراً) وكذلك السمع والطاعة، قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»(*) السمع والطاعة لولاة الأمور، وهذا في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين مذهب أهل السنة والجماعة، وعدم السمع والطاعة لهم مذهب المبتدعة.

(٢) ما لم يأمروا بمعصية الله من فِعْل محرم أوة ترك واجب، فإذا أمروا بمعصية لا يطاعون في تلك المعصية.، وتبقى طاعتهم فيما عاداها، وهذا ليس معناه أنهم إذا أمروا بمعصية تنحل ولايتهم، أو يجوز الخروج عليهم، لكن نتجنب المعصية التي أمرونا بها، ونلزم الطاعة فيما عداها من الأمور التي ليس فيها معصية.

(٣) لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(**) سبحانه =

(*) سلف تخريجه ص٢٤٥.

(**)أخرجه البغوي في «شرح السنة» ١٠/ ٤٤ من حديث النواس بن سمعان. ويشهد له ما ورد في «مسند أحمد» من حديث علي (١٠٩٥)، و(٢٠٦٥٣) و(٢٠٦٥٦) من حديث الحكم بن عمرو الغفاري.

واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين[1]. ومن السنة هجران أهل البدع[2]

= وتعالى، لكن ليس معنى ذلك أنهم إذا أمروا بمعصية دون الشرك أننا نخلع أيدينا من طاعتهم، بل نتجنب المعصية ونلزم الطاعة.

(١) الخلافة أو الولاية أو الإمامة في الإسلام تنعقد بأحد ثلاثة أمور.

الأول: اختيار أهل الحل والعقد له، كما حصل لأبي بكر - رضي الله تعالى عنه -فإن بيعته تمت، بإجماع أهل الحل والعقد.

ثانياً: إذا عهد ولي الأمر إلى أحد من بعده فإنه يلزم طاعته في ذلك، كما عهد أبو بكر إلى عمر.

الثالث: إذا تغلب على المسلمين بسيفه وأخضعهم لطاعته، كما حصل لعبد الملك بن مروان.، وغيره من ملوك المسلمين الذين يُخضعون الناس بالسيف حتى ينقادوا لهم.، يلزم المسلمين طاعتهم في ذلك لأجل جمع الكلمة وتجنيب المسلمين سفك الدماء واختلاف الكلمة. بهذه الأمور الثلاثة تنعقد الولاية لولي الأمر.

(٢) قال رحمه الله: (ومن السنة) أي: سنة رسول الله ﷺ التي هي طريقته عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وتقريراته، هذا هو المراد بالسنة ها هنا، وليس المراد بالسنة المستحب؛ لأن هجران أهل البدع واجب وليس بمستحب فقط، وإنما هو واجب.

والسنة في الأصل تطلق ويراد بها طريقة الرسول ﷺ وقد تطلق ويراد بها المستحب، ولكن الغالب أن المراد بها المعنى الأول، فإذا قيل: =

. . . .

من السنة كذا، فمعناه أنه من طريقة الرسول ﷺ.

(هجر أهل البدع) الهجر: معناه الترك، ومنه الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فراراً بالدين، سميت هجرة لأنها ترك للأوطان من أجل الفرار بالدين من الفتنة، قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] والرجز: الأصنام، واهجر: يعني اترك، أي: اترك الأصنام وعبادتها وأهلها، وقال عليه الصلاة والسلام: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(*) يعني ترك ما نهى الله عنه، فالهجرة ترك، وهجران أهل البدع يعني ترك مصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم والتعلم منهم، إلا على طريق المناصحة والبيان، وأما على طريق المؤانسة والمحبة فإن هذا لا يجوز؛ لأن فيه رضاً بما هم عليه من البدع وتشجيعاً لهم، وفيه إقرار لهم على ما هم عليه، والواجب هجرهم حتى يعرف الناس شرهم ويبتعدوا عنهم؛ لأن الغالب أن المبتدع لا يقبل النصيحة، ولا يتوب إلى الله - عز وجل - لأنه يرى أن ما هو عليه هو الحق، يزينه له الشيطان، فقلّ أن يقبل النصيحة وقل أن يتوب، ولهذا جاء في الأثر أن البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن المبتدع لا يتوب عن بدعته، وأما العاصي فإنه يعلم أن ما فعله حرام، فيكون خجلاً، يوبخ نفسه ثم يتوب إلى الله - عز وجل - إنه قريب من التوبة، خلاف المبتدع فإنه يرى أن ما هو عليه هو الحق فلا يرجع عن بدعته، ويرى أن ما هو عليه مشروع.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١١/٦٦ (٥٦١٥) والبخاري (١٠)، وأبو داود (٢٤٨١) من حديث عبد الله بن عمرو.

. . . .

= والبدعة: هي إحداث شيء في الدين ليس منه على سبيل التقرب إلى الله - عز وجل - قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(*) وفي رواية «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(**) وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(***).

إن الله تعالى لا يرضى أن يُتَقرَّب إليه إلا بما شرع؛ لأن الدين كَمل - ولله الحمد - ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فما توفي رسول الله ﷺ إلا بعد أن أكمل الله به الدين، فلم يبق مجال للزيادات والاستحسانات، فمن ابتدع بدعة فقد اتهم الدين بأنه ناقص، وكذب قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

والبدعة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول بدعة أصلية: كأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الدين، كإحداث بدعة الاحتفال بالمولد، هذه لا أصل لها في الدين، لا موالد الرسل ولا موالد غيرهم من الأولياء والصالحين، وإن حسنوها ورغبوا فيها وأشاعوا بأنها خير، هي بدعة وشر، هي شر وإن قالوا: إنها بدعة حسنة، لأن هذا مصادم لقول الرسول ﷺ: «فإن كل محدثة =

(*) سلف تخريجه ص٦٠.

(**) سلف تخريجه ص٦٠.

(***) سلف تخريجه ص٥٨.

. . . .

= بدعة وكل بدعة ضلالة»(*) فالبدع كلها ضلالة بنص حديث الرسول ﷺ، فالذي يدعي أن هناك بدعة حسنة مُكَذِّب لله ولرسوله، ليس في الدين بدعة حسنة بل الدين ما شرعه الله سبحانه وتعالى، أما البدع فإنها من أهواء الشياطين.

وإذا فتحنا المجال تغير الدين بهذه الطريقة، كل يحدث ما يستحسن وكل يعمل ما يشاء ثم يُقضى على السنن، ولا تجتمع السنن والبدع كما جاء في الحديث: «ما أحدث الناس بدعة إلا رُفع مثلها من السنة»(**) فيتحول الدين من سنن إلى بدع ومحدثات، فلا يُفتح المجال أبداً للبدع ولا يتساهل فيها أبداً.

القسم الثاني بدعة نسبية: بأن أصل الشيء مشروع لكن يخصص بزمان أو بمكان لم يشرعه الله ولا رسوله، مثلاً صيام بعض الأيام خاصة، مثل صيام يوم النصف من شعبان أو صيام شهر رجب، تخصيص رجب بالصوم أو صيام النصف من شعبان بدعة، الصيام أصله مشروع لكن إضافة تخصيص الوقت بدون دليل، بأن تخصص وقتاً للصوم بدون دليل أو تخصص مكاناً للعبادة بدون دليل، هذه بدعة في الدين ما أنزل الله بها من سلطان، أن تخصص مكاناً أو زماناً للعبادات الشرعية هذا لا أصل له في الدين، وهو يكون بدعة إضافية؛ لأنك أضفت إلى العبادة =

(*) سلف تخريجه ص٥٨.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ١٧٢-١٧٣ (١٦٩٧٠) من حديث غضيف بن الحارث الثمالي.

. . . .

= المشروعة، شيئاً من البدعة، وسواء كانت البدعة أصلية أو كانت إضافية فإنها مردودة إلى صاحبها ويجب التحذير منها ومن أصحابها.

جاء أبو موسى رضي الله عنه وكان أميراً على الكوفة، إلى ابن مسعود وكان هو المفتي في الكوفة والقاضي، فقال: يا أبا عبد الرحمن رأيت شيئاً استنكرته، قال: وما هو؟، قال: سوف تراه، فذهبا إلى المسجد فوجدا قوماً مجتمعين وعندهم أكوام من الحصى وفيهم واحد يقول لهم: سبحوا كذا وكذا، ويعدون من الحصى، هللوا كذا وكذا، كبروا كذا وكذا، ويكبرون ويهللون ويسبحون ويعدون بالحصى أعداداً معينة كذا وكذا. فوقف عليهم ابن مسعود فقال: لأنتم أهدى من أصحاب رسول الله ﷺ أو أنتم مبتدعون بدعة عظيمة، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الرحمن، نحن نذكر الله ونريد الخير، قال: وكم مريد للخير لا يدركه، ثم أنكر عليهم هذا العمل.

التسبيح والتهليل والتكبير مطلوب، لكن بدون هذه الصفة، بدون هذا الاجتماع، وبدون عدد محدد إلا بدليل، التهليلات والتسبيحات والتكبرات لا تحدد إلا بدليل من الرسول ﷺ. فأنكر عليهم رضي الله عنه هذه الصفة مع أنهم يذكرون الله في المسجد، لكن هذه الصفة التي أحدثوها هي البدعة، لم ينكر عليهم الذكر، ولكن أنكر عليهم هذه الصفات المحدثة، وغلظ عليهم في ذلك، وأنكر عليهم وفرقهم. قال الراوي: فرأيت هؤلاء أو كثيراً منهم يطاعنوننا في النهروان. بدعتهم تحولت بهم إلى مذهب الخوارج حيث قاتلوا أهل السنة في وقعة النهروان، التي كانت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله =

ومباينتهم[1]،

= عنه وبين الخوارج، صاروا مع الخوارج -. هذا مآل البدعة - والعياذ بالله - وكيف تذهب بصاحبها.

فمن طريقة أهل السنة، - هجران أهل البدعة حتى يرتدعوا عن بدعتهم؛ لأن في عدم هجرتهم تشجيعاً لهم وإقراراً لهم وتغريراً بالناس أيضاً أن ينخدعوا بهم، فإذا هجرهم أهل العلم والقدوة فالناس يتركونهم، وهم أيضاً يخجلون أمام الناس، ولهذا كانت البدع مغمورة في عهد الصحابة والقرون المفضلة، وإنما ظهرت بعد القرن الرابع، بعد مضي القرون المفضلة ظهرت البدع في الناس.

ولا يقال ما يقوله بعض الجهال الآن: إن المبتدع تذكر حسناته، ويبين ما عنده من البدع، وما يسمونه الموازنات.

فهذا فيه ترويج للبدع، نحن لم نؤمر بعدد الحسنات، هذا إلى الله سبحانه وتعالى، ثم ما الذي يدرينا عن حسناتهم، وأنها حسنات عند الله، ما الذي يدرينا عنها؟ لم نؤمر بهذا، وإنما أُمرنا أن ننبه على الخطأ ليجتنبه الناس وليتوب المخطىء إلى الله - عز وجل - إذا أراد الله به خيراً، أما أن تذكر حسناته ومزاياه فهذا يهون البدعة عند الناس.

(١) ومباينتهم: يعني مفارقتهم وعدم مصاحبتهم ومجالستهم، من أجل أن يحذرهم الناس ومن أجل أن يخجلوا هم، ويكونوا ضعفاء في المجتمع، كما كان ذلك في عهد القرون المفضلة، كان المبتدعة مغمورين لا قيمة لهم، ولا يؤبه بهم، وإنما ظهروا بعد مضي القرون المفضلة.

وترك الجدال والخصومات في الدين[1].

---

(١) كذلك من السنة ترك الخصومات في الدين، الدين ولله الحمد واضح بيّنه الله ورسوله، والواجب علينا الامتثال والعمل، ولا نتخاصم في أمور العبادات وأمور الدين، ونناقش لماذا شرع الله كذا؟ ولماذا أمر الله بكذا؟ وما هي الفائدة في كذا؟ كما يفعل بعض الناس، يمضون وقتهم في هذه الأمور لماذا كذا ولماذا كذا؟ ما الحكمة في كذا؟ كأنه عنده شك، فالواجب الامتثال، إذا صح الدليل عن الله وعن رسوله ﷺ فواجبك الامتثال وترك الجدال والخصومة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، إن عرفت الحكمة فالحمد لله، وإن لم تعرفها فلست بمكلف بالبحث عن الحكمة، أنت مكلف بمعرفة الدليل، وما دام قد عرفت الدليل، وجب عليك الامتثال، ولا يتوقف امتثالك على معرفة الحكمة.

هذا سبيل المؤمنين، أما سبيل أهل الشك وأهل الضلال فهو الجدال والخصومات والنقاش مع أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ وإضاعة الوقت في هذه الأمور، وتنقص الأوامر والنواهي عندهم، فهذا من عمل الشيطان - والعياذ بالله - فهذا في الجدال الذي لا فائدة من ورائه، أما الجدال الذي فيه فائدة في إظهار الدين ورد الشبه فهذا واجب، قال تعالى لنبيه: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فالجدال إذا كان المقصود منه إظهار الحق، وقمع الباطل، ورد الشبه، فهذا جدال محمود، لأنه لبيان الحق وحماية الدين، أما الجدال الذي يقصد منه التعسف والتكلف وإظهار =

وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم[1].

= الشخصية عند الناس، فهذا لا يجوز لأنه لا فائدة من ورائه بل يوغر الصدور ويوقع العداوة بين الناس.

فالجدال الذي لا فائدة من ورائه منهي عنه.

في عهد عمر ظهر رجل يقال له صَبِيغ كان يجادل في بعض الأمور، يسأل عن متشابه القرآن، فاستدعاه عمر رضي الله عنه وضربه ثم أجلاه من المدينة حتى تاب إلى الله -عز وجل- ورجع عن ما هو عليه[*]. هذا دليل على أن الذي ليس له هم إلا الجدال والمناقشات في أمور العبادات والتشكيك في أمور الدين، أن هذا رجل سوء، ينبغي أن يؤدب ويمنع من هذه الأمور والتظاهر بها أمام الناس.

ويدخل في ذلك ما يعمله بعض الجهال الآن من التشكيك في الأحاديث وتضعيفها، ويبثون هذا بين الناس والعوام، العوام ما مصلحتهم في هذا؟ هذا يشكك الناس في أمور الدين ويشككهم في السنة، لا يُظهر هذا أمام الناس وأمام الجهال والمبتدئين في طلب العلم، هذا إنما يكون من شؤون العلماء المتخصصين في أمور الجرح والتعديل وأمور الشريعة، ويكون بينهم، ولا يظهر للناس وأمام الناس، فيجب الحذر من هذه الطريقة.

(١) هذا عود على ما سبق، فإذا كان الواجب هجر المبتدعة فإنه يجب هجر كتبهم أيضاً؛ لأنهم ربما يكونون قد ماتوا وليس هم بين =

(*) أنظر ما سلف ص١٠٥، والتعليق (*).

. . . .

= أظهرنا، ماتوا ولكن كتبهم بقيت، وكثير كتب المبتدعة باقية، فلا يجوز للإنسان المبتدىء الذي ليس عنده أهلية أن يطلع على هذه الكتب؛ لأنه يغتر بما فيها وتروج عليه، أما الإنسان المتمكن في العلم، الراسخ في العلم، فإن له أن يطلع على هذه الكتب من أجل أن يرد عليها ويُحذر الناس مما فيها، أما من ليست عنده أهلية علمية يعرف بها الحق من الباطل والخطأ من الصواب فليس له أن يطالع في كتب أهل البدع وكتب الفرق الضالة؛ لئلا تدخل في فكره وفي عقيدته لأنه جاهل. هي قد يكون لها بريق ولها عبارات رشيقة تضر الإنسان الذي ليس عنده بصيرة، لأن الغالب أن أهل الجدل يعطون الفصاحة والشقاشق(*) من أجل الفتنة والعياذ بالله، قال الله - جل وعلا - في المنافقين: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] لأنهم يحسنون القول، حتى إن الذي يسمعهم يظن أنهم على صواب ينمقون الكلام والحجج، ويحسنون صياغة الألفاظ، وهم منافقون في الدرك الاسفل من النار. والشاعر يقول:

في زخرف القول تزيين لباطله   والحق قد يعتريه سوء تعبير =

(*) أورد الزبيدي في «تاج العروس» ٢٥/٥٢١ (شقق) ما يلي: وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أن رجلاً خطب فأكثر، فقال عمر: «إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان» أي: مما يتكلم به الشيطان؛ لما يدخل فيه من الكذب والباطل،. وقال الأزهري: شبه الذي يتفيهق في كلام ويسرده سرداً، لا يبالي ما قال من صدق أو كذب بالشيطان وإسخاطه ربه. ويقال للماهر بالكلام هو أهرت الشِّقْشِقَة، وجمع الشقشقة: شقاشق.

. . . .

= يقول الله - جل وعلا -: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فالزخرف أصله التزيين والتنميق، فأصحاب الضلال في الغالب عندهم تزويق للعبارات وتنميق في خطبهم وفي محاضراتهم وفي كتبهم، . فإذا سمعها أو قرأها الإنسان الجاهل انطلت عليه وتمكنت من القلب، فلذلك يحذر من مطالعة كتب أهل البدع، والاستماع إليهم في دروسهم أو محاضراتهم أو برامجهم، يحذر الإنسان من الاستماع إليهم إلا على وجه يريد الإنكار عليهم وهو يقدر على ذلك، ويعرف الحق من الباطل.

فهذا مقتضى التعامل مع أهل البدع وكتبهم، بعض الناس يقولون: اطبعوا كتبهم وروجوها لأجل الثقافة، وهذه آراؤهم والناس أحرار في آرائهم وفي أن يبدوا ما عندهم. نقول لهم: هذا لا يجوز لأنه فتح باب شر على المسلمين، بل يجب أن تصادر كتب أهل البدع وكتب أهل الضلال، أن تصادر من أسواق المسلمين ومن مكتباتهم ومن متناول أيديهم؛ لأنها سموم مثل ما يُحجر على الناس في السموم، وتُمنع السموم من الانتشار، فهذه الكتب أضر - والعياذ بالله - كذلك كما يحمى الناس ويحجر على المرضى من أجل صحة أبدانهم، فهذا أولى أن يحجر عليه؛ لأن السم يغير الأبدان، وكتاب الضلال يغير الإيمان والعقول، فهو أخطر وأشد فيجب الحجر عليه من أجل سلامة الدين والعقيدة. =

وكل محدثة في الدين بدعة[1].

فلا نتساهل في كتب أهل البدع وكتب أهل الضلال ونقول: هذه ثقافة، والإنسان يصبح عنده اتساع فكر وعقل لا يضيق، هذا كله من الدعاية للباطل. فالواجب أن يُحذر من أهل البدع، ويُحذر من سماع كلامهم، ويُحذر من كتبهم، بقاء كتبهم من بعدهم بلية، لا نقول: إنهم ماتوا وذهبوا، هم وإن ماتوا بأبدانهم إلا أن أفكارهم موجودة في هذه الكتب ولها باعة وزبائن يروجونها. فيجب الحذر من ذلك غاية الحذر، فإنها خطر يهدد المسلمين.

(١) لما حذر من البدع والمبتدعة أراد أن يبين ما هي البدعة؟ قال: (كل محدثة في الدين بدعة) لأن الدين لا يقبل البدع، الدين هو ما شرعه الله ورسوله فقط، ولا يقبل ما شرعه فلان أو قاله فلان إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كل محدثة في الدين فإنها بدعة.

أما المحدثات في أمور العادات وأمور المنافع فالأصل فيها الإباحة - والحمد لله - حدث أشياء من الصناعات والاختراعات لم تكن موجودة من قبل، لا نقول: إن هذه بدع، بل نقول هذه مما أباحها الله سبحانه وتعالى؛ لأن هذه ليست من أمور الدين هذه من أمور العادات وأمور المصالح التي خلقها الله لعباده، فنحن نركب الطائرة والسيارة والباخرة ونستعمل مكبرات الصوت والمسجلات، كل هذه مخترعات ليست من الدين إنما هي وسائل نفع للناس، ومن استخدمها في الخير، صارت نعمة وعوناً على طاعة الله، ومن استعملها في الشر فهذه من سوء تصرفه هو، وإلا فهي مصالح للناس.

. . . .

فالحاصل أن البدع هي ما أُحدث في الدين، أما ما أُحدث في أمور العادات وأمور الصناعات وأمور الدنيا، هذه ليست من البدع.

الصحابة كانوا يجاهدون بالرمح وبالسهام والنبل والسيوف، والآن حدث ما تعلمون من الأسلحة المتطورة، الصواريخ والطائرات والدبابات والقنابل، حدث أشياء لم تكن موجودة من قبل، هل نقول: هذه بدع ولا نريدها؟ لا.. يجب علينا أن نأخذ ما يعيننا على قمع عدونا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] من قوة: هذه نكرة في سياق الأمر، فتعم كل قوة وفي كل وقت بحسبه وإمكانيته. ولو بقينا على الرمح والنبل والسيف مع وجود هذه الأسلحة المدمرة والفتاكة لما أغنت عنا شيئاً، يمكن أن تدفع شيئاً يسيراً، لكن لا تدفع هجوم العدو، وقوة العدو لا تدفع إلا بمثلها أو أشد منها، ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ قال: ما استطعتم، ولم يحدد ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ لأن الخيل فيها الخير إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»(*) فهي ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] هناك أعداء مندسون بيننا لا نعلمهم، إذا أعددنا القوة أغظنا العدو الخارجي والعدو الداخلي، أما إذا لم نعد القوة فرح العدو الخارجي =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٢/٩٨ (١٩٣٥٤)، والبخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣) (٩٩) من حديث عروة بن أبي الجعد البارقي.

وكلّ مُتَّسِمٍ بغير الإسلام مبتدعٌ[1]. كالرافضة[2]

= والعدو الداخلي فلا بد من القوتين: قوة الحجة، وذلك بالعلم النافع، وقوة السلاح وذلك بإعداد آلات الجهاد المتطورة في كل زمان بحسبه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. أما المنافقون فإنهم يُجاهدون بالحجة واللسان، وأما الكافرون، فإنهم يجاهدون بالسيف والسنان.

(١) ومن البدع أيضاً: التسمي بغير الإسلام والسنة، كالذي ينتسب إلى مبدأ أو إلى مذهب أو إلى شخص غير رسول الله ﷺ، فالانتساب إنما يكون إلى أهل السنة والجماعة والاتباع لرسول الله ﷺ، هذا هو الانتساب الصحيح، أما الانتساب لأهل الفرق والنحل والمذاهب والمبادىء المخالفة للكتاب والسنة فإن هذا ضلال.

(٢) كالرافضة: الرافضة طائفة من الشيعة يقال لهم: الرافضة، ويقال لهم: الجعفرية والموسوية، سموا بالرافضة لأنهم جاؤوا إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر. قال: لا أتبرأ منهما بل هما صاحبا جدي ووزيراه - يعني رسول الله ﷺ - ومستشاراه. قالوا: إذاً نرفضك. يعني نتركك ولا نتبعك. فسموا بالرافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي من أئمة أهل البيت.

والذين ينتسبون إلى زيد من الشيعة، يقال لهم: الزيدية، والذين ينتسبون إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، هؤلاء يقال لهم: الجعفرية، وهؤلاء منتسبون فقط، ليسوا على مذهب =

والجهمية[1].

= جعفر الصادق - رحمه الله - لأنه من علماء أهل السنة ومن علماء السلف. فهم ينتسبون إليه مجرد انتساب ولا يتبعونه فيما هو عليه من مذهب أهل السنة والجماعة، ويكذبون عليه. كل كتبهم مشحونة بالكذب على أبي عبد الله.

وعلى كل حال نحن لسنا مأمورين بالانتساب إلى جعفر أو إلى زيد أو إلى فلان أو علان، لا ننتسب إلا إلى رسول الله ﷺ، هذا هو الذي نحن مأمورون بالانتساب إليه.

(١) الجهمية: هؤلاء أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي وقيل: الترمذي صاحب الأباطيل والكفريات - والعياذ بالله - فهو ينفي الأسماء والصفات عن الله - عز وجل - يقول بالجبر، وأن العباد مجبورون على أعمالهم وليس لهم اختيار ولا قدرة، وعنده الإرجاء وهو أن الإيمان مجرد المعرفة في القلب ولو لم يصدقه العمل، ولو لم ينطق به اللسان، ولو لم يعمل ما دام يعرف أن الله ربه وأن محمداً رسوله، يعرف هذا بقلبه فهو مؤمن، ولا يُشترط العمل ولا القول ولا التصديق، يكفي مجرد المعرفة في القلب. هذا مذهبه في الإرجاء - والعياذ بالله -.

فهو جمع بين خبائث: جبر وإرجاء وتجهم، تجهم في الصفات وجبر في القدر وإرجاء في الإيمان، ويقول بخلق القرآن، كلها خبائث - والعياذ بالله - هذا هو الجهم بن صفوان. وهو تلقى مذهبه عن الجعد بن درهم، والجعد بن درهم تلقاه عن أبان عن طالوت =

والخوارج[1]

= اليهوديين. فمذهبهم منحدر من مذهب اليهود.

(١) الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الراشد، رابع الخلفاء الراشدين، خرجوا عن طاعته، وكفروه والعياذ بالله وقاتلوه، كانوا في الأول يجاهدون معه، ثم إنه لما تم التحكيم بينه وبين أهل الشام في معركة صفين، وذلك بأنهم هم الذين ألحوا على عليّ بقبول التحكيم، فقبله رضي الله عنه مكرهاً، وإلا هو يرى الاستمرار في القتال حتى النهاية، فلما ظهر التحكيم في غير رغبتهم خطؤوا علياً وكفروه وقالوا: أنت حكمت الرجال، والله جل وعلا يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فخرجوا عليه، وشقوا عصا الطاعة، وتجمعوا والتف بعضهم إلى بعض، فقاتلهم علي رضي الله عنه في معركة النهروان، فقتلهم شر قتلة، ونصره الله عليهم، وأراح المسلمين من شرهم، ولكن هذا المذهب باقٍ، ومن مذهبهم تكفير أصحاب الكبائر من هذه الأمة، يقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر، الزاني، والسارق، وشارب الخمر، وغير ذلك من كبائر الذنوب، من فعلها كفر، وخرج من الملة، وهذا - والعياذ بالله - خلاف الحق، خلاف الكتاب والسنة، ومذهب أهل السنة، أن مرتكب الكبية من المسلمين يكون فاسقاً ناقص الإيمان، ولا يكون كافراً، هذا هو المذهب الحق، فهم جمعوا بين جريمتين:

الجريمة الأولى: الخروج عن ولاة الأمور، واعتبار أن هذا من =

والقدرية[1]

= الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو المنكر بعينه، وليس هو معروفاً.

والناحية الثانية: تكفير العصاة من هذه الأمة المحمدية، وبموجب ذلك حكموا على أنفسهم هم بالكفر والخلود في النار؛ لأنهم أيضاً لا يسلمون من الكبائر، خروجهم على ولي الأمر أليس هو من الكبائر؟!! أيضاً ألا يحصل منهم معاصٍ؟ ألا يحصل منهم مخالفات؟ فمعنى هذا أنهم حكموا على أنفسهم بالكفر، والخلود في النار، والعياذ بالله - هؤلاء هم الخوارج.

فكل من ذهب هذا المذهب، وهو شق العصا والخروج على أئمة المسلمين، أو كفر عصاة المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، فإنه من الخوارج في أي زمان، وفي أي مكان.

(١) الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، والإيمان بأن الله قدر ما كان وما يكون في الأزل، وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وأن الله سبحانه وتعالى شاء وأراد كل ما يقع في هذا الكون من خير وشر، وكفر وإيمان، وطاعة ومعصية، وأنه بمشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى، وأن تؤمن بأن الله خالق كل شيء كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، هذا هو الإيمان بالقدر، وأن تعلم وتؤمن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا هو الإيمان بالقدر، وهذا منهج أهل السنة والجماعة. =

والمرجئة[1].

هناك فرقتان تخالفان مذهب أهل السنة والجماعة في أمر القدر:

الفرقة الأولى غلت في إثبات القدر، ونفت قدرة العبد ومشيئته وإرادته، وأنه يعمل بدون مشيئة ولا قدرة ولا إرادة، وإنما هو مجبر على أعماله، ليس فيها اختيار، هؤلاء يقال لهم: الجبرية، غلوا في الإثبات، غلوا في إثبات القدر، ونفوا إرادة العبد ومشيئة العبد.

الفرقة الثانية: القدرية النفاة، الذين غلوا في إثبات قدرة العبد واختيار العبد ومشيئة العبد، ونفوا مشيئة الله ونفوا تقدير الله لأفعال العباد وخلقه لها.

هؤلاء غلوا في جانب، وهؤلاء غلوا في جانب، هؤلاء غلوا في إثبات مشيئة الله وإرادته حتى نفوا مشيئة العبد، وهؤلاء غلوا في إثبات مشيئة العبد ونفوا مشيئة الله وإرادة لله سبحانه وتعالى، وهؤلاء هم القدرية بفرقتيهم الغلاة والنفاة.

ومذهب أهل السنة والجماعة معلوم، وهو إثبات القدر، وأن لله مشيئة وإرادة، وأن كل شيء بمشيئة الله وإرادته، وأن للعبد مشيئة وله إرادة وله اختيار، يثاب عليه أو يعاقب، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم يقال لهم: القدرية؛ لأنهم خالفوا في القدر.

(١) الإرجاء هو التأخير، تقول: أرجأت الشيء بمعنى أخرته، ولما استشار فرعون ملأه في موسى وقومه، ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] يعني أخر شأنه إلى أن تنظر وتأتي بالسحرة، وتجعلهم =

. . . .

= يناظرونه أمام الناس، لأمر أراده الله سبحانه وتعالى، ظنوا أنهم سيتغلبون على موسى، إذا جاؤوا بالسحرة الذين عندهم، وموسى ساحر، سيتغلبون عليه، الله عكس هذا، أراد أن يبيّن أن موسى جاء من عند الله عز وجل، وأن ما معه معجزة من الله سبحانه وتعالى، لا يقابلها السحر، ولهذا في هذا المشهد العظيم ظهر بطلان السحر، وتاب السحرة وخروا سجداً لله عز وجل؛ لأنهم عرفوا أن ما مع موسى حق؛ لأنهم أصحاب فن، وأصحاب خبرة، وأصحاب معرفة بالسحر، عرفوا أن ما مع موسى ليس من صنع البشر، وإنما هو معجزة من الله سبحانه وتعالى، وآية على صدقه فآمنوا به، الشاهد من قوله: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يعني أخره حتى تحصل المناظرة، ويريدون إبطال ما معه أمام الناس، هذا هو الإرجاء. والمراد بالإرجاء هنا: تأخير الأعمال عن الإيمان، يقولون: إن الأعمال لا تدخل في الإيمان، فأخروا الأعمال عن حقيقة الإيمان، ومسمى الإيمان، فجعلوا الأعمال شيئاً، والإيمان شيئاً آخر، هؤلاء هم المرجئة، وهم فرق أربعة:

الفرقة الأولى: الجهمية، الذين يرون أن الإيمان مجرد المعرفة في القلب، ولو لم يعمل شيئاً، ولو لم يعتقد، ولو لم يصدق، ولو لم يقل شيئاً، فهو مؤمن، ما دام يعرف في قلبه، وعلى هذا يكون فرعون مؤمن؛ لأنه يعرف أن ما جاء به موسى حق، ولكن يتظاهر بالإنكار من باب العلو والاستكبار، والعياذ بالله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] فعلى مذهب الجهم والجبرية يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه يعرف بالقلب، وإبليس يكون =

. . . .

= مؤمناً عند هؤلاء؛ لأنه يعرف ، بل صرح ونطق ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ [ص: ٨٢] أثبت لله العزة وحلف بها، فيكون إبليس مؤمناً على مذهب هؤلاء؛ لأنه يعرف، ولا يكفر أحد على وجه الأرض بهذه الطريقة، فهذا مذهب باطل، وهذا أقبح الإرجاء.

الفرقة الثانية: الذين يرون أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، يقولون: لا تكفي المعرفة، لا بد من التصديق بالقلب، ولو لم ينطق بلسانه، ولو لم يعمل بجوارحه، ما دام مصدقاً بقلبه بالله، وبرسوله، وبدينه، فهو مؤمن كامل الإيمان، وهذا قول الأشاعرة، ومن وافقهم من علماء الكلام، فالإيمان عندهم مجرد التصديق بالقلب.

الطائفة الثالثة: الذين يقولون: إن الإيمان مجرد القول، ولو لم يعتقد بقلبه، بل إذا نطق بلسانه فهو مؤمن ولو لم يعتقد بقلبه، وهذا قول الكرامية، وأتباع محمد بن كرام، الذي سيأتي ذكره.

الفرقة الرابعة من المرجئة: الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، والنطق باللسان أما العمل بالجوارح فهذا ليس من الإيمان، وإنما هو شرط للإيمان أو مكمل للإيمان، وليس هو من حقيقة الإيمان، وهؤلاء يقال لهم: مرجئة الفقهاء؛ لأن عليه كثير من الحنفية، هذا مذهبهم أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، وأما الأعمال فلا تدخل في حقيقة الإيمان. =

والمعتزلة[1]،

= إذاً نجد أن المرجئة بجميع فرقهم الأربع كلهم أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وعندهم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وأن إيمان جبريل مثل إيمان أفسق المسلمين، لا يزيد بالإيمان ولا ينقص عندهم، بل بعضهم يقول: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. هذا من فروع مذهبهم الباطل، أما أهل السنة والجماعة فهم يقولون: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فليس إيمان الناس على حد سواء، بعضهم أكمل إيماناً من بعض، وبعضهم أنقص، هذا هو القول الحق الذي يجمع بين الأدلة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

(١) المعتزلة: هم الذين ينتسبون إلى واصل بن عطاء شيخهم ورئيسهم، وكان في مجلس الحسن البصري - رحمه الله - إمام التابعين فسُئل الحسن عن مرتكب الكبيرة، فقال: (هو مؤمن ناقص الإيمان) فقال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: هو مؤمن، ولا أقول: كافر، أقول: هو بمنزلة بين المنزلتين، وإن مات ولم يتب فهو كافر مخلد في النار. واعتزل مجلس الحسن، وانضم إليه طائفة من أتباعه، فسموا بالمعتزلة من ذلك الوقت، ومذهبهم قريب من مذهب الخوارج في الإيمان، يقولون: إن مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان، لكنه لا يدخل في الكفر بل يكون بمنزلة بين منزلتين، وإن مات ولم يتب فهو كافر كما =

والكرّامية[1]، والكُلاّبية[2]. ونظرائهم[3]، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها.

= يقوله الخوارج، وهو مخلد في النار. هذا مذهب المعتزلة.

ومذهبهم في الصفات أيضاً ينفون الصفات، ويؤولونها إلى غير ذلك من آرائهم الباطلة، هؤلاء هم المعتزلة.

(١) الكرامية أتباع محمد بن كرام، وكان يغلو في إثبات الصفات إلى حد التشبيه والتجسيم.

(٢) الكلاّبية: أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، وهذا عليه غالب الأشاعرة. أو كل الأشاعرة اليوم، ينفون غالب الصفات، ولا يثبتون إلا الصفات السبع، أو الأربع عشرة كما يقولون، لأنها كما يقولون: دل عليها العقل، وما عداها لم يدل عليه العقل، وإنما دل عليه السمع فقط، هذا مذهب الكُلاّبية.

(٣) ونظائر هذه الفرق؛ لأنه إنما جاء بنماذج فقط، وإلا فالفرق كثيرة، وتحدث فرق وتتفرع، كما قال ﷺ: «وستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»[*]، قالوا: هذه أصول الفرق، وإلا فتشعباتها وتفرقاتها أكثر من ثلاث وسبعين، ولكن هذه أصولها.

(*) أخرج أحمد بنحوه في «المسند» ٢٨/ ١٣٤ (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث إسناده حسن.

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم[1].

---

(١) الانتساب إلى شخص في أصول الدين غير الرسول ﷺ هذا لا يجوز، والمراد بأصول الدين: العقيدة، لأن العقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، وإنما يتبع فيها الدليل من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فلا مجال للاختلاف فيها، ولهذا لم يختلف فيها السلف الصالح، ولا من جاء بعدهم ممن تبعهم، لم يختلفوا في العقيدة، لأن العقيدة توقيفية مبناها على التسليم والانقياد، بما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فالأئمة لم يختلفوا في العقيدة، لا أئمة التابعين، ولا أئمة من جاء بعدهم، والأئمة الأربعة رحمهم الله لم يختلفوا في العقيدة، العقيدة ليست مجال للاختلاف ولا للاجتهادات، ومن خالف فيها فهو ضال، إنما الاختلاف يقع في مسائل الفروع وهي مسائل الفقه العملية؛ لأن مدارها على الاستنباط، والاجتهاد، ونحن مأمورون بالاجتهاد في مسائل الفقه، والنوازل التي تنزل، والحوادث التي تحدث، نحن مأمورون بالاجتهاد فيها، ومعرفة حكمها في كتاب الله، وسنة رسوله؛ لأنها لم ينص عليها، أما المنصوص عليها فهذه ليس فيها كلام، تحريم الربا، وتحريم الزنا، وتحريم الخمر، وتحريم المسكرات، وتحريم قطيعة الرحم، هذه منصوص عليها لا تحتاج إلى اجتهاد، ومجالها التسليم، هناك نص على حكمها، ليس لنا مجال فيه، المباحات نص الله عليها، أحل الله البيع، البيع ليس فيه مجال للاختلاف؛ لأن الله نص على حله، والأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على منعه من الكتاب والسنة، ومجال الفقهاء ومجال =

. . . .

= المجتهدين، في المسائل الفرعية التي لم ينص على حكمها ولذلك اختلفوا في اجتهاداتهم، وتكونت في ذلك مذاهب من ذلك المذاهب الأربعة: مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك، ومذهب الشافعي، ومذهب أحمد، بمعنى أن كل واحد من هؤلاء الأئمة له طريقة في الاجتهاد والاستنباط، وكلهم يقصد الحق، ويقصد الدليل، ولا يجوز للعالم أن يقلد غيره، ما دام عنده تمكن من معرفة الدليل بنفسه والبحث عن الحكم فإنه يجتهد حسب طاقته، ولا يقلد أحداً، إنما التقليد للعامي والمبتدىء، أما العالم المدرك فهذا يجب عليه أن يجتهد، وما يتوصل إليه اجتهاده يعمل به، فإن أصاب فله أجران: أجر الإصابة، وأجر الاجتهاد، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد، ويغفر الله له الخطأ، ولكن لا يجوز لنا أن نتبعه على هذا الخطأ، هذا الاجتهاد محمود، والاختلاف فيه ليس مذموماً لأنه نتيجة اجتهاد وطلب للحق، لا نتيجة هوى، أما إذا كان الاختلاف نتيجة هوى وشهوة، فهذا لا يجوز، يعني أن الإنسان لا يأخذ إلا ما يوافق هواه أو رغبته، هذا مذموم، أما إن كان عنده أهلية علمية، وقدرة على البحث والتقصي فإنه يجب عليه الاجتهاد ولا يقلد غيره، ليعرف الحكم بنفسه أو يقارب، قال ﷺ: «سددوا وقاربوا»(*) التسديد هو الإصابة، والمقاربة هي مقاربة الإصابة ولو لم يصب، لكن حاول، وبذل جهده وحاول، فهذا الاجتهاد الفقهي الذي دافعه طلب الدليل، وطلب الحكم الشرعي، =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١/٤١٦ (٢٤٩٤١)، والبخاري (٦٤٦٤) و(٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة.

. . . .

= هذا ممدوح، وليس مذموماً، والانتساب إلى أحد الأئمة حنبلي، مالكي، شافعي، حنفي، ليس فيه لوم بشرط أن لا يتعصب، بل إذا تبين له الدليل أخذ به، ولو لم يكن من مذهب إمامه، الحنفي إذا تبين له الدليل عند الشافعي يجب أن يأخذ بقول الشافعي، الحنبلي إذا تبين له الدليل مع مذهب مالك، يجب عليه أن يأخذ بقول مالك؛ لأن الأئمة يوصوننا بذلك، ويقولون: لا تأخذوا بأقوالنا حتى تعرفوا أدلتها، الشافعي يقول: إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط، وإذا صح الحديث فهو مذهبي، والإمام الشافعي أيضاً يقول: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة الرسول ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد. الإمام مالك - رحمه الله - يقول: أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل - يعني أشد جدلاً - تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدل هؤلاء. ويقول رحمه الله: كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر. يعني رسول الله ﷺ، والإمام أحمد يقول: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فيه شيء من الزيغ فيهلك. هذه أقوال الأئمة - رحمهم الله -، يقولون لنا: لا تأخذوا من أقوالنا، إلا ما وافق الدليل، وما خالف الدليل فاتركوه، فليست المسألة مسألة مذاهب، المسألة مسألة اتباع الدليل، لكننا نستفيد من اجتهاد هؤلاء الأئمة لأنها ثروة علمية نستفيد منها، وعلى ضوئها نستنبط، وعلى ضوئها نبحث فهي ثروة علمية =

فإن الاختلاف في الفروع رحمة[1]، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم[2].

= وآلة بأيدينا، فيجب علينا طلب الدليل والأخذ بالدليل من أقوال أئمتنا، ولا حرج على الحنبلي أن يأخذ بقول الشافعي أو العكس، والشافعي يأخذ بقول الحنفي؛ لأنهم كلهم أئمة، وكلهم إخوة، فليست الحنفية فرقة، والحنابلة فرقة، والشافعية فرقة، والمالكية فرقة كفرق الخوارج والمعتزلة والمرجئة، هي فرقة واحدة، كلهم فرقة واحدة على الحق، وقد يخطىء بعضهم في بعض المسائل الاجتهادية، فيترك خطؤه ويأخذ ما أصاب فيه غيره، هذا هو ا لواجب، فيجب معرفة هذا الكلام أيضاً؛ لأنه مهم جداً، وليس هو من الانتساب المذموم الذي نبه عليه فيما مضى، الانتساب للجهمية أو للخوارج أو للمعتزلة أو للشيعة أو للمرجئة.. إلى آخره، ليس هذا منه؛ لأن ذاك اختلاف في الأصول والعقيدة، وهذا اختلاف في الفقه ومسائل الاستنباط، وهذا خير ومجال واسع والحمد لله.

(١) لأن الله وسع على الناس وأمرهم أن يجتهدوا في طلب الحق، ولم يضيق عليهم ويكلفهم بالأخذ بقول واحد بل أمرهم بالاجتهاد، وبذل الوسع في معرفة الحكم الشرعي، والاختلاف في هذا رحمة إذا لم يخالف دليلاً من الكتاب والسنة، فإن خالف فهو عذاب وليس رحمة. وكذلك الاختلاف في العقيدة عذاب وليس رحمة.

(٢) المختلفون فيه، يعني في هذا النوع، وهو الاختلاف الفقهي، المختلفون فيه محمودون لا مذمومون؛ لأنه مأذون لهم في =

مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة[1]، واتفاقهم حجة قاطعة[2].

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، وأن يبقينا على الإسلام والسنة، وأن يجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة،

= الاجتهاد، ولا يمكن للمجتهدين أن يكونوا على وتيرة واحدة، فالمدارك تختلف، والعلوم تختلف، والأحوال تختلف، ومن أراد أن يطلع على ما يشفي في هذا الموضوع فليطالع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ليطالعها وسيعلم الكلام التفصيلي في هذا الموضوع، فنحن لا نجمد على تقليد مذهب معين، ولكننا لا نزهد بما فيه من الخير، وما فيه من الفقه، وما فيه من الأصول التي نستفيد منها.

(١) اختلافهم رحمة، يعني اختلافهم في الفقه، والاستنباط رحمة واسعة، وسع الله على الناس، ولم يأمرهم ويضيق عليهم بأن يأخذوا بقول واحد من المجتهدين يخطىء أو يصيب، لا، هذه رحمة من الله عز وجل.

(٢) لا شك أن الإجماع حجة وهو أحد أصول الأدلة المتفق عليها: أولاً: الكتاب، ثانياً: السنة، ثالثاً: الإجماع، هذه الأصول متفق عليها بين الأمة الإسلامية، والرابع القياس، وهذا محل خلاف، قال به جمهور أهل العلم، وخالف فيه بعض العلماء كالظاهرية ونحوهم، وكذلك هناك أصول مختلف فيها موضعها كتب أصول الفقه. لكن هذه الثلاثة مجمع عليها: الكتاب والسنة والإجماع، هذه متفق عليها.

ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله. آمين، وهذا آخر المعتقد، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً[1]

---

(١) جزاه الله خيراً على ما قدم وأبدى في هذه العقيدة الطيبة، وما بيَّن فيها، ثم ختمها بهذا الدعاء العظيم، الذي نسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا ومنه، وأن يثبتنا وإياكم على الحق إلى يوم نلقاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الخاتمة

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

انتهى هذا الشرح المبارك النافع لفضيلة شيخنا

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

في يوم السبت الموافق ٣/ ١١/ ١٤١٩هـ، نسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وأن يحشره تحت لواء النبي الأمين، وفي زمرة السابقين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الأسئلة والأجوبة في العقيدة

لفضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل هناك ضوابط لأسماء الله الحسنى، وهل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين اسماً التي من أحصاها دخل الجنة كما ورد في الحديث؟

الجواب: ضوابط لأسماء الله؟ كل ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله، فإننا نثبته، وما لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله فإننا ننفيه ولا نؤمن به، هذا هو الضابط.

وأما هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين اسماً التي من أحصاها دخل الجنة كما في الحديث؟ فأسماء الله ليست محصورة ولا يعلمها إلا هو، لكن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة يعني من عرفها وعمل بها دخل الجنة، وليست هي محصورة والعدد لا يقتضي الحصر - وإنما هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، بمعنى عرفها واعتقدها وعمل بمقتضاها.

وأما أسماء الله فلا يعلمها إلا هو، كما قال النبي ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(*). قوله: «أو استأثرت به» دل على أن هناك أسماء لله لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، عندما ذكرتم قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] هناك معنى يدل على الملاصقة للعرش، ومعنى آخر يدل على أنه فوق أعلى منه، بأي المعنيين تُترجم؟

(*) أخرجه أحمد أحمد في «المسند» ٦/٢٤٦ (٣٧١٢) من حديث عبد الله بن مسعود انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

الجواب: تُترجم ما قاله السلف ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: ارتفع وعلا سبحانه وتعالى فوق العرش، فلا تأتي بعبارة من عندك أو بمعنى من عندك، وهكذا تفسير معاني القرآن لا يُترجم القرآن نفسه وإنما يترجم تفسيره هو الذي يُترجم، ولذلك يقال: ترجمة معاني القرآن الكريم. ولا تفسره من عندك أنت أو تأت بألفاظ من عندك. أنت تُترجم ما قاله السلف والعلماء في تفسير الآية ولا تُحدث معنى أو لفظاً من عندك؛ لأنه في بعض التراجم جاؤوا بألفاظ من عندهم فأفسدوا المعنى، مثل: ما جاء به بعض المترجمين على قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال: هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن؛ لأنه لا يعرف من اللباس إلا البنطلون فيفسر بلفظه هو، لم يأت بكلام العلماء والمفسرين.. ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: ١٣] يقول: ألزمناه عصفوراً؛ لأنه لا يعرف من الطائر إلا العصفور فقط. فلا يجوز للمترجم أن يستخدم عبارات من عنده هو أو ألفاظ دارجة ساذجة يفسر بها كلام الله، وإنما يأتي على تفسير القرآن الموثوق من تفسير علماء السلف فيترجمه حرفياً لا يغير منه شيئاً. أما لفظ القرآن فلا يمكن ترجمته أبداً، لأن القرآن معجز لا يمكن أن تأتي بلفظ يعادل لفظ القرآن أبداً من أي لغة؛ لأنه مُعجز.

* * *

سؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل صحيح أن ابن قدامة - رحمه الله - في (روضة الناظر) ذكر أن آيات الصفات من المتشابه، وهل كلامه هناك هو نفس كلامه هنا؟

الجواب: المعتبر كلامه هنا لكنه قسم الصفات إلى قسمين إلى واضح وإلى مشكل، وهذا غلط، الصفات كلها واضحة - ولله الحمد -

لا يوجد فيها مشكل. أما في (روضة الناظر) فإنه درج على كلام الأصوليين المتأخرين من الأشاعرة وغيرهم، ويقال: إن (روضة الناظر) مقتبسة من كتاب الغزالي، (المستصفى) والغزالي أشعري، ربما أنه - رحمه الله - فاتت عليه هذه الجملة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، جاء عن ابن المبارك أنه قال لما سُئل: كيف نعرف ربنا؟ قال: نعرفه بأنه مستو على عرشه فوق سماواته، وقيل له بحدّ؟ قال: نعم بحد. فما الفرق بين الحد الذي نفاه المصنف وبين الحد الذي أثبته ابن المبارك؟

الجواب: ابن المبارك لا يقصد معنى سيئاً أبداً؛ لأنه من أئمة السلف - رحمه الله - وقصده بالحد الحقيقة، يعني أنه استوى على عرشه حقيقة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ذكر أحد أئمة الدعوة في الكويت أن استواء الله على عرشه غير ملامس له واستدل لذلك من كتاب (شرح السنة) حتى إذا سأله الطلبة الذين يشرح لهم الكتاب عن كيفية استواء الله، ذكرأنه غير جالس عليه، ويخالفون من يقول بغير هذا القول، فما هو رأي فضيلتكم في هذا القول، وما كيفية الرد عليهم؟

الجواب: أئمة الدعوة لا يقولون هذا الكلام، يقولون: استوى على العرش ولا يقولون مماسة أو غير مماسة، لأن هذا لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله لا نفيه ولا إثباته، نحن نقول: استوى على العرش حقيقة، ارتفع وعلا فوق العرش سبحانه وتعالى، وهو ليس بحاجة إلى

العرش وإنما العرش هو المحتاج إليه، أما من غير مماسة ومن غير كذا، هذا من الزيادات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، كيف نرد على الذين يحتجون بتأويل بعض العلماء المعتبرين من المتقدمين كالنووي وابن حجر وغيرهم يرحمهم الله، وكيف نعتذر لهؤلاء العلماء الكبار؟

الجواب: نقول هؤلاء علماء كبار، ولهم فضل عظيم في حفظ سنة الرسول ﷺ وإن كان عندهم شيء من الأخطاء في الصفات فهي تُبين وتُوضح ولا يوافقون عليها، ولا يقدح هذا في فضلهم ولا في علمهم ولا يقتدى بهم فيما أخطؤوا فيه.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما حكم قول القائل: شاء القدر، مثل أن يقول: أردت أن أزوره لكن شاء القدر أن لا آتي؟

الجواب: هذا لا يجوز أن يسند الفعل إلى الصفة فيقول: شاء القدر أو شاءت إرادة الله أو ما أشبه ذلك، بل يقول: شاء الله، قدر الله سبحانه وتعالى، تُسند الأفعال إلى الله لا إلى صفاته.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الحلف بحياة الله شرك أم لا؟

الجواب: الحلف بصفات الله توحيد وليس شركاً، لأن الحلف يكون بالله أو بأسمائه أو بصفاته سبحانه وتعالى، والحلف بحياته بوجهه

بكلامه سبحانه وتعالى بآياته القرآنية، الحلف بأسماء الله وصفاته حلف صحيح وهو توحيد.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما حكم تقسيم الصفات إلى: ذاتية، وفعلية، وذاتية فعلية، مع التمثيل جزاكم الله خيراً؟

الجواب: تقسيمها إلى صفات ذاتية مثل الوجه واليدين والأصابع والقدم، كما جاء في الحديث، هذه ذاتية، وأما الفعلية فهي مثل النزول والمجيء والاستواء والخلق والرزق والإحياء والإماتة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي: معكم بعلمه، أليس هذا من التأويل؟

الجواب: ليس من التأويل؛ لأن المعية لها معان في اللغة، ومن معانيها المقارنة من غير مخالطة، المقارنة والمصاحبة، تقول: ما زلنا نمشي والقمر معنا. مع أن القمر في السماء، لكنه معكم يعني مصاحب لكم في سيركم لم يغب عنكم تسيرون على ضوئه. هذا في المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟ فإذا كان القمر معكم وهو في السماء ويصح هذا التعبير في اللغة، فكيف بالخالق - جل وعلا -؟ يكون مع عباده وهو في العلو فوق العرش سبحانه وتعالى، معهم بعلمه وإحاطته.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما رأي فضيلتكم في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعم البدعة هذه).

الجواب: نعرف أن صلاة التراويح ليست بدعة لأن الرسول فعلها بأصحابه ﷺ ثلاث ليالٍ أو أربع ليالٍ، وتخلف عنهم خشية أن تُفرض عليهم، فصلاة التراويح ليست بدعة في الدين وإنما هي سنة سنها الرسول ﷺ، فمراد عمر البدعة اللغوية فقط لا البدعة الشرعية، هكذا أجاب أهل العلم عن ذلك.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل صحيح هذه قاعدة في العقيدة: (ما خطر ببالك فالله مخالف لذلك)؟

الجواب: معناها صحيح، أن الله خلاف ما تتصوره وتتخيله؛ لأنه أعظم من كل شيء، فلا يمكن لأحد أن يتصور ذات الله سبحانه وتعالى، وأسماءه وصفاته لأن الله أعظم من كل شيء. ولهذا يقول الله - جل وعلا -: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، فلا يعلم الله - جل وعلا - إلا الله لا يحيط أحد به سبحانه وتعالى، ولا يتصور بالأفهام ولا يتصور بالعقول.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل تعتبر هذه العبارة من قواعد الأسماء والصفات: إن التشابه في الأسماء لا يلزم منه التماثل في الصفات؟

الجواب: هذا صحيح، التشابه في الأسماء والمعاني لا يلزم منه التشابه في الكيفية، هذا شيء معلوم، أسماء الله وصفاته تشترك في اللفظ مع أسماء المخلوقين وصفاتهم، والمعنى أيضاً مشترك ولكن الكيفية والحقيقة مختلفة.

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل يجوز القول بأن وجه الله في كل مكان وجميع الاتجاهات استدلالاً بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾؟ [البقرة: ١١٥].

الجواب: هذه الآية فيها عدة تفاسير، والتفسير المشهور أن المراد بالوجه هنا القصد، أينما قصدتم واتجهتم في صلاتكم فقد اتجهتم، الوجهة الشرعية وذلك بحسب الأمر، حسب أمر الله - جل وعلا - فإن أمركم الله أن تتجهوا إلى بيت المقدس وجب عليكم الامتثال وصلاتكم صحيحة، وإذا أمركم الله أن تتجهوا إلى الكعبة المشرفة صلاتكم صحيحة، هذا حسب الأوامر الإلهية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، أي: الجهة التي أمر الله بها، الوجه المراد به هنا، أي: جهة أمر الله بالتوجه إليها في الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: المراد بالوجه هنا الجهة التي أمر الله بالتوجه إليها في الصلاة.

وقيل: المراد وجه الله الذي هو صفة من صفاته، كما في قوله ﷺ: «إن الله ينصب وجهه قبل وجه المصلي فإذا صليتم فلا تلتفتوا»(*) فثم وجه الله: أي أن الله - جل وعلا - يواجه المصلي، والله على كل شيء قدير سبحانه وتعالى. وقيل نزلت في النافلة في السفر حيث توجه المسافر. وقيل نزلت فيمن اشتبهت عليهم القبلة فصلوا باجتهادهم.

* * *

(*) قطعة من حديث الحارث الأشعري أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٤٠٤ (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، وهو حديث صحيح.

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة: ومن المتشابه آيات الصفات نحو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، ومنه أحاديث الصفات، ومذهب جمهور أهل السنة ومنهم سفيان الثوري وابن دينار وابن عيينة أنه يجب الإيمان بها ويجب أن نرد المعنى المراد منها إلى الله تعالى وترك تأويلها مع تنزيهه سبحانه عن حقيقتها لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث؟

الجواب: هذا كلام غير صحيح من أوله إلى آخره وهو من عقائد أهل الضلال وهذا الكلام منقول عن عقائدهم، فليست أسماء الله وصفاته من المتشابه بل هي من المحكم الواضح المعنى الذي لا شك فيه، وإنما المتشابه كيفيتها وحقيقتها، أما معناها فليس هو من المتشابه، ولا أحد من السلف عدَّها من المتشابه، وهذا كذب على سفيان وغيره، وقوله: أهل السنة هذا عند الأشاعرة؛ لأنهم يسمون أنفسهم بأهل السنة، وهذا غلط، ليسوا من أهل السنة، ومصادر التلقي عندهم مختلفة عن مصادر التلقي عند أهل السنة، فليسوا من أهل السنة، وهذه التسمية لهم بأهل السنة غير صحيحة؛ لأنها تخالف واقعهم وما هم عليه، وهناك فرق بين مذهبهم ومذهب أهل السنة من وجوه كثيرة، فهذا الكلام منقول من عقائد الأشاعرة وهذا كلام غير صحيح، والسلف لا يفوضون الصفات؛ لأن معناها واضح عندهم، ولهذا لما سئل مالك عن الاستواء، قال: الاستواء معلوم، ولم يقل الاستواء مفوض، قال: الاستواء معلوم - يعني معلوم المعنى - والكيف مجهول - فهو فرَّق رحمة الله بين المعنى وبين الكيف، المعنى معلوم والكيف مجهول - والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. يعني

عن الكيفية؛ لأن السائل قال له: كيف استوى؟ سأله عن الكيفية، لم يسأل عن معنى الاستواء وإنما سأل عن الكيفية. وليس أحد من أهل السنة والجماعة ابتداءً من السلف إلى من جاء بعدهم ليس منهم من يفوض الصفات أو شيئاً منها، بل يفسرونها بما تدل عليه ألفاظها، ويعتقدون معانيها، وإنما يفوضون الكيفية فقط.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما صحة حديث: «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»(*) وما هو الأصل الصحيح الذي يستند عليه إذا كان ضعيفاً، وهل هناك دليل آخر على عجب الله سبحانه؟

الجواب: نعم في القرآن الكريم كثير من أن الله سبحانه وتعالى يذكر أشياء تُعطي أن الله يعجب من أفعال العباد.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، قول النبي ﷺ للجارية: «أين الله»(**) ألا يدل على إثبات الجهة؟

الجواب: نعم ولا شك في ذلك، يدل على إثبات جهة العلو وليس هو بجهة مطلقة، وأيضاً لما خطب أصحابه في عرفة واستشهدهم على أنه بلغهم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم اشهد»(***) أشار إليه سبحانه إشارة حسية بيديه ثم نكبها إليهم وقال: «اللهم اشهد» هذا

(*) سلف تخريجه ص٨٣.

(**) سلف تخريجه ص٩٥.

(***) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٣/٤٤٥ (٢٠٣٣٦) من حديث العداء بن خالد، وهو حديث صحيح.

واضح في إثبات جهة العلو لله - جل وعلا -.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ذكر فضيلتكم أن الاستواء صفة فعلية، وأن من معانيه العلو، وأن العلو صفة ذاتية، فأرجو توضيح ذلك؟

الجواب: العلو صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى لا يزال عالياً على خلقه، أما الاستواء فهو صفة فعلية يفعله إذا شاء لذلك رتبه بثم، مع أن العلو دائم في حقه سبحانه وتعالى. فيكون الاستواء نوع من العلو يفعله إذا شاء سبحانه وتعالى، لكن العلو المطلق ثابت لله دائماً وأبداً.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، قول الله سبحانه: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] من فسرها بأمرنا هل يُعد من التأويل أم لا؟

الجواب: هذا تأويل واضح، بأعيننا، يعني بمرأى منا، ففيه إثبات الرؤية لله - جل وعلا - والبصر له سبحانه، فمعنى تجري بأعيننا يعني على مرأى منا، يراها سبحانه وتعالى ويرعاها ويسيرها - جل وعلا -.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل يلزم من إثباتنا لله صفة النزول وصفة المجيء والإتيان أن نثبت لله - عز وجل، صفة الصعود وصفة الذهاب والهبوط أيضاً؟

الجواب: لا نثبت إلا ما أثبته الله، ولا ننفي إلا ما نفاه الله - عز وجل - ما لم يرد إثباته ولا نفيه نسكت عنه.

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما جاء عن بعض العلماء من قول: يكفي أن يقال نزل فقط من غير تعرض لذاته بقول: نزل بذاته؛ لأنه لم يرد عن السلف؟

الجواب: نقول: ينزل كيف شاء سبحانه وتعالى.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل السؤال عن كيفية صفات الله يُعدّ من البدع؟

الجواب: نعم السؤال عن كيفية صفات الله ما فيه شك يُعَدّ من البدع، ولذلك فإن الإمام مالك - رحمه الله - قال: ما أراك إلا مبتدعاً. فأمر به فأُخرج من مجلسه؛ لأنه لا يُسأل عن الكيفية.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، كلام الله سبحانه وتعالى من الصفات الذاتية أم الفعلية؟

الجواب: الكلام من صفات الله الفعلية، تكلم ويتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى، فهو من صفاته الفعلية.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما رأي فضيلتكم في من يقول: إن استوى بمعنى جلس. هل يُعد من التأويل؟

الجواب: هذا باطل؛ لأنه لم يرد تفسيره بالجلوس، ونحن لا نثبت شيئاً من عند أنفسنا.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل المنتقم يعد من أسماء الله سبحانه؟

الجواب: الفعل ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥] يوصف بأنه ينتقم ﴿عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] كذلك سمى نفسه بأنه عزيز وأنه ذو انتقام، يعني صاحب انتقام، أما المنتقم فلا، لم يرد هذا.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل يوجد كتاب يبين حال علماء السلف في العقيدة حتى يدرأ الإنسان الجدال ولا يدخل في مذهب الأشاعرة خاصة لطالب العلم المبتدىء؟

الجواب: كتب السلف التي تبين عقيدة السلف كثيرة وميسورة ولله الحمد، ومخدومة ومحققة ومنشورة في هذا الوقت والحمد لله، فمنها: (شرح أصول أهل السنة والجماعة) للإمام اللالكائي، ومنها: (كتاب السنة) لابن أبي عاصم، و(كتاب الشريعة) للآجري، (كتاب التوحيد) لابن خزيمة، وغير ذلك من كتب أهل السنة المتداولة، (كتاب السنة) للأثرم، (كتاب السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد، كثيرة جداً.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، قوله في الأثر: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك. هل يلزم منه أن الله سبحانه في كل مكان بذاته أم المراد علمه؟

الجواب: أنا شرحت هذا في موضعه، قلت: إن الله فوق مخلوقاته، الحديث هذا مثل غيره من الأدلة يدل على علو الله على عرشه ومع

علوه فهو محيط بجميع مخلوقاته لا يخفى عليه منها شيء، فهو فوق سماواته وعلمه سبحانه وإحاطته في كل مكان.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما المقصود بقول المبتدعة: إن القرآن مخلوق؟ ماذا تعني كلمة مخلوق؟ هل يعني المبتدعة بذلك أن الله خلقه في صدر جبريل مثلاً، أرجو المزيد من الإيضاح، وفقكم الله؟

الجواب: قصدهم أن الله لا يتكلم وإنما خلق الكلام في جبريل وتكلم بما أراده سبحانه، أوة خلقه في اللوح المحفوظ وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، وقصدهم من هذا نفي أن الله يتكلم، كما ينفون سائر الصفات عن الله - جل وعلا - وقصدهم من هذا الكفر والإلحاد لكن لا يصرحون بهذا صراحة وإنما يأتون من هذه الطرق الملتوية قبحهم الله. والله - جل وعلا - تكلم بالقرآن حقيقة وسمعه جبريل منه بأمره سبحانه، وبلغه جبريل إلى الرسول وبلغه الرسول إلى الأمة، وبلغته الأمة إلى أجيالها جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، زعمت بعض الفرق الضالة أن القرآن عبارة عن كلام الله، وزعمت أخرى أنه حكاية عن كلام الله، فما الفرق بين العبارة والحكاية في كلامهم؟

الجواب: المعنى واحد، ولكن الماتريدية يقولون: إنه حكاية عن كلام الله وليس عبارة، والأشاعرة يقولون: إنه عبارة عن كلام الله، والكل الأشاعرة والماتريدية يقولون: إن هذا الذي في المصاحف ليس هو كلام الله، لأن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه سبحانه وتعالى،

وأما هذا القرآن فإنه من كلام جبريل أو من كلام محمد عبر به عن كلام الله، فهو عبارة. والماتريدية يقولون: حكاية؛ لأنهم يقولون: العبارة أدق من الحكاية، الحكاية أخف، إذا قيل: عبارة، معناه أنه طبق الأصل لكلام الله النفسي، وهو ليس كذلك عندهم بل هو حكاية؛ لأن الحكاية قد يكون فيها شيء من السعة أوسع من العبارة. والكل ضلال والعياذ بالله.

هم وافقوا الجهمية من ناحية وهو أن هذا القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله، هذا مثل كلام الجهمية سواء.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل المراد بإعراب القرآن القراءة عن تجويد أم بدون لحن يحيل المعنى فقط، وهل القراءة بالتجويد واجبة؟

الجواب: القراءة بإعراب القرآن معناه قراءته بدون لحن لغوي، هذا هو إعراب القرآن، أما التجويد الذي هو المدود والإدغام وما أشبه ذلك من أحكام التجويد فهذه محسنات للتلاوة والأداء وليست واجبة وإنما هي مستحبة بدون مبالغات وبدون تشديد في أحكام التجويد. التجويد وأحكام التجويد من المحسنات من تعلمها وأدى بها فهو حسن، ومن جهلها فلا حرج عليه بشرط أن يقرأ القرآن غير ملحون فيه برفع المنصوب أو نصب المرفوع أو جر المنصوب أو غير ذلك، فالمطلوب إعراب القرآن، أي: قراءته على الوجه العربي الذي لا لحن فيه، وأما تحسين الصوت وتحسين التلاوة والتجويد فهذه أمور مستحبات ومكملات.

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل أفعال العباد مخلوقة، وهل تكون قراءتي للقرآن مخلوقة على ذلك؟

الجواب: صوتك مخلوق أما المقروء وهو كلام الله فهو غير مخلوق، كتابتك للقرآن مخلوقة لكن المكتوب غير مخلوق.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، الحديث الذي أورده المؤلف «من قرأ القرآن فأعربه»(*) ذكر أحمد سلطان في كتابه أنه حديث ضعيف جداً نقلاً عن بعض أهل الحديث، وأما المؤلف، قال: إنه حديث صحيح، فما هو الحكم على الحديث؟

الجواب: إذا حكم أهل الحديث كلهم أو أغلبهم على أنه ضعيف قلنا: إنه ضعيف، وإن كانوا قد اختلفوا بعضهم قال: إنه صحيح وبعضهم قال: إنه ضعيف وبعضهم قال إنه حسن فلا شك أنه يرجع إلى الترجيح، حسب قواعد الشرع. وهذا الحديث يوجد أحاديث في معناه كثيرة تدل على وجوب إتقان التلاوة والعناية بها.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ذكرتم حفظكم لله: إن قول رؤية الله في الدنيا مستحيلة. أن هذا القول غير صحيح، وإنما لضعف الناس عن رؤيته، ألا يكون ضعف الناس عن رؤيته سبباً لاستحالة النظر إلى الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: الرؤية في حد ذاتها ليست مستحيلة، أما مدارك الناس

(*) سلف تخريجه ص١٣٩ .

فهذا شيء آخر، هو لم يقل رؤية الناس له مستحيلة وإنما هو يقول: الرؤية مستحيلة، نقول: هذا غلط، موسى عليه السلام لا يسأل المستحيل، ولا يسأل الذي لا يجوز؛ لأنه كليم الله وهو أعلم بالله - جل وعلا -، أيضاً الله - جل وعلا - لم يقل: إني لا أُرى، بل قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فدل على أن عنده من الرؤية مانع، وهو عجز البشر في هذه الدنيا، والشيء إذا كان دونه مانع لا يكون مستحيلاً في حد ذاته، هو في حد ذاته ممكن لكن هناك مانع يمنع منه، من جهة البشر.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل من الأسلم للفرد أن يؤمن بالقدر إيماناً مجملاً يشمل المراتب الأربع دون الدخول في التفصيلات التي توقع المرء في تخبط من مثل السؤال عن مسار البشر للجنة أو للنار، مع أن الله علم أن هؤلاء كافرون مثلاً وشاء ذلك سبحانه، فهل من الأسلم الإيمان المجمل والتسليم والسكوت أم السؤال في التفصيلات؟

الجواب: لا بد من معرفة العقيدة بتفاصيلها ومنها القضاء والقدر، وهذا حسب استطاعة الإنسان، إذا كان عنده استطاعة يجب أن يتعلم التفاصيل، وإن كان لا يستطيع ذلك فإنه يكفي أنه يتعلم مجمل العقيدة. هذا حسب الاستطاعة، وهذه المراتب الأربع مذكورة في القرآن، وفي الأحاديث ليست هي من الدخول في المتاهات كما يقول السائل، مذكورة في الكتاب والسنة، فلا بد من معرفتها، ولا بد من إتقانها حتى يكون الإنسان على بصيرة في هذا الأمر ولا يزل مع الذين زلوا أو غلطوا.

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ذكرتم في حديثكم أن الله يفعل كل ما يريده، ثم قلتم حفظكم الله بالإرادة الشرعية، فالله سبحانه أمر الكافر بأن يسلم ولكن لم يحصل ذلك؟

الجواب: يفعل ما يريد بالإرادة الكونية، هي التي لا يتخلف عنها شيء، أما الإرادة الدينية فقد يحصل المراد وقد لا تحصل حسب حكمة الله سبحانه وتعالى، فهناك فرق بين الإرادة الدينية والإرادة الكونية. افهم هذا.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل يجوز التسمية باسم طه ويس، وماذا يفعل من سمي بذلك؟

الجواب: إذا كانوا يعتقدون أن هذا من أسماء الرسول فهذا لا يجوز، وإذا كانوا لا يعتقدون ذلك فإنهم يسمون بها إذا شاؤوا، لكن على أنها أسماء الرسول لا.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، أرجو أن تبينوا لنا كيف كان نزول القرآن، لا سيما وأن فضيلتكم ذكر في درس سابق أن الحديث الذي رواه ابن عباس أنه نزل جملة إلى بيت العزة لم يثبت.

الجواب: هو ثابت عن ابن عباس - كما ذكر ابن كثير وغيره - لكنه ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والقرآن إنما يتلقاه جبريل من الله -جل وعلا- لا يأخذه من اللوح المحفوظ ولا من بيت العزة وإنما يتلقاه جبريل من الله - جل وعلا - ثم ينزل به على محمد ﷺ، هذا هو الحق في نزول القرآن الكريم أنه من الله سمعه جبريل وبلغه لمحمد ﷺ وبلَّغه محمد

لأمته، وتناقلته الأمة جيلاً بعد جيل، فهو كلام الله سبحانه وتعالى.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، إذا كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي لا يجوز، فلماذا احتج به آدم عندما حاجه موسى عليه السلام؟

الجواب: يا أخي آدم ما احتج بالقضاء والقدر على المعصية وإنما احتج به على المصيبة وهي الخروج من الجنة؛ لأن موسى عليه السلام قال له: «أخرجتنا من الجنة»(*) لم يقل لماذا تأكل من الشجرة، وإنما قال له: «أخرجتنا من الجنة» وهذه مصيبة، فاحتج على ذلك بالقضاء والقدر، والقضاء والقدر - كما قال العلماء - يحتج به على المصائب، فيسلم العبد ويحتسب ويتوب إلى الله ولا يحتج به على المعايب وهي المعاصي.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - لم يدخل العمل في الإيمان، وهل يعد من فقهاء المرجئة، وإذا كان ذلك صحيحاً فبماذا نعتذر عن هذا الإمام؟

الجواب: نعم أبو حنيفة وشيخه حماد بن أبي سليمان يقولان بهذا القول، بأن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب ولا تدخل فيه أعمال الجوارح. وهذا إرجاء بلا شك، ولذلك يسمونهم: مرجئة الفقهاء ومرجئة أهل السنة. هم من أهل السنة لكن حصل عندهم هذا الخطأ اليسير، فهو خطأ بلا شك ونحن لا نقبل الخطأ من أي أحد، لا من أبي

(*) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢). (١٣) من حديث أبي هريرة.

حنيفة - رحمه الله - ولا من غيره؛ لأن هدفنا الصواب والوصول إلى الحق، ولا ينقص ذلك من قدر الإمام أبي حنيفة عندنا.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الإنسان يعد مسيراً أو مخيراً أو الجميع؟

الجواب: من جهة ما يجري عليه من الأمراض والمصائب التي ليس له فيها اختيار يعد مسيراً، ومن جهة أفعاله وتصرفاته وإرادته يعد مخيراً إن شاء فعل وإن شاء ترك، فهو ليس مسيراً فقط وليس مخيراً فقط وإنما هو مسير من وجه، ومخير من وجه، لا بد من هذا التفصيل.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل يكفي النطق بالشهادتين مع عمل القلب فقط، حيث إنه عمل يزيد وينقص خاصة الخوف من الله مع الزكاة والصيام والصدقة وحب الله ورسوله، ولكنه يترك الصلاة تهاوناً أو لعدم العلم؟

الجواب: هذا قول المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب ولا تدخل فيه الأعمال، أما قول جمهور أهل السنة فهو أن الأعمال تدخل في الإيمان، وأن ترك الأعمال إما أن يزيل الإيمان بالكلية كترك الصلاة وإما أن ينقص الإيمان.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، أنا طالب في المرحلة الثانوية وفيها الموضوعات الأدبية التي ندرسها، يقول الكاتب: فمن لم يكن قوي البأس قوي الإرادة قوي العزيمة كان مسلماً بغير إسلام. وفي

موضع آخر يقول: وفي كل مجتمع وفي كل زمان ومكان يتساءل الإنسان من أين جاء وإلى أين يذهب وكيف وجد، ويقول: تختلف السبل إلى الإيمان بالله فقد يصل البعض إليه بالعقل وربما بالعاطفة وربما بالوراثة، أرجو من فضيلتكم بيان هل تصح هذه الأقوال؛ لأن أستاذ المقرر يقول: هي تعبيرات أدبية مقررة.

الجواب: هذه تعبيرات كفرية وليست أدبية، وقوله: ما أدري من أين جئت ولا أدري إلى أين أذهب، هذه حيرة وشك - والعياذ بالله - وهذا كفر، نعم ندري من أين جئنا وندري إلى أين نحن ذاهبون، ونعرف طريق الخير وطريق الشر بما بيّن الله تعالى لنا، فهذا جحود لما أنزل الله - عز وجل - والإيمان لا يحصل بهذه الطرق التي ذكرها بالوراثة، وإنما يحصل الإيمان باتباع الكتاب والسنة واتباع الرسول ﷺ. فلا يجوز السكوت على هذا الكلام بل يجب أن يُكتب عنه وأن يُرفع للمسؤولين عن التعليم للنظر فيه؛ لأن هذا خطير ولا سيما إذا كان في المقرر الذي يُدرس على الطلاب.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، يقول الله تعالى للرسول ﷺ: «أَخْرِجْ من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»[*] كيف يخلد في النار الذي يترك الصلاة وهو يؤمن بالله ويعلم عن وجوب الصلاة وعقيدته عقيدة السلف؟

الجواب: لو كانت عقيدته عقيدة السلف لحافظ على الصلاة، السلف يحافظون على الصلاة، فهذا الذي لا يحافظ على الصلاة ليس

(*) سلف تخريجه ص١٨٤.

على عقيدة السلف وهو كافر الكفر الأكبر فيُخلد في النار كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فإذا ترك الصلاة متعمداً خرج عن عقيدة السلف وخرج عن الإيمان.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل مسألة ثبوت الأرض وعدم حركتها من المسائل التي يُضلل أو يُبدع أو يُكفر فيها المخالف، والذي يحتج بأقوال علماء الفلك المعاصرين ويستند إليها؟

الجواب: من خالف القرآن والسنة يضلل في ذلك، وإذا تعمد وقال: إن ما ذُكر في الكتاب والسنة غير صحيح يخالف العقل نقول هذا كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ، أما إذا لم يكذب بالآيات ولكنه تأولها نقول هذا مخطىء وظالم.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الميت في القبر يسمع غير قرع النعال، أي هل يسمع كلامهم؟

الجواب: يسمع ما دل الدليل على سماعه له، أما ما لم يثبت دليل على سماعه لا نثبت أنه يسمعه؛ لأن أمور الغيب لا يعتمد فيها إلا على النقل الصحيح، فما دل الدليل على أن الميت يسمعه أثبتناه.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، لماذا يعذب الله الميت بسبب نياح أهله عليه، مع أنه ليس له ذنب فيما فعله أهله، أرجو بيان ذلك؟

الجواب: لأن هذه النياحة بسببه هو، وقالوا: إنه يُحمل على ما إذا

أوصى أن يناح عليه، أو علم أنهم سينوحون عليه ولم ينههم عن ذلك بل تركهم ولم ينصحهم، فإنه يعذب بذلك؛ لأنه لم يمنع أهله ولم ينكر عليهم. وعلى كل حال نحن نثبت ما جاء في الحديث بأن الميت يعذب بما نيح عليه، أما كيفية تعذيبه الله أعلم بها.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، ما حكم من استغاث بالأولياء وهو جاهل أن هذا شرك، مع العلم أنه يعيش في بلد يكثر فيها دعاة الشرك، ولكن في الوقت نفسه يوجد دعاة حق وإن كانوا قليلين؟

الجواب: هذا لا يُعذر؛ لأنه قامت عليه الحجة وبلغته الدعوة، ما دام يعيش في بلاد المسلمين ويسمع القرآن، ويسمع الأحاديث، ويسمع الدعاة إلى الله الدعاة إلى التوحيد، ويصر على ما هو عليه ويبقى على ما هو عليه هذا غير معذور؛ لأنه قامت عليه الحجة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، إذا عمل أو ارتكب المسلم عملاً يخرج من الملة، هل يحكم عليه بالكفر مباشرة دون أن يبين له، أم نتوقف عن تكفيره حتى تقام عليه الحجة؟

الجواب: إن كان ممن يجهل مثله فإنه لا يُحكم عليه حتى يبين له، فإن استمر حُكم بردته، أما إن كان ممن لا يجهل مثله فإنه يُحكم عليه بالردة ويُطلب منه التوبة؛ لأنها قامت عليه الحجة.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الذين يصلون ولكنهم

يشركون لا نحكم لهم بالنار؟

الجواب: الذين يشركون نحكم لهم بالنار، لكن لا نجزم بخاتمتهم، لكن نقول: فعلكم هذا كفر، هذا العمل كفر مخرج من الملة وأنتم بهذا العمل تعتبرون كفاراً كما دل على ذلك الحديث لكن لا نحكم عليهم بأنهم من أهل النار، هذا يرجع إلى الخاتمة التي يموتون عليها الله أعلم بها، هذا من حيث الأفراد، أما من حيث الجملة فنقول: من أشرك بالله فهو كافر، ومن مات على الشرك وعلى الكفر فهو في النار، هذا بلا شك من حيث العموم، هناك فرق بين العموم وبين الخصوص.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، هل الصلاة خلف الفسقة خاص بولاة الأمر أم يجوز الصلاة خلف الفاسق وإن لم يكن ولياً للأمر؟

الجواب: أما ولي الأمر فهذا بالإجماع يصلى خلفه وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما غير ولي الأمر فهذا موضع خلاف، قيل: لا تصح الصلاة خلف الفاسق، وهذا هو مذهب الحنابلة، كما في متن الزاد.

* * *

السؤال: فضيلة الشيخ وفقكم الله، (ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله) وردت هذه الجملة في عدة كتب من كتب الاعتقاد كالطحاوية واللمعة وغيرها، ويستدل بها المرجئة على أنه لا يكون الكفر بالعمل، وإنما يكون بالاعتقاد فقط، فأرجو بيان الفهم الصحيح لها؟

الجواب: لا بد من تقييد العمل بأنه دون الشرك، أما العمل الذي فيه

شرك كالسجود للصنم والذبح لغير الله، فهذا يحكم بكفر صاحبه لأن هذا عمل كفر، كذلك ترك الصلاة صحت الأحاديث والأدلة بكفر تاركها ولو لم يكن جاحداً لوجوبها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة البقرة

٣ ـ سورة آل عمران

سورة آل عمران

٤ ـ سورة النساء

سورة النساء

٦ ـ سورة الأنعام

٧ ـ سورة الأعراف

سورة الأعراف

٨ ـ سورة الأنفال

٩ ـ سورة التوبة

١٠ـ سورة يونس

سورة يونس

١١ـ سورة هود

١٢ـ سورة يوسف

١٧ـ سورة الإسراء

١٨ـ سورة الكهف

١٩ـ سورة مريم

٢٠ـ سورة طه

سورة طه

٢١ـ سورة الأنبياء

٢٢ـ سورة الحج

٢٣ـ سورة المؤمنون

٢٤ـ سورة النور

٢٥ـ سورة الفرقان

٢٦ـ سورة الشعراء

٢٧ـ سورة النمل

٢٨ـ سورة القصص

سورة القصص

٢٩ـ سورة العنكبوت

٣٠ـ سورة الروم

٣١ـ سورة لقمان

٣٢ـ سورة السجدة

٣٣ـ سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

٣٤ـ سورة سبأ

٣٥ـ سورة فاطر

٣٦ـ سورة يسٓ

٣٧ـ سورة الصافات

٣٨ـ سورة صٓ

٣٩ـ سورة الزمر

سورة الزمر

٤٠ـ سورة غافر

٤١ـ سورة فصلت

٤٢ـ سورة الشورىٰ

سورة الشورى

٤٣ـ سورة الزخرف

٤٥ـ سورة الجاثية

٤٧ـ سورة محمد

٤٨ـ سورة الفتح

٤٩ـ سورة الحجرات

٥٠ـ سورة قٓ

٥٢ـ سورة الطور

٥٣ـ سورةالنجم

٥٤ـ سورة القمر

٥٥ـ سورة الرحمٰن

٥٦ـ سورة الواقعة

سورة الواقعة

٥٧ـ سورة الحديد

٥٨ـ سورة المجادلة

٥٩ـ سورة الحشر

٦٣ـ سورة المنافقون

٦٤ـ سورة التغابن

٦٧ـ سورة الملك

٦٨ـ سورة القلم

٦٩ـ سورة الحاقة

سورة الحاقة

٧٠ـ سورة المعارج

٧٢ـ سورة الجن

٧٤ـ سورة المدثر

٧٥ـ سورة القيامة

٧٧ـ سورة المرسلات

٨٣ـ سورة المطففين

٨٤ـ سورة الانشقاق

٨٥ـ سورة البروج

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة

فهرس الفرق والجماعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة